كتاب

المواهب السرمدية

في مناقب السادة النقشبندية

تأليف

الشيخ العالم الرباني محمد أمين الكردي الشافعي النقشبندي

رضي الله عنه

تصحيح ومراجعة

لجنة تحقيق التراث بالمكتبة

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف القاهرة ت ٥١٢٠٨٤٧

رقم الإيداع
٢٠٠٥/١١٣٤٢
الترقيم الدولى I.S.B.N
977-315-082-8

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أن الأبوة[١] قسمان أبوة جسمية. وأبوة روحية. والأب الجسمي شأنه تنمية عالم الخلق. والأب الروحى شأنه تنمية عالم الأمر. فكان شأن الأول شأن العالم الكبير للإنسان الكامل من حيث إمداده بكل جزء من أجزائه فى النشأة الظاهرة. وشأن الثاني شأن الإنسان الكامل فى إمداده العالم كله فى النشأة الباطنة التى هى الإنسانية الكبرى، وبها كانت الخلافة الإلهية التى هى العروة الوثقى لا انفصام لها؛ فلذا كانت لأب الروح الرتبة العليا. والمنزلة الفضلى. يليه أبو الجسم. ولهذا قال سلطان العاشقين للجمال الأقدس فى النسب الروحاني:

نسب أقرب فى شرع الهوى — بيننا من نسبٍ من أبوى

وأجمع العارفون على أن من لم يصح له نسب إلى القوم فهو لقيط فى الطريق. وكيف تصح نسبة شخص إلى من لا يعرفه؟! فإن هذه اللحمة الروحانية والنسَبة الباطنية، والرابطة المعنوية، بين الشخص وسلفه من الصوفية لا تصح حتى يعمل بأعمالهم. ويسير بسيرهم. ويهتدى بهديهم. وكيف يسير بالسيرة من لا يعرفها، أم كيف يتخلق الأخلاق من يجهلها؟ لهذا لا يصح للمريد الصادق أن يقنع بمعرفة أسماء شيوخه بل لابد له من معرفة معانيهم التى كانت لهم مطايا حملتهم إلى الحق، وعندها نزل عليهم الفيض السبحانى من حضرة القدوس جل وعز. ومعرفة صفاتهم وتواريخهم كافلة لك بذلك إن شاء الله.

(١) يوجد فى الصحفة الأولى من المطبوع القديم الذى اعتمدنا عليه قطع، والمصنف رحمه الله ينقل هنا كلاماً عن الإمام الجنيد فقدرنا قولنا (اعلم أن الأبوة) بياناً للمراد.

ولهذا قال بعض أكابر النقشبندية: معرفة صفات المشايخ السابقين ربما تكون أنفع للمريد من رؤية أشخاصهم، وذلك لأنه قد يكون غليظ البشرية فلا ينفذ إذا رآهم إلى ما أعطاهم الحق تعالى من سر الخصوصية. وقد جمعنا لهذا المهم العظيم الشأن كتبا كثيرة فى تواريخ المشايخ وآداب الطريق فارسية وعربية للمتقدمين والمتأخرين من خلص النقشبندية. واستخرجنا بتوفيق الله زبدها. واستنبطنا بحمد الله خلاصتها. فمنها «الحدائق الوردية». و«الحديقة الندية»، و«البهجة السنية»،و«الرشحات»،و«المكتوبات»،و«مفتاح المعية»،و«كتاب الخادمى». وغير ذلك. وسميناه بـ «المواهب السرمدية فى مناقب السادة النقشبندية» وها أنا ذا شارع فى المقصود. بعون الملك المعبود. وأسأل الله تعالى أن ينفع به الخاص والعام. وأن يجعله خالصاً لوجهه على الدوام.

مقدمة

اعلم أيها الطالب لمعرفة الحق. الراغب لطريق الإخــلاص والصــدق. أن المقصود من خلق الإنسان فى هذه الدار إنما هو أداء وظائف العبودية التى هــى نهاية مراتب الولاية وليس فى درجات الولاية مقام فوقها. ودوامها لا يتصور إلا بأداء العبادة إذ هي عبارة عن دوام الحضور مع الله تعالى ولا تحصل إلا بالعشق والمحبة له جل وعلا إذ تعلق الطالب بهما ينتج له الانقطاع عما سوى الحق وبه يرقى إلى مقام العبودية. ولا تحصل له هذه السعادة إلا إذا رزق قلبــاً ســليماً بالجذب الإلهى. ولا سبب له فى تحصيل ذلك الجذب أقوى من صحبة الشــيخ الكامل الذى كان سلوكه بطريق الجذبة الإلهية وملازمــة خدمتــه. وحســن السلوك. والاعتقاد والإخلاص والتخلية عن الرذائل. والتحلية بالفضائل. كــى يرقى إلى درجات المراقبة لله تعالى. والخوف منه كما كــان عليــه الأوليــاء الصالحون. والعلماء العاملون خصوصاً ساداتنا النقشبندية -قدس الله أسرارهم- ولما كانت الطرائق كلها مستوية بالنسبة إلى الدلالة على الله تعالى، ولم تختلف وتتفاوت إلا بالنسبة لأقربية الدلالة والوصول إلى الله تعالى. وكان من أقربهــا وأسهلها على المريد وصولاً إلى أعلى درجات التوحيد طريقتنا النقشبندية العلية رأينا أن نذكر لك أيها المريد الصادق من كلام مشايخنا فى هذه الطريقــة مــا تهتدي ببركتهم إن شاء الله تعالى، فنقول:

إن طريق السادة النقشبندية هو معتقد أهل السنة والجماعة وهــي طريقــة الصحابة -رضى الله عنهم- على أصلها لم يزيدوا فيها ولم ينقصوا منها. حالهم

على الدوام. ووقتهم على استمرار التجلى الذاتى الذى لغيرهم كالبرق لهم دائم. والحضور الذى يعقبه غيبة ساقط من حيز الاعتبار. عند هؤلاء السادة الأخيار. فاقصدهم واستنشق عرفهم الطيب لعلك تظفر بواحد منهم تفوز بهذا الجوهر النفيس. وتشم من أنفاس الطريق مالا يخطر لك ببال، ويزول عنك التلبيس. فإن طريقتهم أسهل الطرق الموصلة إلى الله تعالى لأن مبناها على التصرف وإلقاء الجذبة المتقدمة على السلوك من المرشد الداخل تحت وراثته صلى الله عليه وسلم فى قوله: «**ما صب الله فى صدري شيئاً إلا وصببته فى صدر أبي بكر**»، وهى طريق الانصباغ والانعكاس بكمال ارتباطهم حباً. ويستوى فى استفاضتها الشيوخ والشباب. وفى إفاضتها الأحياء والأموات. قال الشيخ محمد بهاء الدين النقشبند -قدس الله سره-: المعرض عن طريقتنا على خطر من دينه، وقال: طريقنا أقرب الطرق إلى الله تعالى، وقال الخواجة عبيد الله الأحرار قدس الله سره: وكيف لا تكون أقرب وموصلة وانتهاؤها مندرج فى ابتدائها، فالمحروم من يدخل هذا الطريق ولا يستقيم ويروح لا نصيب له. وما ذنب الشمس إذا لم تكن هناك عين تبصر. فإذا دخلت فى سلك إرادة هذه الأكابر فلابد لك من متابعتهم. واحذر من مخالفتهم. حتى تسعد بكمالاتهم وتتشرف بحالاتهم. ولا يكون الدخول فى هذه الطريق العلية إلا بالتلقين من شيخ كامل خبير بالطريق لأن السر فى التلقين إنما هو لارتباط القلوب بعضها إلى بعض إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الله عز وجل. وأقل ما يحصل للمريد إذا دخل فى سلسلة القوم بالتلقين أن يكون إذا حرك السلسلة تجاوبه أرواح الأولياء من شيخه إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الله عز وجل. فمن لم يدخل فى طريقهم بذلك فهو غير

معدود منهم فلا يجيبه أحد إذا حرك السلسلة فهذه أعظم باعث لى على جمع هذه التراجم ليكون الولد الروحى على بصيرة من أمر والده وجده فيزداد نشاط همته. واعلم أن للطريقة النقشبندية ثلاث سلاسل:

الأولى

وهى السلسلة المتصلة من مدينة العلم ﷺ إلى بابها الأعظم سيدنا الإمام على ابن أبى طالب. إلى سيد الشهداء أبى عبد الله الإمام الحسين. إلى سيدنا الإمام زين العابدين على الأصغر. إلى سيدنا الإمام محمد الباقر. إلى سيدنا الإمام جعفر الصادق. إلى سيدنا الإمام موسى الكاظم. إلى سيدنا الإمام على الرضا. إلى سيدنا معروف الكرخى. إلى سيدنا السري السقطى. إلى سيدنا أبي القاسم الجنيد البغدادي. إلى سيدنا الشيخ أبي على الروذباري. إلى سيدنا أبي على الكاتب. إلى سيدنا أبى عثمان المغربي. إلى سيدنا أبي القاسم الكركاني. إلى سيدنا أبى على الفارمدى شيخ السلسلة الثالثة، وهذه هى المسماة بسلسلة الذهب لاتصالها بآل البيت الأطهار رضوان الله عليهم أجمعين.

الثانية

وهي السلسلة المتصلة من روح العالم ﷺ إلى صفوة الكرم سيدنا على المرتضى. إلى سيدنا الحسن البصري. إلى سيدنا حبيب العجمى. إلى سيدنا داود الطائى. إلى سيدنا معروف الكرخى شيخ السلسلة الأولى، وعنده تجتمع السلسلتان رضوان الله عليهم أجمعين.

الثالثة

وهى السلسلة المتصلة من حضرة شيخنا وأستاذنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ عمر قدس الله سره. إلى أبي الأرواح الأكبر البشير النذير سيدنا محمد ﷺ وإلى -ولله مزيد الحمد والمنة- أنا الفقير الحقير إلى ربى القدير محمد أمين الكردى الإربلى قد تشرفت بأخذ هذه الطريقة العلية النقشبندية بعمومها وخصوصها. ومفهومها ومنصوصها. على شيخ الوقت والطريقة. ومعدن السلوك والحقيقة. من ضاء على الكون ضوء القمر. حضرة مولانا وشيخنا الشيخ عمر -قدس الله سره- وهو عن أبيه سراج الملة والدين الشيخ عثمان -قدس سره- وهو عن ضياء الدين مولانا الشيخ خالد -قدس سره- وهو عن العارف بالله الشيخ عبد الله الدهلوي -قدس سره- وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ شمس الدين حبيب الله جان جانان مظهر -قدس سره- وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ نور محمد البدوانى قدس سره. وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ محمد سيف الدين قدس سره. وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ محمد معصوم قدس سره. وهو عن والده الإمام الربانى مجدد الألف الثانى الشيخ أحمد الفاروقى السرهندى قدس سره. وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ مؤيد الدين محمد الباقى بالله قدس سره. وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ محمد الخواجكى الإمكنكى قدس سره. وهو عن والده العارف بالله تعالى الشيخ درويش محمد قدس سره. وهو عن خاله العارف بالله تعالى الشيخ محمد الزاهد قدس سره. وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ ناصر الدين عبيد الله الأحرار قدس سره. وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ يعقوب الكرخي قدس سره. وهو عن

العارف بالله تعالى الشيخ محمد علاء الدين العطار قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى إمام الطريقة وغوث الخليقة الشيخ محمد بهاء الدين النقشبند قدس سره. وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ أمير كلال قدس سره. وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ محمد بابا السماسي قدس سره. وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ علي راميتني قدس سره. وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ محمود الأنجير فغنوي قدس سره. وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ عارف الريوكري قدس سره. وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدس سره. وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ أبي يعقوب يوسف الهمداني قدس سره. وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ أبي على الفارمدي قدس سره. وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ أبي الحسن الخرقاني قدس سره. وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ أبي يزيد البسطامي قدس سره. وهو عن العارف بالله تعالى الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه. وهو عن جده العارف بالله تعالى القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه. وهو عن الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضى الله عنه. وهو عن سيدنا أبي بكر الصديق الأكبر رضى الله عنه. وهو عن النبي ﷺ وهو عن جبريل عليه السلام. وهو عن الله عز وجل.

واعلم أن ألقاب السلسلة تختلف باختلاف القرون: فمن حضرة الصديق رضى الله عنه إلى الشيخ طيفور بن عيسى أبي يزيد البسطامي تسمى صديقية ومنه إلى الخواجكان الشيخ عبد الخالق الغجدواني تسمى طيفورية، ومنه إلى حضرة الشيخ بهاء الدين محمد الأويسي البخاري قدس سره تسمى خواجكانية ومنه إلى حضرة الشيخ عبيد الله الأحرار تسمى نقشبندية أى منسوبة إلى نقش

بند ومعناه ربط النقش، والنقش هو صورة الطابع إذا طبع به على شمع ونحوه. وربطه بقاؤه من غير محو. أي لأن الشيخ محمد بهاء الدين النقشبند كان يــذكر الله (بالقلب) إلى أن انتقش وظهر لفظ الجلالة إلى ظاهر قلبــه فلــذا سميــت نقشبندية، وسمعت من بعض خلفاء النقشبندية يقول: إن النبي ﷺ وضع كفــه الشريف على قلب الشيخ وهو فى حالة المراقبة فصار نقشاً وهذا اللفظ يحتمــل غير ذلك. ومنه إلى حضرة الإمام الربانى مجدد الألف الثانى الشيخ أحمد الفاروقى تسمى أحرارية، ومنه إلى حضرة مولانا الشيخ خالد تسمى مجددية ومنــه إلى عصرنا هذا تسمى خالدية بل إلى أن تتصل إلى حضرة المهدي صاحب الزمـــان على حسب ما بشر وبشر به بعض مشايخ هذه السلسلة بالكشف الإلهـــي لأن هذه الطريقة هى الملائمة المناسبة لما سيكون علي الصحو الصديقي والرجوع إلى البقاء الحقيقي. بدعوة الخلق. وهدايتهم إلى الحق. برئاسة الظاهر والباطن. وفتح القلاع والمواطن. وهي متصلة بحبل الله المتين إلى يوم الدين. ولما كات السلسلة الثالثة الصديقية هى المشهورة بين مشايخ الطريق الأظهر وهى التى كان يمليهـــا شيخنا وأستاذنا الشيخ عمر قدس سره على الإخوان ويذكر رجالها فى دعـــاء ختم الخواجكان قد اعتنينا بترجمة رجالها دون الأولى والثانية بـــادئين التـــراجم بشمائل المصطفى ﷺ عسى أن يفيض علينا من تيار زلال مدده الفياض. ويزيل من قلوبنا وصمة الأعراض. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

الكلام على شمائل النبي صلى الله عليه وسلم

ولد ﷺ بمكة المكرمة فى شهر ربيع الأول يوم الاثنين عام الفيل. ورأت أمه السيد آمنة حين وضعته نوراً خرج منها أضاءت له قصور بصرى، ووقع وبصره مرتفع إلى السماء. وأرضعته ثويبة جارية عمه أبي لهب. وبعدها حليمة السعدية فأقام عندها فى بنى سعد أربعة أعوام فأتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام فشق صدره فخافت عليه فردته إلى أمه فخرجت به إلى المدينة المنورة لزيارة أخواله فمرضت وهي راجعة به فتوفيت ودفنت بالأبواء وعمره نحو ست سنين فحملته أم أيمن إلى جده عبد المطلب بمكة المكرمة فكفله إلى تمام ثمان سنين ثم توفى، وقد أوصى به إلى عمه أبي طالب فافتخر بشرف كفالته وتربيته وأمر الله سبحانه وتعالى إسرافيل عليه السلام أن يقوم بملازمته، فكان قرينه إلى أن تم له إحدى عشرة سنة، ثم أمر جبريل عليه السلام بملازمته بطريق المرافقة والمقارنة والحفظ لكن لم يظهر له ولم يكلمه. وسافر مع عمه إلى الشام حتى وصل إلى بصرى فرأى بحيرا الراهب منه علامات النبوة فقال لعمه: ارجع به لئلا يقتله اليهود وكان سنه الشريف اثنتى عشر سنة ثم سافر إلى الشام مع ميسرة غلام السيدة خديجة الكبرى -رضى الله عنها- فى تجارة لها فباع واشترى فرأى ميسرة منه العجائب. وما خص به من المواهب. فأخبر السيدة خديجة فخطبته فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة وهى بنت أربعين وصار يدعى بالأمين. ولما قربت أيام الوحي أحب الخلوة والانفراد، فكان يتخلى فى غار حراء بالذكر فكان بعيداً من المخالطات حتى من الأهل والمال، واستغرق فى بحر الأذكار القلبية فانقطع عن الأضداد بالكلية وظهر له الأنس والخلوة. بتذكر من له الخلوة. ولم

يزل في ذلك الأنس ومرآة الوحي تزداد من الصفا والصقالة حتى بلغ أقصى درجات الكمال وهو قائم في غار حراء إلى أن مضى من عمره أربعون عاماً، فبينما هو كذلك إذ ظهر له شخص فقال له أبشر يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله لهذه الأمة ثم أخرج له قطعة من حرير مرصعة بجوهر فوضعها في يده، وقال له: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ. فضمه وغطه حتى بلغ منه الجهد، ثم قال له: اقرأ، فقال ما أنا بقارئ. فغطه كذلك ثلاثاً، ثم قال له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] إلى قوله ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥] ثم قال له: انزل من على الجبل، فنزل معه إلى الأرض ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ جبريل، وأمره أن يفعل كفعله ثم أخذ كفا من ماء فرش به وجه الرسول ثم صلى به ركعتين، وقال: الصلاة هكذا، وغاب فرجع إلى مكة وقص على خديجة ذلك، وقال: قد خشيت على نفسي فثبتته وصدقته، فكانت أول من آمن به ثم أتت به ورقة بن نوفل فقص عليه ما رأى فصدقه فكان أول رجل آمن، وقال: هذا الناموس الذى أنزل على موسى ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك، قال: أومخرجى هم؟ قال: ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودى. ثم أقام بمكة ثلاثة عشر سنة يدعوا الناس إلى الدين وكان يستقبل فى صلاته بيت المقدس، ولما كثر المسلمون اتخذ دار الأرقم فاختفوا فيها ثلاثة سنين. ثم أمر بإظهار الدين فدعاه إلى الإسلام جهراً وأنزل الله القرآن فتحداهم بسورة منه فلم يقدروا. ثم قبل الهجرة بعام ونصف أسرى به من مكة للقدس على ظهر البراق ثم علا إلى السماء ومعه جبريل فأتى الأنبياء كل واحد ففرحوا به ثم علا إلى مستوى سمع فيه صرير الأقلام ثم دنى فتدلى ففرض الله عليه وعلى أمته خمسين صلاة فلم يزل

يراجعه ويسأله التخفيف بإشارة موسى عليهما الصلاة والسلام حتى جعلها خمساً، فلما رجع أخبرهم فصدقه الصديق وكذبه الكفار، وأسلمت الأنصار ففشا الإسلام بالمدينة فهاجر إليها المسلمون، وأراد أبو بكر أن يهاجر فمنعه حتى هاجرا معاً فخرجا إلى غار ثور ومعهما عامر بن فهيرة يخدمهما وابن أريقط يدل على الطريق، فسلكوا طريق الساحل. وأعمى الله عنهم العدو فرآهم سراقة فتبعهم يريد قتلهم، فدعا عليه المصطفى ﷺ فساخت فرسه في الأرض، فناداه: الأمان يا محمدا فدعا له فخلص، وحلف أن لا يدل عليه أحداً فرجع فلقيه الكفار يطلبونه فقال: ارجعوا ثم مروا بخيمة أم معبد فاستسقوها لبنا، فقالت: ما عندى فنظر النبى ﷺ إلى شاة أضرها الجهد وما بها لبن فمسح ضرعها فحلبت وشربوا. وسافر حتى وصل إلى قباء يوم الاثنين من ربيع الأول فأقام بها أربعاً وعشرين ليلة. ثم رحل يوم الجمعة فأدركته صلاتها فى الطريق فصلاها بالمسجد المشهور وهى أول جمعة صلاها. ثم ارتحل للمدينة فبركت ناقته بمحل مسجده الآن فنزل بدار أبى أيوب حتى بنى مسجده ومنازل زوجاته وبنى أصحابه حوله. وكانت المدينة كثيرة الوباء فزال بدعائه ونقل الله منها الحمى. وفى هذا العام كان ابتداء الأمر بالأذان. وفى الثانى فرض الصوم وزكاة الفطر والمال وحولت القبلة للكعبة وغزا بدراً. وفى الثالث غزا أحداً. وفى الرابع بنى النضير وقصرت الصلاة وحرم الخمر وشرع التيمم وصلاة الخوف. وفى الخامس الخندق وبنى قريظة والمصطلق. وفى السادس عمرة الحديبية وبيعة الرضوان وفرض الحج. وفى السابع خيبر وعمرة القضاء. وفى الثامن وقعة مؤنة وفتح مكة

وحنين. وفى التاسع تبوك وحجة الصديق ويسمى عام الوفود. وفى العاشر حجة الوداع. وفى الحادى عشر وفاته ﷺ.

الكلام فى صفاته الظاهرة والباطنة

لم يكن ﷺ بالطويل ولا بالقصير لكنه إلى الطول أقرب وكان بعيداً ما بين المنكبين. أزهر اللون عظيم الهامة. واسع الجبين أزج الحاجبين. أبلج ما بينهما. كأن ما بينهما الفضة النقية أدعج العينين. مفلج الأسنان شعره غير جعد قطط ولا سبط بل وسط. أحسن الناس عنقا عريض الصدر واسع الظهر بين كتفيه خاتم النبوة مما يلى منكبه الأيسر فيه شامة سوداء وحولها شعرات متوالية طويل الزندين سخى الكفين يضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بطيب ريحها على رأسه. معتدل الخلق. يمشي هوناً بغير تبختر عرقه كاللؤلؤ فى البياض والمسك فى الريح. وكان أحلم الناس وأشجعهم وأعدلهم وأجودهم لا يبيت عنده درهم ولا دينار. وما سئل قط فقال لا. وأصدقهم لهجة وأشدهم تواضعاً وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة وأعظمهم حياء لا يثبت بصره فى وجه أحد يقبل الهدية ولو جرعة لبن، ويكافئ عليها بأكثر ويأكلها، ولا يأكل الصدقة يغضب لربه لا لنفسه. ينفذ الحق وإن عاد بالضرر عليه. لطيف الظاهر والباطن. يعرف فى وجهه غضبه ورضاه. وإذا أهمه أمر أكثر من مس لحيته. يتكلم بكلام بين يحفظه من سمعه. ويعيد الكلمة ثلاثاً أحياناً لتعقل عنه. متواصل الأحزان دائم الفكر لا يتكلم فى غير حاجة. كثير البكاء والضراعة. يمشى مع المساكين والأرملة لقضاء حوائجهما ويخصف نعله ويرقع ثوبه. يحلب شاته ويخدم أهله

ويعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويزور قبور المؤمنين ويسلم عليهم. ويستغفر لهم ويركب الفرس والبعير والحمار، ويركب منفرداً، ويردف أحياناً خلفه عبده أو زوجته وغيرهما. ويجالس الفقير. ويؤاكل المسكين. ويكرم أهل الفضل. ويتألف أهل الشرف، ويجلس للأكل مع العبيد. ويأتى إلى بساتين إخوانه إكراماً لهم ويمشى وحده بين أعدائه بلا حارس لا يهوله شيء من أمر الدينا. لا يحقر مسكينا لفقره. ولا يهاب ملكاً لملكه. ولا يواجه أحدا بما يكرهه. ويمزح ولا يقول إلا حقاً. ولا يضحك إلا تبسماً. يعجب مما يعجب منه جلساؤه. ولا يجلس إلا على ذكر الله. وكان أكثر جلوسه مستقبلاً محتبياً بيديه. وكان يأكل ما وجد ولا يتكلف ما فقد وإذا حضر طعام لا يرده وما عاب طعاماً قط بل إن أعجبه أكله وإلا تركه. وأكل لحم الإبل والغنم والدجاج والسمك والرطب والتمر وشرب اللبن صرفا وممزوجاً، وأكل الخبز بتمر وتارة بخل وتارة بشحم، وكبدَ الغنم مشوياً، والقديد والدباء وكان يحبها، والجبن والثريد والخبز بزبيب وزبد وإذا لم يجد شيئاً صبر حتى شد الحجر على بطنه الشريف. وكان يأكل لحم الطير الذى يصادفه ولا يتبعه ولا يصيده. ويأكل اللقمة الساقطة، ويقول: لا ندعها للشيطان. ويتبع ما سقط من المائدة، ويقول: من فعله غفر له. ويسمى الله أول طعامه وإذا فرغ حمده. ولا يأكل متكئاً. ويعجبه الذراع والعجوة والعسل والحلوى وأحب الفاكهة إليه العنب والبطيخ. وكان يلبس ما وجد كتاناً أو صوفاً أو قطناً والغالب القطن قميصاً، أو رداء، أو أزراراً أو غيرهما. ويحب الثياب الخضر ولبس البردة والجبة والحلة الحمراء والقباء، وكان له ثوبان للجمعة وبرد أخضر للعيد، ويلبس العمامة البيضاء والسوداء، والأكثر البيضاء

بغير قلنسوة وبها وقلنسوة بغير عمامة، ويجعل لها غالباً عذبة بين كتفيه، و لم تكن عمامته كبيرة تؤذي الرأس ولا صغيرة تقصر عن وقاية الحر والبرد. وكان لـــه عمامة تسمى السحاب فوهبها لعلى فكان إذا قدم فيها يقول أتاكم علـــي فى السحاب. وكانت ثيابه كلها فوق الكعبين، ويلبس ثوبه من ميامنـــه وينزعـــه بالعكس، ويقول عند لبسه: الحمد لله الذى كسانى ما أستر به عورتى واتجمل به. وإذا لبس جديداً أعطى الخلق مسكيناً وكان له ملحفة مصـــبوغة بـــورس وكان له خاتم من فضة وفصه منه ونقشه محمد رسول الله، وكـــان يتختـــم فى خنصر يمينه ويساره لكن اليمين أكثر. ويلبس النعال والتاسومة والخف، وكان فرشه من أدم حشوه ليف طوله ذراعان وشيء وعرضه ذراع ونحو شبر. وربما نام على حصير وعلى الأرض، وكان يحب الطيب ويكره الريح الكريه، ويتطيب بغالية ومسك ويتبخر بكافور وعود، ويكتحل بالأثمد ثلاثاً فى كل عين. وكان أكثر دعائه: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**». ومن دعائه: «**اللـــهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع وقلب لا يخشـــع ودعـــاء لا يسمع**». ومنه: «**اللهم لا سهل إلا ماجعلته سهلاً وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً**». وله ﷺ معجزات كثيرة منها: انشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه فشرب العسكر كلهم وتوضئوا من قدح صغير ضاق عن بسط يده فيه. وحن إليه الجذع الذي كان يخطب إليه لما فارقه للمنبر حتى سمع منه الناس كصـــوت الإبل فضمه إليه فسكن وسبح الحصى فى كفه والطعام بحضرته وكلمه الـــذراع وشكا إليه البعير، وسلمت عليه الغزالة وشهد له الذئب بالنبوة، وسعت إليـــه الشجر من مغارسها وتفل فى عين علي وهو أرمد فبرئت و لم يرمد بعد، ومسح

رجل ابن أبي عتيكة لما انكسرت فصحت. وقال في عثمان: «**تصيبه بلوى عظيمة**» فكان ما كان. ودعا لعلي بذهاب الحر والبرد فلم يحس بهما بعد. ودعا لابن عباس بالفقه في الدين وعلم التأويل فصار بحراً. ولأنس بكثرة المال والولد وطول العمر فرزق مائة ولد وعاش مائة سنة وصارت نخله تحمل في العام مرتين. ودعا على عتبة بن أبي لهب فقال: «**اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فأكله الأسد**». وأطعم ألفاً في غزوة الخندق من أقل من صاع. ورمى الكفار يوم حنين بقبضة من تراب فامتلأت أعينهم منها وانهزموا. وأخبر بأن عماراً تقتله الفئة الباغية فقتله جيش معاوية. وخرج على مائة من قريش ينتظرونه ووضع على رءوسهم تراباً فلم يروه.

ومن كلامه صلى الله عليه وسلم

وهو لا يحصيه إلا الله تعالى: قال عليه الصلاة والسلام: «**ابن آدم لك ما نويت، وعليك ما اكتسبت، وأنت مع من أحببت**». وقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور**». وقال: «**كونوا في الدنيا أضيافاً واتخذوا المساجد بيوتاً وعودوا قلوبكم الرقة وأكثروا التفكر والبكاء**». وقال: «**اتخذوا عند الفقراء الأيادي فإن لهم دولة يوم القيامة**». وقال: «**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**». وقال: «**حسن الجوار عمرة الديار وزيادة الأعمار، ومن آذى جاره أورثه الله داره**». وقال: «**لا تظهر الشماته بأخيك فيرحمه الله ويبتليك**». وقال: «**احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة**

لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف». وقال: «تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن لصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا». وقال: «أزهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما بأيدى الناس يحبك الناس». وقال: «احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت». وقال: «أخزن لسانك إلا من خير» وقال: «إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من نفسه وفقهه فى الدين». وقال: «إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح». وقال: «إذا رأيتم من يزهد فى الدنيا فادنوا منه فإنه يلقى الحكمة». وقال: «إذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحبه وهو مقيم على معاصيه فاعلموا أنه استدراج». وقال: «استفت قلبك وإن أفتوك». وقال: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة إمام جائر». وقال: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه». وقال: «أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك». وقال: «أعظم الناس خطايا اللسان الكذوب». وقال: «أعظم الناس خطايا أكثرهم خوضاً فى الباطل». وقال: «الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله». وقال: «من سعادة المرء حسن الخلق». وقال: «يا ابن آدم ارض من الدنيا بالقوت فإن القوت لمن يموت كثير». وقال: «إنك لن تدع لله شيئاً إلا عوضك الله خيراً منه». وقال: «ما جعل الله ولياً إلا على السخاء وحسن الخلق». وقال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». وقال: «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم فى

طلب المعيشة». وقال: «**من اتقى الله عاش قوياً وفى بلاد عدوه آمناً**». وقال: «**من أحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر منزلة الله عنده**». وقال: «**من أحب قوماً حشر معهم**». وقال: «**من أحب شيئاً أكثر من ذكره**». ثم سرى هذا السر وتحول من إمام الأمم رسول الله ﷺ إلى خليفته الأول. من عليه فى الدين والدنيا المعول. سيد سادات الطريق.

الإمام أبو بكر الصديق رضى الله عنه

وهو الذى أنزل فيه من القرآن المجيد: ﴿**ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾ [الرحمن: ٤٦] وقوله تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا**﴾ [الأحقاف: ١٥]، ولما نزل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾ [الأحزاب: ٥٦]، قال رضى الله عنه: يا رسول الله: ما أنزل الله عليك خيراً إلا أشركنا فيه فنزل: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ**﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾ [آل عمران: ١٥٦]، فيه، وفى عمر رضى الله عنهما، وقوله تعالى: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ**﴾ [الأعراف: ٤٣]، فيه وفى عمر وعلى رضى الله عنهم إلى غير ذلك وورد فى شأنه من الأحاديث الشريفة قوله ﷺ: «**ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد أفضل من أبى بكر إلا أن يكون نبياً**»، وقوله ﷺ: «**أرحم أمتى بامتى أبو بكر**»، وقوله ﷺ: «**إن روح القدس جبريل أخبرنى أن خير أمتك بعدك أبو بكر**»، وقوله ﷺ: «**ما لأحد عندنا يد إلا كافأناه إلا أبا بكر فإن له عندنا يداً**

يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مـــال أبى بكـــر» وقوله ﷺ: «**إن من أمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام**» ومثل ذلك ممـــا ملئت منه كتب الحديث والآثار، وهو رضى الله عنه أول من أسلم وأول مـــن سمى خليفة. وأول من جمع القرآن. وأول من سماه مصحفاً. وأول خليفة فرض له رعيته العطاء. وأول من اتخذ بيت المال وأول من لقب فى الإسلام بـــالعتيق. وأول من نافح عن رسول الله ﷺ من المسلمين. وأول من أنفق أمواله الكـــثيرة من المسلمين عليه ﷺ. وأول من ولى الخلافة وأبوه حي. وأول من عهد بهـــا. وأول من تسمى بالصديق. وأول خليفة ورثه أبوه. وهو ثاني رسول ﷺ. وثانية فى الهجرة. وثانيه فى الغار وثانيه فى العريش. وثانيه فى القبر. وله رضى الله عنه فى الإسلام المواقف العالية وعلى الأمة المحمدية الأيادي المتوالية، منـــها: قصـــة صبيحة يوم الإسراء وثباته وجوابه للكفار فى ذلك وهجرته مع النبي ﷺ تاركـــاً المال والعيال والأطفال وفداؤه بنفسه فى الغار ثم كلامه يوم بدر والحديبية وثباته حين اشتبه الأمر على غيره فى تأخير دخوله مكة ثم فهمه وبكاؤه بشدة حينمـــا قال المصطفى ﷺ: «**إن عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختار ما عنده**». ثم ثباته عند المصيبة العظمى بانتقال رسول الله ﷺ التى خـــرس عنـــدها فحـــول الرجال، ولذلك قال بعض أهل الكمال: إنه أشـــجع الصـــحابة فى الأقـــوال والأفعال. وقتاله لأهل الردة وبعث جيش أسامة فى تلك الشدة. وقتله مســـلمة الكذاب. واستخلافه عمر بن الخطاب. وكم له -رضى الله عنه- من موقـــف وأثر ومناقب لا تحصى ولا تحصر. وكان يقال له الأواه لشدة رأفتـــه وكمـــال

تقواه. فأعظم به من رفيق صديق توحد فى الأحوال بالتحقيق مختاراً لاختيار من دعاه إلى أقوم طريق حتى صار للمحنة هدفا وللبلاء غرضاً وزهد فيما عن لـــه جوهراً وعرضاً تفرد بالحق عن الالتفات للخلق حتى جمع بين الجمع والفـــرق. وقد قيل: التصوف الاعتصام بالحقائق عند تباين الطرائق. وقيل: أحوال قـــاهرة وأخلاق طاهرة وحقائق ظاهرة. وأكرم بسماعه مناجاة جبريل لرسول الله ﷺ، وقول الله تعالى له على لسان جبريل: هل أنت راض عنى بفقرك. واختصاصـــه باسم الصحبة فى القرآن المجيد والمعية الخاصة. وكان رضى الله تعالى عنه كـــثير التفكر والبكاء وقد استسقى يوماً فأتى بإناء فيه ماء وعسل فبكى وأبكى مـــن حوله فسكت وسكتوا ثم عاد فبكى حتى علا النحيب وتواجد البعيد والقريب ثم أفاق من غشيته ومسح وجهه ببردته، فقالوا له: ما هايجك على ذلك. حـــتى ظن كل منا أنه هالك. قال كنت مع المصطفى ﷺ فجعل يدفع عنـــه شـــيئاً، ويقول: إليك عنى إليك عنى و لم أر معه أحداً، فسألته، فقال: «**هذه الدنيا تمثلت لى بما فيها فزجرتها فتنحت**» وقالت: أما والله لأن انفلت منى لا ينفلت منى من بعدك فخشيت أن تكون لحقتنى، فذلك الذى أبكانى، وكان لا يفارق الجـــد، ولا يجاوز الحد، وقد قيل: التصوف الجد فى السلوك إلى ملك الملوك، وكـــان يقدم على المضار لما يؤمل من المسار وقد قيل: التصوف السكون إلى اللهيب فى الحنين إلى الحبيب وكان يقدم الحقير معتاضاً للخطير، وقد قيل: التصوف وقف الهمم على مولى النعم.

أتى المصطفى ﷺ بصدقته فأخفاها وقال: هذه صدقتى ولله عنـــدى معـــاد. وجاء عمر –رضى الله عنه– بصدقته فأفشاها وقال: لى عند الله معـــاد، فقـــال

المصطفى عليه الصلاة والسلام: يا عمر وترت قوسك بغير وتر. ما بين صدقتيكما كما بين كلمتيكما. وكان فى المصافاة صافياً وفى الموافاة وافياً، وقد قيل: التصوف استنفاد الطوق فى معاناة الشوق وترجئة الأمور على تصفية الصدور.

وكان رضى الله عنه أحزم الناس رأياً وأعلمهم بتعبير الرؤيا. وأكمل الصحابة عقلاً وأكثرهم صواباً قولاً وفعلاً. وكفاه شرفاً وفضلاً قول إمام المرسلين «**إن الله يكره فوق سمائه أن يخطئ أبو بكر الصديق**»، وكان أعلم الناس بالله وأخوفهم له حتى كان يخرج من جوفه ريح الكبد المشوية. وكان يحتاط فى مأكله ومشربه أشد احتياط، وإذا أكل أو شرب ما فيه شبهة ثم علمه استقاء بافراط. شرب لبنا من كسب عبده ثم سأله، فقال: تكهنت لقوم فأعطونى، فأدخل أصبعه فى فيه وتقايأ حتى ظن أن نفسه ستخرج ثم قال: اللهم إنى أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء.

قال فى ((الإحياء)): وكان يطوى ستة أيام وكان يأخذ بطرف لسانه ويقول: هذا أوردنى الموارد.

ومن كلامه رضى الله عنه: لا خير فى قول لا يراد به وجه الله، ولا فى مال لا ينفق منه فى سبيل الله، ولا فيمن يغلب جهله حلمه، ولا فيمن يخاف فى الله لومة لائم. ومنه: إذا دخل العبد العجب بشيء من زينة الدنيا مقته الله حتى يفارق تلك الزينة. ومنه: وجدنا الكرم فى التقوى والغنى فى اليقين والشرف فى التواضع. ومنه من ذاق من خالص المعرفة شيئاً شغله ذلك عما سوى الله

واستوحش من جميع البشر، ومنه: من مقت نفسه فى ذات الله آمنـه الله مـن مقته. ومنه: إياكم والفخر وما فخر من خلق من تراب ثم إليه يعود ثم يأكلـه الدود. ومنه: لا خير فى خير بعده النار ولا شر في شر بعده الجنة.

ودخل رضى الله عنه حائطاً فإذا بطير فى ظل شجرة فتنفس الصعداء وقال: طوبى لك يا طير تأكل وتستظل بالشجر وتصير إلى غير حساب ياليت.أبا بكر مثلك. وكان رضى الله عنه إذا مدح قال: اللهم أنت أعلم منى بنفسي وأنا أعلم بنفسي منهم فاجعلنى خيراً مما يظنون واغفر لى مالا يعلمون ولا تؤاخذني بمـا يقولون. وكان رضى الله عنه إذا قام إلى الصلاة كأنه عود مقطوع لما يعتريه من الخشوع.

وقال رضى الله عنه: وددت أنى شجرة تؤكل وتعضد. ولما مرض قيـل: ألا ندعو لك طبيباً قال: قد رآنى قالوا: ما قال لك قال قال لي: إنى فعال لما أريد. ثم دعا عمر رضى الله عنه فوعظه حتى أبكاه ثم قال: إن حفظت وصيتي فلا يك غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك وإن أنت ضيعتها فلا يك غائب أبغض إليك منه ولست بمعجزه ثم قال لمن حضر: أوصيكم بالله لفقركم وفـاقتكم أن تتقوه وأن تثنوا عليه بما هو أهله وأن تستغفروه إنه كان غفاراً، والسلام.

توفى بين المغرب والعشاء من ليلة الثلاثة لثمان بقين من جمادى الآخر سـنة ثلاث عشرة عن ثلاث وستين سنة على الأصح. وقد أشبع الجلال السـيوطي رحمه الله تعالى الكلام على ترجمته مفصلاً فى كتابه (تاريخ الخلفاء) فمن أحب الزيادة فليرجع إليه ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة منه.

سيدنا سلمان الفارسي رضى الله عنه

وهو أحد الرفقاء والنجباء ومن إليه تشتاق الجنة من الغرباء ثبت على القلة والشدائد لما نال من الصلة والعوائد. وقد قيل: التصوف مقاساة القلق فى مراعاة العلق. أصله من قرية من فرس أصفهان من ديار العجم وكان مجوسياً، وقد سافر إلى أرض الشام وصحب بها رهبان النصارى سنين عديدة ثم سافر إلى الروم ووصل إلى عموريه وهى بروسه وصحب رهبانها فأخبروه بقرب عهد النبي ﷺ فسافر يطلب الدين مع قوم فغدروا به فباعوه لبنى قريظة من اليهود. أسلم عند قدوم رسول الله ﷺ المدينة ثم كوتب فأدى عنه ﷺ كتابته وأعتقه.

وهو عظيم المناقب ولو لم يكن من مناقبه إلا قوله ﷺ «**السباق أربعة وعده منهم**». وقوله: «**سلمان منا أهل البيت**» وقوله: «**إنه أحد الذين تشتاق إليهم الجنة**» وقوله: «**إن الله يحب من أصحابى أربعة ذكره منهم**»، وكان من أكابر الزهاد وتزوج امرأة من كندة فدخل بيتها فوجده منجداً فقال أمحموم بيتكم أم تحولت الكعبة فى كندة أوصانى خليلي ﷺ أن لا يكون متاعي من الدنيا إلا كزاد الراكب، فلم يدخل حتى نزع كل ستر فى البيت. وسئل عنه على كرم الله وجهه -فقال: أدرك العلم الأول والآخر بحر لا ينزف. ونزل هو وحذيفة على نبطية فالتمس منها مكاناً يصلى فيه. فقالت: طهر قلبك وصل حيث شئت فبكى، وقال لحذيفة: خذها حكمة من قلب كافر، وكان إذا جن الليل صلى فإذا أعيي ذكر الله بلسانه، فإذا أعيي تفكر فى آيات الله وعظمته ثم يقول. لنفسه: استرحت فقومى فإذا صلى زمانا قال للسانه: استرحت فاذكر وهكذا طول الليل، وكان عطاؤه خمسة آلاف، وكان أميراً بالمدائن على زهاء ثلاثين

ألفاً ومع ذلك يخطب بالناس فى عباءة يفترش بعضها، ويلبس بعضها ولم يكن له بيت يظله وإنما يدور مع الظل حيث دار، وكان إذا خرج عطاؤه فرقه ولا يأكل إلا من كد يده فى عمل الخوص، وكان يجمع ما عمله بيده فيشتري به لحماً وسمكاً ويدعو المجذومين فيأكلون معه، وكان غالب الناس يسخرونه فى حمل متاعهم وهو أمير لعدم معرفتهم به لرثاثة حاله فربما عرفوه فيريدون يحملون عنه فيقول: لا حتى أوصلكم إلى المترل، وكان يعمل الخوص ويقول: أشتري خوصاً بدرهم فأعمله فأبيعه بثلاثة دراهم فأعيد درهما فيه وأنفق درهما على عيالي وأتصدق بدرهم، وكان لا يأكل من صدقات الناس. وقال له بعض غلمانه: كاتبنى فقال: ألك شيء؟ قال: لا قال: فمن أين تؤدي؟ قال: أسأل الناس، قال: أتريد أن تطعمنى غسالة الناس؟! وهو سابق الفرس وبلال سابق الحبشة وأصاب جارية فارسية، فقال: لها صل قالت: لا، قال: فاسجدي واحدة، قالت: لا، فقيل له: ما تغنى عنها سجدة، قال: لو سجدت صلت وليس من له سهم فى الإسلام كمن لا سهم له، وأرسل أبا الدرداء يخطب له امرأة فذكر لأهلها فضله وسابقته فقالوا: أما سلمان فلا نزوجه لكن نزوجك فتزوجها فخرج فقال له: قد كان شيء أستحى أن أذكره، قال: ما ذاك؟ فأخبره، قال: أنا أحق أن أستحى منك أن أخطبها وقد كان الله قضاها لك. وتفاخرت قريش عنده يوماً فقال: لكنى خلقت من نطفة مذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم إلى الميزان فإن ثقل ميزانى فأنا كريم وإن خفف فأنا لئيم، وخطب عمر رضى الله عنه فقال: أنصتوا حتى أسمعكم. فقال سلمان: والله لا نسمعك. قال: لم؟ قال: لأنك تفضل نفسك على رعيتك. قال: كيف؟ قال. عليك ثوبان وعلى الحاضرين ثوب

واحد. فقال: مهلاً يا أبا عبد الله! ثم نادى يا عبد الله! فلم يجبه أحد فقال: يا عبد الله بن عمر. قال: لبيك فقال: أنشدك الله أما تعلم أن هذا الثوب الثاني ثوبك. قال: اللهم نعم. فقال سلمان: الآن نسمع لك ونطيع، ودخل عليه أبو قلابة حال إمارته فوجده يعجن، فقال: ما هذا؟ قال: بعثت الخادم فى عمل فكرهت أن أجمع عليه عملين. ودخل رجلان فى حصن بناحية المدائن وهو أميرها فسلما ثم قالا: أنت سلمان. قال: نعم. قالا: أنت صاحب رسول الله ﷺ. قال: لا أدري فارتابا وقالا: لعله غير الذي نريد. فقال: أنا الذي تريد أنا رأيت رسول الله ﷺ وجالسته، وإنما صاحبه من يدخل معه الجنة، ودخل على مريض يعوده وهو فى النزع فقال: أيها الملك ارفق به فقال المريض: إنه يكون بكل مؤمن رفيق، وكتب إليه أبو الدرداء: أن هلم إلى الأرض المقدسة فكتب إليه: أن الأرض لا تقدس أحداً وإنما يقدس المرء عمله، وقد بلغنى أنك جعلت طبيباً فإن كنت تبرئ فنعماً لك وإن كنت متطبباً فاحذر أن تقل إنساناً فتدخل النار، فكان أبو الدرداء إذا قضى بين اثنين فأدبرا نظر إليها، وقال: متطبب والله ارجعا إلي أعيدا قصتكما، ودخل على أبى الدرداء فى يوم جمعة، فقيل: هو نائم، فقال: ما له؟ قال: إنه يحيي ليلة الجمعة ويصوم نهارها. فأمرهم فصنعوا طعاماً ثم قال له: كُلْ، فقال: إنى صائم، فلم يزل به حتى أكل ثم أتيا رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له فقال ﷺ: «**عويمر! سلمان أعلم منك ثلاث مرات وهو يضرب بيده على فخذ أبي الدرداء لا تخص ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام**»، ولما بنى على أهله قال لها بعد ما مسح بناصيتها ودعا بالبركة: إن رسول الله ﷺ أوصانى إذا اجتمعت مع أهلى أن أجتمع على

طاعة الله فقام وقامت إلى المسجد فصليا ما بدا لهما ثم خرج فقضى حاجته، ومن كراماته: أنه خرج من المدائن ومعه ضيف فإذا بظباء تسير فى الصحراء وطيور فى الهواء، فقال: ليأتنى منكن طير وظبى فقد جاءنى ضيف أحب إكرامه فأتياه فقال الرجل: سبحان الله! فقال له سلمان: أتعجب؟ هل رأيت عبداً أطاع الله فعصاه شيء؟ وروى الحافظ أبو نعيم قدس الله روحه عن الحارث بن عمير قال: انطلقت فأتيت المدائن، فإذا أنا برجل عليه ثياب رثة ومعه أديم أحمر يعركه فالتفت فرآنى، فقال: مكانك يا عبد الله، فقلت لمن كان عندي: من هذا الرجل؟ فقال: سلمان. فدخل بيته فلبس ثياباً بيضا ثم أقبل وأخذ بيدي وصافحني وسألني، فقلت: يا أبا عبد الله ما رأيتني فيما مضى ولا رأيتك ولا عرفتني ولا عرفتك، فقال: بلى والذى نفسي بيده لقد عرفت روحي روحك حين رأيتك ألست الحارث بن عمير قلت: بلى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلفت وما تناكر منها اختلفت**»، ومن كلامه العلم كثير والعمر قصير فخذ ما تحتاجه لدينك ودع ما سواه. وقال: إنما تملك هذه الأمة قبل نقص مواثيقها، وقال: مثل القلب والجسد مثل أعمى ومقعد، قال المقعد: أرى ثمرة فلا أستطيع أقوم إليها فاحملني فحمله فأكل وأطعمه، وقال: لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته، أخرجه مسلم عنه. وقال له عبد الله بن سلام: إن مت قبلى فأخبرني ما تلقى، وإن مت قبلك أخبرتك فمات سلمان قبله فرآه، فقال: كيف أنت؟ قال: بخير، قال: أى الأعمال وجدت أنفع قال: وجدت التوكل شيئاً عجيباً، وفى رواية: عليك بالتوكل نعم

الشيء التوكل. وقال: إنما مثل المؤمن فى الدنيا كمثل مريض معه طبيبه الـذي يعلم داءه ودواءه فإذا اشتهى ما يضره منعه، وقال: لا تقربه، فإنـك إن أتيتـه أهلكك ولا يزال يمنعه حتى يبرأ من وجعه كذلك المؤمن يشتهى أشياء كـثيرة فيمنعه الله عز وجل ويحجزه حتى يتوفاه فيدخله الجنة. وقال: إذا أسأت ربـك سراً فأطعه سراً، وإذا أسأته علانية فأطعه علانية لكى تمحو هذه هذه. وقـال: ثلاث أعجبتنى حتى ضحكت: مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وضاحك ملء فيه ولا يعلم أساخط عليه رب العالمين أم راضٍ؟ وثـلاث أحزنتنى حتى بكيت فراق رسول الله ﷺ، وهول المطلع، والوقوف بين يدى ربى عز وجل لا أدرى إلى الجنة أم إلى النار. وقيل له وقد اشترى وسقا من طعام: يا أبا عبد الله تفعل هذا، وأنت صاحب رسول الله ﷺ؟ فقـال: إن الـنفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت وتفرغت لعبادة الله عز وجل، ويئس منها الوسـواس. وعن عطية بن عامر قال رأيت سلمان رضى الله عنه أكره على طعام يأكلـه، فقال: حسبي حسبي، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أكثر الناس شـبعاً فى الدنيا أطولهم جوعاً فى الآخرة يا سلمان إنما الدنيا سـجن المـؤمن وجنـة الكافر**»، وروى أبو الفرج رحمه الله بسنده إلى ابن عباس -رضى الله عنـهما- قال: حدثنى سلمان الفارسي رضى الله عنه، قال: كنت فارسياً من قرية مـن قرى أصفهان تسمى جي وكان أبي دهقان قريته، وكنت أحب خلق الله إليـه فلم يزل حبه إياي حتى حبسني فى بيته كما تحـبس الجاريـة واجتهـدت فى المجوسية. وكانت لأبى ضيعة عظيمة يشتغل فى شأن له يوماً، فأمرنى أن أذهـب إلى ضيعته، وأوصانى ببعض ما يريد فخرجت أريد ضيعته فمررت بكنيسة من

كنائس النصارى فسمعت أصواهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدرى ما أمــر الناس لأنى محبوس فى البيت، فدخلت عليهم أنظر ما يصنعون، فلمــا رأيتــهم أعجبتنى صلاهم ورغبت فى أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الذى نحن فيــه، فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبى فلم آهما، وقلت لهــم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام فرجعت إلى أبي وقد بعث فى طلبي وشــغلته عن عمله فلما جئته قال: أى بنى أين كنت ألم أكن عهدت إليك ما عهــدت؟ قلت: يا أبت مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما رأيت من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس قال أي بني ليس فى ذلك الدين خير دينك ودين أبائك خير منه. قلت: كلا والله إنه لخير من ديننا فخافنى فجعل فى رجلي قيداً ثم حبسني في بيته، وبعثت إلى النصارى أنه إذا قدم عليكم تجار من نصارى الشام فأخبرونى بهم، فلما ساروا سرت معهم حــتى قــدمت الشــام فسألت: من أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف فى الكنيسة فجئته فقلــت: إنى أحببت أن أخدمك فى كنيستك وأتعلم منك وأصلى معك. قال: فادخــل، فدخلت معه، وكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغب فيها، فإذا جمعوا إليــه منها شيئاً اكتتره لنفسه ولم يعطه المساكين فأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع ثم مات فاجتمعت إليه النصاري ليدفنوه فقلت لهم: إن هذا رجل سوء وأخبرهم بخبره قالوا: وما أعلمك بذلك فأريتهم موضع كتره فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً. فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبــداً وصــلبوه ثم رمــوه بالحجارة ثم جاؤا بآخر فجعلوه مكانه فما رأيت رجلاً أفضل منه صلاة وزهداً فى الدنيا ورغبة فى الآخرة فأحببته كثيراً وأقمت عنده زماناً ثم حضرته الوفــاة

فقلت له: إني كنت معك وأحببتك حباً عظيماً، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى فإلى من توصى بي؟ وما تأمرني؟ قال: أى بنى والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه. لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما أمروا به إلا رجلاً بالموصل هو فلان، وهو على ما كنت عليه فالحق به، فلما مات وغيِّب لحقت بصاحب الموصل فأخبرته بالوصية، فقال لى: أقم عندي فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه فلم يلبث أن حضرته الوفاة فقلت له: إن فلاناً أوصانى إليك وأمرني باللحوق بك وقد دنا أجلك، فإلى من توصى بي؟ وما تأمرني؟ قال: أى بنى والله ما أعلم أحداً على مثل ما كنت عليه إلا رجلاً بنصيبين هو فلان فالحق به، فلما مات لحقت بصاحب نصيبين فجئته فأخبرته خبري قال: فأقم عندي فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه خير رجل فوالله ما لبث أن حضرته الوفاة، فقلت له كما قلت للأول والثاني، قال: أى بني والله ما أعلم أحداً بقى على أمرنا أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية هى مدينة بروسه فإن أحببت فأته، فلما مات ووری لحقت بصاحب عمورية فذكرت له أمري قال: فأقم عندي فأقمت عند رجل على عهد أصحابه فاكتسبت حتى كانت لى بقرات وغنيمة، ثم حل به أمر الله عز وجل فلما احتضر قلت له مقالتي المتقدمة قال: أي بني والله ما أعلم أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ولكنه قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى لا يأكل الهدية الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ثم مات فدفناه ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بى رجال من كلب تجاراً فقلت

لهم: تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي وغنيمتي هذه؟ قالوا: نعم، فأعطيتهم إياها وحملوني، فلما قدموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل من اليهود عبداً، فكنت عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لي صاحبي ولم تحزن نفسي، فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من المدينة من بنى قريظة فابتاعني منه فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي فأقمت بها. وبعث الله تعالى رسول الله ﷺ فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرق ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفى رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه. فقال فلان: قاتل الله بنى قيلة يعنى الأوس والخزرج الآن، والله إنهم لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم ويزعم أنه نبي، فلما سمعتها أخذتني العرواء حتى ظننت كأني ساقط على سيدي ونزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه: ماذا تقول؟ فغضب سيدي ولكمني لكمة وقال: مالك ولهذا! أقبل على عملك، قلت: لا شيء إنما أردت أن استثبته عما قال، وكان عندى شيء قد جمعته، فلما أمسيت ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني إنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم وقربته إليه فقال ﷺ لأصحابه: كلوا وأمسك يده فلم يأكل، فقلت في نفسي هذه واحدة، ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً وقد تحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ثم جئته به، وقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه فقلت في نفسي هاتان اثنتان، ثم

جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد وقد تبع جنازة مع أصحاب لـه عليـه شملتان وهو جالس فى أصحابه، فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هـل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبى؟ فلما رآنى ﷺ استدبرته عرف أنى استثبت فى شىء وصف لى، فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم، فانكببت عليـه أقبله وأبكى، فقال لى: تحول فتحولت فقصصت عليه حديثى كما حدثتنك يا ابن عباس، فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع أصحابه، ثم شغلنى الرق حتى فاتنى معه بدر وأحد ثم قال لى ﷺ: يا سلمان كاتب، فكاتبت صاحبي على ثلثمائـة نخلة أحيبها له بالقفيز يعنى البئر وبأربعين أوقية، وقال لأصحابه: أعينوا أخاكم فأعانونى بالنخل الرجل بثلاثين ودية، والرجل بعشرين، والرجل بخمسة عشر، والرجل بعشرة، يعيننى الرجل بقدر ما عنده. حتى اجتمعت لى ثلثمائة وديـة، فقال لى رسول الله ﷺ: اذهب يا سلمان ففقز، فإذا فرغت أكون أنـا الـذى أضعها بيدى، ففقزت لها وأعاننى أصحابي حتى إذا فرغت منها جئت فأخبرتـه فخرج ﷺ معى إليها فجعلنا نقرب الودى ورسول الله ﷺ يضعه بيده، فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة وأديت فبقى على المـال، فـأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن، فقال: ما فعـل الفارسي المكاتب؟ فدعيت له، فقال: خذ هذه فأدها مما عليك فأخذتها فوزنت لهم منها، والذى نفس سلمان بيده أربعين أوقية، فأديتهم حقهـم وعتقـت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق ثم لم يفتنى معه مشهد، ودخل سعد بن أبي وقاص عليه ليعوده -رضى الله عنهما- فبكى سلمان، فقال لـه سـعد: مـا يبكيك؟ توفى رسول الله ﷺ وهو عنك راض وترد على الحوض. فقال سلمان:

ما أبكى فزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً فقال: ليكن بلغة أحدكم مثل زاد الراكب وحولى هذه الأساودة، وإنما حوله أجانة وجفنة ومطهرة. فقال له سعد: أوصنا، قال: اذكر ربك عند همك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند يدك إذا قسمت. ولما مات بيع متاعه كله فبلغ أربعة عشر، درهما وقيل له: أوصنا، فقال: من استطاع منكم أن يموت حاجاً، أو غازياً، أو عامراً لمسجد ربه فليفعل. ولا يموتن تاجراً، ولا جابياً. وكان قد أصاب صرة مسك أو دعها امرأته، فلما حضرت الوفاة قال: هات مسكافا فأمريه فى ماء ثم انضحيه حولى، فإنه يأتي الآن زوار، ففعلت، فلم يمكث إلا بقية يومه.

ثم توفى -رضى الله عنه- وذلك سنة ست وثلاثين، أو أربع وثلاثين، فى داء البطن بالمدائن فى خلافة عثمان -رضى الله عنه- وعمره مائتان أو ثلثمائة وخمسون سنة. أما الأول فعليه عند المؤرخين المعول ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة منه.

سيدنا القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه

قال أيوب السبختيانى رضى الله عنه: ما رأيت أفضل من القاسم لقد ترك مائة ألف وهى له حلال. وجاءه أعرابي فقال: أنت أعلم أو سالم؟ فقال: ذاك مترل سالم، فلم يزده عليها حتى قام الأعرابى. قال محمد ابن إسحق: كره أن يقول: هو أعلم مني فيكذب، أو يقول: أنا أعلم منه فيزكى نفسه، وكان القاسم أعلمهما، وقال مالك: قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنهما: لو كان

لى من الأمر شىء لوليت القاسم الخلافة. وقال سفيان: اجتمعوا إلى القاسم فى صدقة قسمها، وقام يصلي فجعلوا يتكلمون، فقال ابنه: إنكم اجتمعتم على رجل والله ما نال منها درهما ولا دانقاً، فأوجز فى صلاته، وقال: يا بنى قل فيما علمت. يقول سفيان: وصدق ابنه، ولكن أراد تأديبه فى النطق وحفظه، وعن يحيى بن سعيد قال: ما أدركنا فى المدينة أحداً نفضله على القاسم وهو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة وهم: القاسم المشار إليه، وخارجة بن زيد بن ثابت الأنصارى، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ولد ابن أخى عبد الله بن مسعود الصحابى، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام كان الحرث من جملة الصحابة -رضى الله عنهم- أخو أبي جهل وسليمان بن يسار مولى ميمونة زوج النبي ﷺ وهو أخو عطاء وهؤلاء الفقهاء السبعة كانوا بالمدينة فى عصر واحد، وعنهم انتشر العلم والفتيا فى الدنيا، جمعهم بعض العلماء فى بيتين فقال:

ألا كل من لا يقتدى بأئمة ... فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم ... سعيد سليمان أبو بكر خارجه

ولولا كثرة فقهاء زماننا إلى معرفتهم لما ذكرتهم لأن فى شهرتهم غنية عن ذكرهم فى هذا السفر. وإنما قيل لهم الفقهاء السبعة وخصوا بهذه التسمية لأن الفتوى بعد الصحابة -رضوان الله عليهم- صارت إليهم وشهروا بها، وقد كان فى عصرهم جماعة من التابعين مثل سالم بن عبد الله بن عمر وأمثاله ولكن الفتوى لم تكن إلا لهؤلاء السبعة؛ كذا قال الحافظ السلفي، ولما مات عبد الملك بن مروان أسف عليه عمر بن عبد العزيز أسفاً منعه من العيش، وقد كان ناعماً

فلبس مسحاً سبعين ليلة، فقال له القاسم بن محمد: أما علمت أن من مضى من سلفنا كانوا يحبون استقبال المصائب بالتحمل ومواجهة النقم بالتجمل فراح من يومه في مقطعات من حبر اليمن شراؤها ثمانمائة دينار، وفارق ما كان يصنع. وعن حماد بن زيد عن أيوب قال: سمعت القاسم يسأل عن شيء فيقول: لا أدرى لا أعلم فلما أكثروا عليه قال: والله ما أعلم ما تسألون عنه، ولو علمنا ما كتمناكم ولا حل لنا أن نكتمكم، وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: ما رأيت أحداً أعلم بالسنة من القاسم. وكان الرجل لا يعد رجلاً حتى يعرف السنة، ومن كلامه: لأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حق الله عليه خير له من أن يقول مالا يعلم. وكان يقول في سجوده: اللهم اغفر لأبي ذنبه في عثمان، وعن أيوب قال: رأيت على القاسم -رضى الله عنه- رداء قد صبغ بشيء من زعفران ويدع مائة ألف لا يري لها قدراً. أسند الحديث عن عائشة، وابن عباس، وابن عمر، وغيرهم رضى الله عنهم. وخرج له الستة، وعامة مسانيده في المناسك والأحكام، وكان أفضل أهل زمانه. وقال مالك: كان القاسم من فقهاء هذه الأمة ولما احتضر قال: كفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها قميصي وإزارى وردائي، فقال ابنه: يا أبت ألا نزيد ثوبين؟ فقال: هكذا كفن أبو بكر رضى الله عنه في ثلاثة أثواب والحي أحوج إلى الجديد من الميت. توفى في قُدَيْر -بضم القاف وفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة- منزل بين مكة والمدينة وكان حاجاً أو معتمراً وذلك سنة ثمان، أو تسع ومائة عن سبعين، وقد كف بصره الكريم وقال لابنه: شنَّ التراب

على شنا، وشق على قبري والحق بأهلك، وإياك أن تقول: كان وكان -عليه منَّ الله الرحمة والرضوان- ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة منه.

سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه

وهو إمام ورث مقام النبوة والصديقية لأن جده سيد الشهداء الإمام الحسين وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق. وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق. أخذ الحديث عن أبيه وجده لأمه وعروة وعطاء ونافع والزهرى وعنه السفيانان ومالك والقطان. خرج له الجماعة سوى البخارى. قال أبو حاتم: ثقة لا يسئل عن مثله، وله كرامات كثيرة ومكاشفات شهيرة منها: أنه سعى به عند المنصور فلما حج أحضره الساعى وأحضروه، فقال للساعي: أتحلف؟ فقال: نعم، فحلف، فقال جعفر للمنصور: حلفه بما أراه فقال: حلفه، فقال: قل برئت من حول الله وقوته والتجأت إلى حولى وقوتي لقد فعل جعفر كذا وكذا، فامتنع الرجل ثم حلف، فما تم حتى مات مكانه. ومنها: أن الطاغية قتل مولاه، فلم يزل ليلته يصلى ثم دعا عليه عند السحر، فسمعت الضجة بموته، ومنها: أنه لما بلغه قول الحكم بن العباس الكلبي في عمه زيد:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ... ولم نر مهدياً على الجذع يصلب

قال: اللهم سلط عليه كلباً من كلابك، فافترسه الأسد. ومنها: ما خرجه الطبري من طريق وهب قال: سمعت الليث بن سعد يقول: حججت سنة ثلاث عشرة ومائة، فلما صليت العصر رقيت أبا قبيس، فإذا رجل جالس يدعو، فقال: يارب يارب حتى انقطع نفسه ثم قال: يا حي يا حي حتى انقطع نفسه ثم

قال: إلهى إنى اشتهيت العنب فأطعمنيه، وإن برديَّ قد خلقا فاكسنى قال الليث: فما تم كلامه حتى نظرت إلى سلة ملوءة عنباً وليس على وجه الأرض يومئـــذ عنب وإذا ببردين لم أر مثلهما فأراد الأكل فقلت: أنا شريكك لأنك دعـــوت وأنا أؤمن، فقال: كل ولا تخبأ ولا تدخر ثم دفع إلى أحد البردين فقلت: لى عنه غنى فاتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ثم أخذ الخلعتين ونزل فلقيه رجل، فقـــال: ألبسنى يا ابن رسول الله فدفعهما إليه فقلت: من هذا؟ قال جعفر الصادق: قال الليث فطلبته لأسمع منه فلم أجده، ومن كلامه: لا يتم المعروف إلا بثلاث: أن تصغره فى عينك، وتستره، وتعجله. وقال: إذا أقبلت الدنيا على إنسان أعطتـــه محاسن غيره، وإذا أدبرت سلبته محاسن نفسه. وقال: لا مال أعوز من العقـــل، ولا مصيبة أعظم من الجهل، ولا مظاهرة كالمشـــاورة ألا وإن الله يقـــول: إنى جواد كريم ولا يجاورنى لئيم. وقال: من زعم أن الله فى شىء، أو من شىء، أو على شىء فقد أشرك؛ لأنه لو كان على شىء كان محمولاً أو فى شىء كـــان محصوراً، أو من شىء كان محدثاً. وقيل له: ما بالنا ندعو فلا يجاب لنا، قـــال: لأنكم تدعون من لا تعرفون. وكان يلبس الجبة الغليظة القصيرة من الصـــوف على جسده، والحلة من الخز على ظاهره، ويقول: نلبس الجبة لله والخز لكـــم، فما كان لله أخفيناه، وما كان لكم أبديناه. وقال لأبى حنيفة: إنك تقـــيس فى الدين وإن أول من قاس إبليس، قال: إنما أقيس فيما لم أجد فيه نصاً. وقال: لا تأكلوا من يد جاعت ثم شبعت. وقال: إذا أذنبت فاستغفر، فإنما هى خطايـــا مطوقة فى أعناق الرجال قبل أن يخلقوا وإياك والإصرار. وقال: أوحـــى الله إلى الدنيا من خدمنى فاخدميه، ومن لم يخدمنى فاســـتخدميه. وقـــال: لا مـــروءة

لكذوب، ولا راحة لحسود، ولا خلة لبخيل، ولا إخاء لملول، ولا سؤدد لسيء الخلق. وقال: كف عن محارم الله، وامتثل أوامره تكن عابداً، وارض بما قسم الله تكن مسلماً، واصحب الناس على ما تحب أن يصحبوك تكن مؤمناً، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره. وقال: من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذلك المعصية إلى عز الطاعة. وقال: من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل مدخل السوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم. وقال: حكمة تحريم الربا أن لا يتمانع الناس المعروف. وقال: مودة يوم صلة، ومودة شهر قرابة، ومودة سنة رحمٌ ثابتة من قطعها قطعه الله. وقال: عزت السلامة حتى لقد خفى مطلبها، فإن تك فى شيء فيوشك أن تكون فى الخمول، فإن لم تكن فيه، ففى التحلى ليس كالخمول، فإن لم تكن فيه ففى الصمت فإن لم تكن فيه ففى كلام السلف الصالح، والسعيد من وجد فى نفسه خلوة. وقال: من استبطأ رزقه فليكثر من الاستغفار. وقال: من أعجب بشيء من أمواله وأراد إبقاءه فليقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله. وقال: الفقهاء أمناء الرسل ما لم يأتوا أبواب السلاطين، ومن دعائه: اللهم أعزني بطاعتك، ولا تذلني بمعصيتك، اللهم ارزقنى مساواة من قترت عليه رزقك بما وسعت على من فضلك. وقال: لا زاد كالتقوى. وقال مضر بن كثير: دخلت أنا وسفيان الثورى على جعفر الصادق فقلت: إنى أريد البيت الحرام فعلمنى شيئاً أدعو به فقال: إذا بلغت الحرم فضع يدك على الحائط، وقل: يا سابق الفوت، ويا سامع الصوت، ويا كاسى العظام لحماً بعد الموت، ثم ادع بما شئت. وقال: إذا بلغك من أخيك أنه قال فيك ما تكره، فلا تغتم لذلك إن كانت حقاً كانت عقوبة عجلت، وإن كان غير ذلك

فحسنة لم تعلمها. وقال: روى عن موسى عليه الصلاة والسلام أنه قال: يارب أسألك أن لا يذكرني أحد إلا بخير قال الله عز وجل ما فعلت ذلك لنفسي. وقال: أربع لا ينبغي لشريف أن يأنف منها: قيامه من مجلسه لأبيه وخدمته لضيفه، وقيامه على دابته ولو أن له مائة عبد، وخدمته لمن يتعلم منه. وكان يقول: إذا بلغتك عن أخيك ما تكرهه فاطلب له من عذر واحد إلى سبعين عذراً فإن لم تجد له عذراً فقل: لعل له عذراً لا أعرف. وقال لرجل من قبيلة: من سيد هذه القبيلة؟ فقال الرجل: أنا، فقال: لو كنت سيدهم ما قلت أنا. ودخل سفيان الثوري -رضى الله عنه- فرأى عليه جبة من خز فقال له: إنكم من بيت النبوة تلبسون هذا فقال: ما تدري أدخل يدك فإذا تحته مسح من شعر خشن، ثم قال: يا ثورى أرني ما تحت جبتك فوجد تحتها قميصاً أرق من بياض البيض فخجل سفيان ثم قال: يا ثوري لا تكثر الدخول علينا تضرنا ونضرك. وكان يطعم المساكين حتى لا يبقى لعائلته شيء. وقال: إذا سمعتم عن مسلم كلمة فاحملوها على أحسن ما تجدون حتى لا تجد لها محلاً فلوموا أنفسكم. وعن جعفر بن محمد عن أبيه -رضى الله عنهما- قال: لما طعن عمر -رضى الله عنه- بعث إلى حلقة من أهل بدر كانوا يجلسون بين القبر والمنبر، فقال: يقول لكم عمر أنشدتكم بالله أكان هذا عن رضا منكم؟ فقام على بن أبى طالب -رضى الله عنه- فقال: لا والله، ووددنا أنا زدنا فى عمره من أعمارنا. وقال ابن أبى حازم: كنت عند جعفر إذ جاء آذنه فقال: سفيان الثوري بالباب فقال: أئذن له، فدخل فقال جعفر: يا سفيان إنك رجل يطلبك السلطان، وإنى أتقى السلطان، أخرج عنى غير إيثار لذلك، فقال سفيان: حدثنى حتى أسمع وأقوم

فقال: حدثني أبي عن جدي أن رسول الله ﷺ قال: «**من أنعم الله عليه نعمة فليحمد الله، ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله، ومن حزبه أمر فليقل لا حول ولا قوة إلا بالله**»، وقال أرباب السير: وقع الذباب على وجه المنصور فذبه حتى أعجزه وأضجره، فدخل جعفر فقال له: يا أبا عبد الله ما الحكمة في خلق الذباب قال: ليذل به الجبابرة. وكان رجل من أهل السواد يؤم جعفراً فغاب عنه فقال له رجل: إنه تبطَّئ، يريد أن يضع منه عنده فقال جعفر: أصل الرجل عقله، وحسبه دينه، وكرمه تقواه، والناس في آدم مستوون. وحج المنصور سنة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة فقال على بن محمد عليهما السلام: قتلني الله إن لم أقتله فتغافل عنه الربيع لينساه ثم أعاد ذكره فتغافل عنه، فأعاد ذكره ثالثاً برسالة قبيحة للربيع، فلما جيء به قال له الربيع: العذر إليك قد شدد في طلبك، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما دخل عليه قال: يا عدو الله اتخذك أهل العراق إماماً يحملون إليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وبيعتي، قتلني الله إن لم أقتلك، فقال جعفر: يا أمير المؤمنين إن سليمان عليه الصلاة والسلام أعطى فشكر، وإن أيوب عليه الصلاة والسلام ابتلى فصبر، وإن يوسف عليه الصلاة والسلام ظلم فغفر، وأنت من ذلك العنصر فقال له المنصور: إلى أبا عبد الله البرئ الساحة جزاك الله من ذي رحم أفضل ما جازى به ذوي الأرحام عن أرحامهم ثم تناول يده وأجلسه معه على فراشه وطيبه بيده حتى جعل لحيته قاطرة طيباً ثم أمر له بجائزة وكسوة، وقال: انصرف في حفظ الله وكنفه فانصرف فقال له الربيع: إني رأيت عجباً، فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت؟ قال: قلت اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام،

واحفظني بقدرتك على لا أهلك وأنت رجائي، اللهم إنك أعظم وأجل مما أخاف وأحذر، اللهم بك أدفع في نحره، وبك أستعيذ من شره. وقال: عجبت لمن أعجب بأمر لنفسه كيف لا يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله والله تعالى يقول: **﴿وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾** [الكهف:٣٩] وعجبت لمن خاف قوماً كيف لا يقول: حسبي الله ونعم الوكيل، والله تعالى يقول: **﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾** [آل عمران: ١٧٣- ١٧٤]، وعجبت لمن مكر به كيف لا يقول: **﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾** [غافر: ٤٤]، والله تعالى يقول في حق من قالها **﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾** [غافر: ٤٥]وعجبت لمن أصابه غم كيف لا يقول لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين والله تعالى يقول في شأن من قالها **﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾** [الأنبياء: ٨٨]، كانت ولادته سنة ثمانين للهجرة وهي سنة سيل الجحاف، وقيل بل ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس ثامن شهر رمضان سنة ثلاثة وأربعين، وتوفى في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة، ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده على زين العابدين وعم جده الحسن بن على -رضى الله عنهم أجمعين- فلله دره من قبر ما أكرمه! وأشرفه! ثم ولد له ولد اسمه القاسم وللقاسم بنت اسمها كلثوم، وهم المدفونان بالقرافة بقرب الإمام الليث بن سعد على يسار الداخل من الدرب المتوصل منه إليه. ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة بالروحانية منه سيدنا.

أبو يزيد البسطامي رضى الله عنه

وكان نادرة زمانه حالاً وقالاً، وأنفاساً وورعاً، وعلماً وتقىً، ووجداً وزهداً، وهو القائل:

أريدك لا أريدك بالثواب ولكنى أريدك للعقاب
وكل مآرب قد نلت منها سوى ملذوذي جد لى بالعذاب

أسرج له السراج ليلة فقال لأصحابه: إنى أجد وحشة فى السراج فقالوا له: يا سيدنا استعرنا قارورة من البقال لنأتى بالدهن فيها مرة، فأتينا فيها مرتين فقال: اعرفوا البقال أرضوه ففعلوا فزالت عنه، قال الشيخ الأكبر محيى الدين بن العربى قدس سره: وكان حاله التجريد وعدم الادخار. فقال يوماً لأصحابهم: فقدت قلبى فاطلبوا البيت فوجدوا فيه قطف عنب. فقال: رجع بيتنا بيت البقالين فتصدقوا به فوجد قلبه. ذكر الشيخ الأكبر أنه كان القطب الغوث فى زمانه حيث قال: من الأقطاب من يكون ظاهراً لحكم، ويحوز الخلافة الظاهرة كما حاز الباطنة من جهة المقام كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنهم. ومنهم من له الخلافة الباطنة، ولا حكم له فى الظاهرة كأبى يزيد ولما تكلم فى علوم الحقائق و لم يفهم أهل عصره كلامه رموه بالعظائم ونفوه من بلده سبع مرات وهم فى كل مرة يختل أمرهم، ويترل بهم البلاء حتى أذعنوا له وأجمعوا على تعظيمه. وكان إذا ذكر الله يبول الدم. وقال الشيخ الأكبر: قال بعض المحجوبين لأبى يزيد: شربت شربة فلم أظمأ بعدها أبداً، فقال أبو يزيد الرجل من يشرب البحار ولسانه خارج على صدره من العطش، فأشار

إلى أن الحبَّ من شرب بلا ري. وقال الشيخ أيضاً قدس الله سره العزيز: جربت المخبرين عن الله إذا ضربوا الأمثال لأمر ما، فإنه لابد من وقوع ذلك المضروب به المثل، كان أبو يزيد البسطامى يشير عن نفسه أنه قطب الوقت، فقيل له يوماً عن بعض الرجال: إنه يقال فيه أنه قطب الوقت، فقال: الولاة كثيرون وأمـــير المؤمنين واحد لو أن رجلا شق العصا وقام ثائراً فى هذا الموضع وأشار على قلعة هناك وادعى أنه خليفة قتل و لم يتم له ذلك، وبقى أمير المؤمنين أمير المـــؤمنين، فما مرت أيام حتى ثار فى تلك القلعة ثائر ادعى الخلافة فقتل وما تم له ذلـــك فوقع ما ضرب به أبو يزيد المثل عن نفسه. وقتل نملة خطأ فنفخ فيها فأحياهـــا خوفاً من المطالبة. وقال: أوقفنى الحق بين يديه، وقال: يا أبا يزيد بأي شـــىء جئتنى؟ قلت: بالزهد فى الدنيا قال: إنما مقدار الدنيا عندى جناح بعوضة ففـــيم زهدت؟ قلت: إلهى أستغفرك من ذلك جئت بالتوكل عليك. قال: ألم أكن ثقة فيما ضمنت لك. قلت: أستغفرك جئتك بك أو قال: بالافتقار إليك. فقـــال: عند ذلك قبلناك. وقال: ووقفت مع العابدين فلم أر لى معهم قدماً، فوقفت مع المجاهدين فلم أر لى معهم قدماً، فوقفت مع المصلين والصائمين فلم أرلى معهـــم قدماً، فقلت: يا رب كيف الطريق إليك؟ فقال لى: اترك نفسك وتعال، قـــال الخواص: فاختصر له الطريق بألطف كلمة وأخصرها، فإنه إذا ترك حظ نفســـه من الدارين قام الحق معه، ومن فوائده التى لا تكاد تحصـــى: ســـر فى ميـــدان التوحيد حتى تصل إلى دار التفريد وطر فى دار التفـــرين حـــتى تلحـــق وادى الديمومية. وأرسل ذو النون المصري يقول له: إلى متى النوم والراحة وقد جازت القافلة؟ فقال لمن أتاه: قل لأخى ليس الرجل من يسير مع القافلة إنما الرجل من

ينام إلى الصباح فيصبح أمامها فى المترل، فقال ذو النون: هنيئاً له هذا كلام لا تبلغه أحوالنا. وقال: علامة العارف أن يكون طعامه ما وجد، ومبيته حيث أدرك، وشغله بربه. وجاء رجل إلى بابه فدقه، فقال من تطلب؟ قال: أبا يزيد، فقال: ليس فى البيت غير الله. ومشى خلف أبى يزيد رجل من أصحاب ذى النون المصري، فقال له: من تطلب؟ قال: أبا يزيد فقال يا بنى أبو يزيد يطلب أبا يزيد من أربعين سنة، فرجع إلى ذو النون وأخبره فغشى عليه، وفى رواية: قال ذو النون: إن أخى أبا يزيد فقد نفسه فى حب الله تعالى، فصار يطلبها مع الطالبين. وقال: أمر الله العباد ونهاهم فأطاعوا فخلع عليهم خلعاً، فاشتغلوا عليه بالخلع، وإنى لا أريد من الله إلا الله. وذكر عنده الزهد فقال: ما أهونه زهدت فى اليوم الأول فى الدنيا وما فيها، وفى الثانى فى الآخرة وما فيها، وفى الثالث فيما سوى الله. وسئل من أين تأكل؟ فقال مولاى يطعم الكلب والخترير أفلا يطعم أبا يزيد؟ وقال: انسلخت من جلدي فرأيت من أنا؟ قال العارف السهروردى: أشار إلى النفس الناطقة. وصلى خلف إمام الجامع، فلما سلم الإمام قال: يا أبا يزيد من أين تأكل؟ قال: اصبر حتى أعيد صلاتى، فإنك شككت فى رزق المخلوق، ولا تجوز الصلاة خلف من لا يعرف الرزاق. وقال: غلطت فى بدايتى فى أربعة: توهمت أنى أذكره، وأعرفه، وأحبه وأطلبه فلما نظرت رأيت ذكره لى، ومعرفته بى وحبه لى، وطلبه إياى كان أولا حتى طلبته. وقال: قلت يوماً: سبحان الله! فنادانى الحق فى سرى هل فى عيب تنزهنى عنه؟ قلت: لا يارب، قال: فنفسك نزه عن ارتكاب الرذائل، فأقبلت على نفسى بالرياضة حتى تترهت عن الرذائل وتحلت بالفضائل، فصرت أقول:

سبحانى ما أعظم شأنى من باب التحدث بالنعمة. وقال: ليس العالم من يحفظ من كتاب فإذا نسى ما حفظ صار جاهلاً بل من يأخذ العلم من ربه أى وقت شاء بلا حفظ ولا درس، وهذا هو العالم الربانى. وقال: إذا رأيت من يؤمن بكلام أهل هذه الطريق فقل له يدعو لك، فإنه مجاب الدعوة. وقال: قال لى الحق اخرج إلى خلقى بصفتى من رآك رآنى. قال سيدنا الشيخ الأكبر: هو ظهور صفات الربوبية عليه ألا ترى خلفاء الحق فى العباد لهم الأمر والنهى والحكم والتحكم، وهذه صفة الإله، والسوقة مأمورة بالسمع والطاعة. وقال: حظوظ كرامات الأولياء مع تباينها من أربعة أسماء، وقيام كل فريق منهم من اسم منها الأول والآخر والظاهر والباطن، فمن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته، أو الباطن لا حظ ما جرى فى السرائر من أنواره، أو الأول كان شغله بما سبق، أو الآخر كان مرتبطاً بما يستقبله. وقال: أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذى لا يموت. قال سيدنا الشيخ الأكبر: فعلماء الرسوم يأخذون خلفاً عن سلف إلى يوم القيامة فيبعد النسب والأولياء يأخذون عن الله ألقاه فى صدورهم من لدنه رحمة منه وعناية سبقت لهم عند ربهم؛ ا.هـ. وقال: كنت فى حالة توهمت أنى وصلت إلى غاية الوصال ففاجأنى شيخ، وقال: يا أبا يزيد نهايتك بداية القوم. وقال: رأيت الحور فى النوم فنظرت إليهن فانتبهت وقد سلب وقتى ثم رأيتهن فأعرضت عنهن، فأنعم على بوقتى. وقال: الأولياء لا يفرحون بإجابة الدعوات التى هى عين الكرامات كالمشى على الماء والهواء، وطى الأرض، وركوب الماء، فإن أدعية الكفار تجاب، والأرض تطوى للشياطين والدجال، والهواء مسخر للطير، والماء

للحوت، فمن أنعم عليه بشيء منها فلا يأمن المكر. وقال: ما وجدت المعرفة إلا ببطن جائع وبدن عار، وقيل له: حدثنا عن رياضة نفسك فى بدايتك، فقال: دعوتها إلى الله فنكلت على، فعزمت عليها ألا أشرب الماء ولا أذوق النوم سنة فأذعنت. وقال: إنما نالوا ما نالوا بتضييع ما لهم، وشهود ماله تعالى. وقال: حركات الظواهر توجب بركات السرائر. وقال: ليس العجب من حبى لك وأنا عبد فقير بل من حبك لى وأنت ملك قدير. وقال: لله عباد لو حجبهم فى الجنة عن رؤيته لاستغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث بالخروج أهل النار من النار. وقال: لم أزل ثلاثين سنة كلما أردت أن أذكر الله أغسل فمى ولسانى إجلالا له. وقال له رجل: بلغنى أنك تمر فى الهواء فقال أى عجب فيه طير يأكل الميتة يمر فى الهواء المؤمن أشرف من طير. وقال طلقت الدنيا ثلاثاً وسرت إلى ربى وحدى، فناديته: إلهى أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك، فعلم صدقى فأنسانى نفسى بالكلية، ونصب الخلق بين يدى مع إعراضى عنهم، وقال: إن فى الطاعات من الآفات ما لا يحتاج إلى أن تطلبوا المعاصى، وقال: ما دام العبد يظن فى المسلمين من هو شر منه فهو متكبر. وسئل متى يكون الرجل متواضعاً؟ فقال: إذا لم ير لنفسه مقاماً، ولا حالاً، ولا يرى أن فى الخلق من هو شر منه. وكان يقول إذا سئل عن العارف: للخلق أحوال ولا حال للعارف؛ لكونه محيت رسومه وفنيت هويته بهوية غيره. وقال: دعوت نفسى إلى ربى فأبت، فتركتها ومضيت إليه. وقال: أشد المحجوبين عن الله ثلاثة الزاهد بزهده، والعابد بعبادته، والعالم بعلمه، مسكين الزاهد لو علم أن الدنيا كلها سماها الله قليلاً ما زهد فيها، مسكين العالم لو علم أن جميع ما أوتيه من العلم بعض سطر واحد

من اللوح المحفوظ ما نظر لعلمه. وقال: طوبى لمن كان همه هماً واحداً، ولم يشتغل قلبه بما رأت عيناه وسمعت أذناه. وقال: أكثر الناس إشارة إليه أبعدهم منه. وقال: أقرب الناس من الله أكثرهم شفقة على خلقه. وقال: لا يحمل عطاياه إلا مطاياه المذللة المروضة، وقال: العارف من لا يفتر عن ذكره ولا يمل من خلقه ولا يأنس بغيره. وقال له رجل: علمني الاسم الأعظم قال: ليس له حد محدود، وإنما هو فراغ قلبك لوحدانيته، فإذا كنت كذلك فارجع إلى أى اسم شئت تسير به من المشرق إلى المغرب. وقال: الجوع سحاب، فإذا جاع العبد أمطر القلب الحكمة. وقال: إذا وقفت بين يدى ربك فاجعل نفسك كأنك مجوسى يريد قطع الزنار بين يديه. وقال: دعوت الناس إلى الله أربعين سنة فما أجابونى، فلما تركتهم ورجعت إليه وجدتهم قد سبقونى، وقال الشيخ الأكبر قدس الله سره: قيل له فى هذا المقام: أيعصى العارف؟ فقال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً. قال الشيخ: وهذا غاية الأدب حيث لم يقل نعم ولا لا، وهذا من كمال حاله وعلمه وأدبه -رضى الله عنه- وكان يقول: الطريق تقتضى أن الشيخ لا ينسى أهل زمانه، فكيف مريده المختص به؟! فإن من فتوة أهل الطريق ومعرفتهم بالنفوس أنه إذا كان يوم القيامة وظهر ما لهم من الجاه عند الله خاف منهم من آذاهم فى الدنيا، فأول ما يشفعون فيمن آذاهم. وقال: الناس يفرون من الحساب وأنا أتمناه لعله يقول لى: يا عبدى، فأقول: لبيك ثم بعد ذلك يفعل بى ما يشاء. وقال له رجل: دلنى على عمل أتقرب به إلى الله، قال: أحبب أولياءه ليحبوك فإنه ينظر فى قلوبهم إلى اسمك فى قلب وليه فيغفر لك. وقال: لو أذن لى فى الشفاعة لشفعت أولاً فيمن آذانى وجفانى. وقيل له: شهادة أن لا إله

إلا الله مفتاح الجنة؟ فقال: صحيح لكن لا يفتح المفتاح إلا مغلاقاً، ومغلاق لا إله إلا الله أربعة أشياء: لسان بغير كذب ولا غيبة، وقلب بغير مكر ولا خيانة، وبطن بغير حرام ولا شبهة، وعمل بغير هوى ولا بدعة. وقال: لم أزل أسوق نفسى إلى الله وهى تبكى حتى ساقتنى إليه وهى تضحك، وقال: خصصت رجالاً فأكرمتهم فأطاعوك فلم يبلغوا ذلك إلا بك، فكان رحمتك إياهم قبل طاعتهم جل جلالك ما أعظم شانك. وقال: لا يشكو قلب العارف وإن قرض بالمقراض، ولا ييأس منه، ولا يأمن مكره وإن نودى بالغفران. وقال: هلاك الخلق فى شيئين: ترك الحرمة، ونسيان المنة. وصلى ليلة فأضاء البيت كأنه نهار، فقال: إن كنت شيطاناً فأنا أمنع جانباً من أن يطمع بى، وإن كان من عند الله فأسأله أن يؤخره من دار الخدمة إلى دار الكرامة. وقال: حسب المؤمن أن يعلم أن الله غنى عن عمله، ورأى رجل أبا يزيد فى منامه، فقال له: عظنى، فقال:

الناس بحر عميق والبعد عنهم سفينه
وقد نصحتك فاختر لنفسك المسكينه

وقال: ضحكت زماناً وبكيت زمانا، وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكى. وقيل له كيف أصبحت؟ قال: لا صباح لى ولا مساء إنما الصباح والمساء لمن تقيد بالصفة ولا صفة لى. وقال: عرفت الله بنور صنعه وعرفت صنعه بنوره. وقال: الدنيا للعامة، والآخرة للخاصة، فمن أراد أن يكون من الخاصة فلا يشارك الناس فى دنياهم. وقال: إنما جعلت الدنيا مرآة للآخرة فمن نظر فيها للآخرة نجا، ومن شغل بها عن الآخرة أظلمت مرآته وهلك. وقال: لا عقوبة أشد من الغفلة لأن الغفلة عن الله طرفة عين أشد من النار. وقال: لا يكون العبد عاملاً

على معنى العبودية حتى تكون إرادته، وأمنيته، وشهوته، نابعة لمحبة الله. وقــال: من نظر إلى الناس بعين العلم مقتهم، ومن نظر إليهم بعين الحقيقــة عــذرهم. وقال: الدنيا لأهلها غرور، فى غرور والآخرة لأهلها سرور فى سرور، ومحبة الله لأهل محبته نورٌ على نور وقال: من اختار الدنيا على الآخرة غلب جهله عمله، وفضوله ذكره، وعصيانه طاعته، ودخل الجامع فوقف على حلقه فقيــه، وقــد سئل عن رجل مات وخلف كذا فأخذ يصحح المسألة ويضرب الأعداد، فصاح به يا فقيه: ما تقول فيمن مات و لم يخلف إلا الله؟ فنظر إليه القوم وبكوا، فقال أبو يزيد: العبد لا يملك شيئاً، فإذا مات لا يخلف إلا مولاه كما كان أولاً، فإن آخره يرجع إلى أوله لأن أوله فرد ومعه الشهادة، فإذا كان آخره مثل أوله لم ير مع الله سواه، ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة. وقــال: أقمــت عشرين سنة أكافح المجاهدة، وأكابد المراقبة، ولا أجسر أن ألبس مرقعــة، ولا أتظاهر بالطريق ثم بعد ذلك تواقحت ولبست. وقال: مــتى وجــدت قلبــك مستريحاً، ودمعك جامداً، وعقلك حاضراً فأنت بعيد من المحبة. وقال: من أراده وفقه، ومن أحبه قربه. وقال: الفائز فى محشر الساعة من قام بأوامره، وتلقاهــا بالسمع الطاعة. وقال: معرفة العوام معرفة العبوديــة، والربوبيــة، والطاعــة والمعصية، والعدو، والنفس، ومعرفة الخواص معرفــة الإجــلال، والعظمــة، والإحسان والمنة، والتوفيق. ومعرفة خواص الخواص معرفة الأنس، والمناجــاة، والتلطف ثم معرفة القلب ثم السر. وقال: خلق الله الخلق لإظهار قدرته، ورزقهم لإظهار جوده، وأماتهم لإظهار قهره، ويحيهم لإظهار عظمته. وقال: محــال أن تعرفه ثم لا تحبه. وقال: حاصلهم بعد الغاية رجوعهم إلى شىء واحــد وهــو

العفو. وقال: التوحيد اليقين، واليقين معرفتك أن حركات الخلق وسكناتهم فعل الله. وقال: الزاهد يقول: كيف أصنع؟ والعارف يقول: كيف يصنع بى؟ وأمل الزاهد فى الدنيا الكرامات، وفى الآخرة المقامات، وأمل العارف فىالدنيا بقـــاء الإيمان، وفى الآخرة العفو. وقال: عملت فى المجاهدة ثلاثين سنة، فما وجـــدت شيئاً أشد على من العلم، ولولا اختلاف العلماء لتفتت، واختلاف العلماء رحمة إلا فى تجريد التوحيد. وقال: لا يعرف نفسه من صحبته شهوته. وقال: لله عباد لو حجبهم عنه طرفة عين ثم أعطوا الجنة ما قبلوها. وقال: كانت أمى لما حملت بى إذا قدم لها طعام حلال امتدت يدها له أو حرام انقبضت فالعناية من الأزل. ورأى تفاحاً أحمر فقال: هذا تفاح لطيف، فقيل له: أما استحيت أن تضع اسمى على ثمرة؟ فنسى الاسم الأعظم أربعين يوماً، ثم قال: إلهى نذرت أن لا آكل من ثمار بسطام ما عشت. وقال: حسبك من التوكل أن لا ترى لك ناصراً غـــيره، ولا لرزقك رازقاً غيره، ولا لعلمك شاهداً غيره. وقال: الناس تظن أن الطريـــق أشهر من الشمس وأبين أنا أسأل الله أن يفتح على منها ولو قدر رأس إبـــرة. وقال: النفس تنظر إلى الدنيا والروح إلى الآخرة، والمعرفة تنظر إلى الله، فمـــن غلبت نفسه عليه فهو من الهالكين ومن غلبت روحه عليه فهو من المجتهـــدين، ومن غلبت معرفته عليه فهو من المتقين، وقال الغزالى رضى الله عنه: قال أبـــو يزيد: رأيت الحق فى منامى فقال: سلنى، قلت: وعزتك تعلم أن ليس لى لسان يقدر على النطق الآن، فقال له يحيى بن معاذ الرازي لِمَ لَمْ تسأله المعرفة؟ فصاح وقال: اسكت. المعرفة معرفتان معرفة حقيقة ومعرفة حق، فأما معرفة الحق فقد عرفها المؤمنون بنور الإيمان والإيقان وأما معرفة الحقيقة فلا سبيل لها قال تعالى

﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]. وكان يعظ نفسه، ويقول: يـــا أمـــارة بالسوء المرأة إذا حاضت طهرت بعد أسبوعين وأنت منذ ثلاثين سنة ما طهرت، فمتى تطهرين؟ إن وقوفك بين يدى الله عز وجل لابد منه فاجتهدي أن تكونى طاهرة. وقال: كنت أظن فى برى لأمى أنى لا أقوم فيه لهوى نفسى بل لتعظيم الشارع حيث أمر ببرها، فكنت أجد لذة عظيمة أتخيل أنها من تعظيم عندى لا من موافقة نفسي، فقالت لى فى ليلة باردة: اسقنى فثقل على وقمت بمجاهـــدة وجئتها بكوز فوجدتها نامت، فوقفت به حتى انتبهت فناولتها، وقد بقى فى أذن الكوز قطعة من جلد أصبعى لشدة البرد انقرضت فرجعت إلى نفسى، فقلـــت لها: حبط عملك لكونك كنت تدعى النشاط فى عبادتك ورأيتك تثاقلت عـــن ذلك، فعلمت أن كل ما نشطت فيه من عمل البر وفعلته لا عن كسل وتثاقـــل بل لذة، فإنما هو لهواك لا لله. وقال: أوقفنى الحق بين يديه مواقـــف فى كلـــها يعرض على المملكة فأقول لا أريدها. فقال: ما تريد؟ قلت: أريد أن لا أريـــد. وقال: قال لى الحق تقرب إلى بما ليس لى الذلة والافتقار. وقال: مددت رجلـــي ليلة فى الظلام فى محرابى، فهتف بى هاتف: من يجالس الملـــوك لا يجالســـهم إلا بأدب. وقال: عرفت الله بالله، وعرفت ما دون الله بنور الله. وقال: إنما خلع الله النعم على عباده ليرجعوا بها إليه فعكسوا واشتغلوا بها عنه. وقال: صفة العارف صفة أهل النار لا يموت ولا يحيى. وقال: أولياء الله عرائس فى الدنيا والآخرة لا يراهم إلا من كان منهم. وقال: لو شفعنى الله فى كل أهل عصري مـــا كـــان عندي تكبر، لأنه شفعنى فى قطعة طين. وكتب إليه يحيى بن معاذ: إنى سكرت من كثرت ما شربت من كأس المحبة، فكتب إليه: هنا رجل -يعـــنى نفســـه-

شرب بحار السموات والأرض وما روى بعد. وقال له فقيه: علمك هذا أخذته عمن؟ وممن؟ ومن أين؟ قال: علمي من عطاء الله، وعن الله، ومن حيث قال رسول الله ﷺ: «**من عمل بما علم أورثة الله علم ما لم يعلم**» فسكت الفقيه. وسئل أبو على الجوزجاني -رضىالله عنه- عن الكلام المنقول عن أبي يزيد مما لا يفهم، فقال: يسلم له حاله ولعله تكلم به على حد غلبة أو حال سكر، ومن أراد أن يرتقى إلى مقام أبي يزيد فليجاهد نفسه كما جاهد أبو يزيد، فهناك يفهم كلام أبي يزيد، وأيكم يجاهد نفسه كما جاهد؟! دعا نفسه يوماً إلى عبادة الله فأبت، فمنعها الماء سنة فجاهدوا تفهموا إشاراته، وهكذا قال ابن حجر. قال ابن معاذ: رأيته فى بعض مشاهداته كالغريق ضارباً بذقنه على صدره شاخصاً بعينيه من العشاء إلى الفجر ثم سجد عند السحر، فأطال سجوده ثم قعد، فقال: اللهم طلبوا منك فأعطيتهم طى الأرض، والمشى على الماء، وركوب الهواء، وانقلاب الأعيان، وإنى أعوذ بك منها ثم التفت فرآنى، فقلت: يا سيدى حدثنى بشيء، قال: أحدثك بما يصلح لك أدخلنى الحق فى الفلك الأسفل، فدورنى فى الملكوت الأسفل فأرانيه، ثم أدخلنى فى الفلك العلوى وطوف بى السموات، فأرانى ما فيها من الجنان إلى العرش، ثم أوقفنى بين يديه، فقال: سلنى أي شيء رأيته حتى أهبه لك، قلت: ما رأيت شيئاً حسناً فأسألك إياه، فقال: أنت عبدى حقاً تعبدنى لأجلى صدقاً لأفعلن بك وأفعلن، وذكر أشياء، قال ابن معاذ: فهالنى ذلك، وقلت: لِمَ لَمْ تسأله المعرفة؟ قال: غرت عليه منى لا أحب أن يعرفه سواه، وقال الديلمي: سألت عبد الرحمن بن يحيى عن التوكل، فقال: إذا أدخلت يدك فى فم التنين لا تخاف مع الله غيره فخرجت

قاصداً أبا يزيد لأسأله عنه فدقت الباب فقال: أليس لك فى قول عبد الرحمن كفاية ما جئت زائراً، وقد أتاك الجواب من وراء الباب، فلبثت سنة ثم قصدته، فقال: مرحباً الآن جئت زائراً. ودخل مدينة فهرع إليه جميع أهلها، فقال: من هؤلاء؟ قيل: قوم رغبوا فيك. فقال: اللهم إنى أسألك أن لا تحجب الخلق بك عنك فكيف تحجبهم عنك بى؟ ثم صلى بهم الفجر والتفت، وقال: إنى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى، فتركوه، وقالوا: مجنون مسكين، وصحبه رجل من الشهود ثلاثين سنة مع صيام أيامها وقيام لياليها، فقال له: يا سيدى خدمتك وأطعتك و لم يظهر لى شىء مما يودع الحق قلوبكم، قال: يا ولدي لو صمت وقمت ثلثمائة سنة ما تجد منها ذرة لأنك محجوب بنفسك منقطع برؤيتك طاعتك، قال: دلنى على دواء، قال: اذهب واحلق لحيتك، وانزع ثيابك، وعلق بعنقك مخلاة فيها جوز، وقل للصبيان: من صفعنى صفعة أعطيته جوزة ثم در الأسواق كذلك عند من يعرفك. فقال: سبحان الله لمثلى يقال هذا؟! قال: قولك سبحان الله فى معرض ذلك شرك لأنك رأيت عظمة نفسك، فقال: دلنى على غير ذلك، قال: لا دواء لك غيره. وقيل له: بم وصلت إلى ما وصلت؟ قال: جمعت الأسباب الدنيوية فربطتها بحبل القناعة، ووضعتها فى منجنيق الصدق، ورميتها فى بحر اليأس فاسترحت. وأمر تلميذاً له بشىء فخالفه فلاموه، فقال: دعوه فإنه سقط من عين الله، فسرق فقطعت يده. وقال أحمد بن حضرويه: رأيت رب العزة فى النوم، فقال: يا أحمد كل الناس يطلبون منى إلا أبا يزيد فإنه يطلبنى. وقال أبو يزيد: إلهى إنك خلقت الخلق بغير علمهم، وقلدتهم أمانة بغير إرادتهم، فإن لم تعنى فمن يعينهم. وسئل -رضى الله عنه- عن السنة والفريضة، فقال:

السنة ترك الدنيا بأسرها والفريضة الصحبة مع الله تعالى؛ وذلك لأن السنة كلها تدل على ترك الدنيا والكتاب كله يدل على صحبة المولى لأن كلامه صفة من صفاته تعالى. وسئل عن أسباب الوصول فقال: إمساك حقائق المأمورات، وحفظ الصدق مع الإخلاص فى جميع الحالات.

بالله يا سطوات هجره لا تعجلى بحلول ضره

لو قال لى: مت طاعة ما عشت بعد سماع أمره

وقال: ظاهر التصديق وباطنه سواء، وقد اشترك الإيمان والحب فى العبد فكلما ازداد الإيمان ازداد الحب لله؛ قال الله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾** [البقرة: ١٦٥]. وقال: يا من باع كل شيء، بلا شيء ويا من اشترى لا شيء بكل شيء إن فى طاعتك من الآفات ما يشغلك عن السيئات. وقال لأمه: يا أماه هل تناولت شيئاً من الحرام بسببى فى وقت رضاعى، فإنى لا آمن أن يكون وصل إلى شيء وأنا لا أعلم فحجبنى ذلك عن ربى عز وجل، فقالت له أمه: لا أذكر إلا أنى دخلت يوماً إلى بعض جيراننا وأنت فى حجري فأخذت قارورة دهنهم فدهنت رأسك و لم أعلمهم، ويوماً آخر كحلتك بكحلهم و لم أستأذنهم، فقال: إن الله يحاسب عباده على مثقال ذرة ألا ترين إلى قوله تعالى: **﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** [الزلزلة: ٧-٨]، وهذا أعظم من ذرة، فأخشى أن يقطعنى عن ربى عز وجل ثم قام وسأل عن القوم وطلب ورثتهم، فاستحل منهم لنفسه ولأمه.

وذكر عند أبى يزيد الجاه والنفس والمال، فقال: إن المؤمن بلا نفس ولا مال **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾** [التوبة: ١١١]، وقيل وكانت ثيابه للمسجد على حدة، وللبيت على حدة، وللخلاء على حدة، وكذلك نعليه، وقال: بلغنى أن الله عز وجل يقول: «**من أتانى منقطعاً إلى جعلت له حياة لا يموت فيها، ومن أتانى منقطعاً إلى جعلت له ملكاً لا يزول ومن أتانى منقطعاً إلى جعلت إرادتى فى إرادته**».

وسئل عن قوله تعالى: **﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾** [الحديد:٣]، فقال: هو الأول بكشف أحوال الدنيا حتى لا يرغبون فيها، والآخر بكشف أحوال الآخرة حتى لا يشكون فيها، والظاهر على قلوب أوليائه حتى يعرفونه، والباطن عن قلوب أعدائه حتى ينكرونه. وقال: لا يكون العبد محباً لخالقه حتى يبذل نفسه لله تعالى فى طلب مرضاته سراً وعلانية يعلم الله من قلبه أنه لا يريد إلا هو. وسئل عن الاسم الأعظم قال: فى قولك لا إله إلا الله وأنت لا تكون هناك. وكان بقومس رجل مشهور بالورع والزهد، فقال يوماً أبو يزيد لأصحابه: قوموا بنا ننظر إلى هذا الرجل الذى شهر نفسه بالولاية، فمضوا معه فلما خرج الرجل من منزله ودخل مسجده رمى ببزاقه نحو القبلة، فقال أبو يزيد: قوموا بنا ننصرف من غير أن نسلم، فإن هذا رجل ليس بمأمون على أدب من آداب الشريعة التى أدب بها رسول الله ﷺ، فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصديقين؟! وقال: إن لله عز وجل على نعماً منها أنى رضيت بأن أحرق بالنار بدل الخلق شفقة عليهم، ومنها أنى لم أمسك شيئاً قط. وقال: ليس للعبد خير من أن يكون فقيراً ليس معه شىء، ولا التعبد ولا

العلم ولا يجيء إلا بالذل والافتقار إليه تعالى. وسئل متى يبلغ الرجل حد الرجال؟ فقال: إذا عرف عيوب نفسه، واشتغل بإصلاحها. وقال: منذ أربعين سنة لم أستند إلى حائط مسجد أو رباط، فقيل له: لم لا تستند وفى ذلك رخصة؟ فقال قال الله عز وجل: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ [الزلزلة: ٧- ٨]، فهل ترى من رخصة، وقال لا شيء أعون على دينكم من تعظيم أخيكم المسلم وحفظ حرمته، ولا شيء أضر بكم فى دينكم من تهاونكم بإخوانكم وتضييع حرمتهم. وأقام أياماً لم يتكلم مع مخلوق فلما خرج إلى حال بسطه سئل عن ذلك، فقال: تذكرت ابتداء حالى وتقلبى فى أنواع البطالات والغفلات، فعلمت أننى كنت مراداً فصرت مريداً، فإن من أراده وفقه، ومن أحبه قربه، قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبد خيراً حبب إليه طاعته، وبغض إليه معاصيه**». قال أبو موسى الدبيلى: وصحبته سنين فما رأيته نام مضطجعاً إلا يسيراً، وطالما صلى الصبح بوضوء العشاء الآخرة غير أنه يتحسر على ما مضى من اجتهاده. وقلت له: بم أستعين على عبادة الله عز وجل؟ فقال: بالله، قلت: فما علامة الصدق؟ قال: طاعة الله عز وجل، واعلم أنه لا حسن أعظم من حسن لقاء الله تعالى؛ أهـ. يشير إلى قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ**﴾ [فصلت: ٣٣]، وقال: من لزم العبودية لزمه اثنان يأخذه الخوف من ذنبه، ويفارقه العجب من عمله. وقيل له: ما أعظم آيات العارف؟ قال: أن تراه يؤاكلك، ويشاربك، ويمازحك، ويبايعك، ويشاريك، وقلبه معلق بالله ليس له هم سواه. وقال: كنت اثنتى عشرة سنة حداد نفسى، وخمس سنين مرآة قلبى، وكنت سنة أنظر إليها فإذا فى

وسطى زنار ظاهر، فعملت فى قطعة اثنتى عشرة سنة، ثم نظرت فإذا فى باطنى زنار باطن فعملت فى قطع÷ خمس سنين، ثم بقيت سنة أنظر فكشف لى بعد ذلك عن الخلائق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات. وقال: هذا فرحى بك، وأنا أخافك فكيف فرحى بك إذا أمنتك؟! وكان يقول: رب أفهمنى عنك، فإنى لا أفهم عنك إلا بك. وقال: اطلع الله عز وجل على قلوب أوليائه فرأى منهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفاً فشغله بالعبادة. وقال: من سمع الكلام ليتكلم به مع الناس رزقه الله فهما يكلم به الناس، ومن سمع الكلام ليعامل الله به رزقه الله فهما يناجى به ربه تعالى. وقال: العارف فوق ما يقول والعالم دون ما يقول، والعارف ما فرح بشىء قط، ولا خاف من شىء قط والعارف يلاحظ ربه، والعالم يلاحظ نفسه بعلمه، وقال: إن الصادق من الزاهدين إذا رأيته هبته، وإذا فارقته هان عليك أمره، والعارف إذا رأيته هبته وإذا فارقته هبته. وقال: لأن يقال لى لم لم تفعل أحب إلى من أن يقال لى لم فعلت: وقال: لقد هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفينى مؤنة الأكل والشرب ومؤنة النساء، ثم قلت: كيف يجوز لى أن أسأله هذا وهذا شىء لم يسأله رسول الله ﷺ؟ فلا يجوز لى أن أسأله، فلم أسأله ثم إن الله عز وجل كفانى مؤنة النساء حتى إنى ما أبالى امرأة أتيت أم حائطاً. وذهب ليلة إلى الرباط ليذكر الله تعالى على سوره فبقى إلى الصباح لم يذكر، فقيل له فى ذلك، فقال: تذكرت كلمة جرت على لسانى فى حال صباي فاحتشمت أن أذكره بلسان نطق بما نطق.

وقال: ما حصل للأولياء بالنسبة إلى ما حصل للأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلا كمثل زق فيه عسل يرشح من ذلك الزق قطرة فتلك القطرة، حصلت للأولياء

وما في الظرف للأنبياء. وقال العباس بن حمزة: صليت خلف أبي يزيد الظهر فلما أراد أن يرفع يديه ليكبر لم يقدر أن يقول الله أكبر إجلالاً لاسم الله عز وجل، وارتعدت فرائصه حتى سمعت قعقعة عظامه فهالني ذلك. وقصد الجامع يوم جمعة وكان في الطريق وحل فزلقت رجله فوضع أصبعه على جدار في الطريق فأمسك نفسه بسببه، فلما ثبت تفكر في وضع أصبعه على الجدار، وقال: إن الوقت متسع فتفحص عن صاحب الجدار ليجعله في حل مما تعاطى فانصرف وتعرف عنه، فقيل: إنه مجوسي فتقدم إلى باب داره وناداه فخرج إليه فأخبره بالقصة وطالبه أن يجعله في حل من ذلك، فقال المجوسي: وفي دينكم هذه الدقة وكل هذا الاحتياط آمنت بالله ورسوله ﷺ، وآمن كل من في داره ببركة ذلك الفعل. واجتاز شقيق البلخي -رضي الله عنه- ببسطام حاجاً فعقد المجلس في مسجد من مساجدها، فكان الصبيان يلعبون على بابه، وأبو يزيد فيهم كان يجئ إلى باب المسجد ويسمع كلام شقيق ثم ينصرف، فوقع عليه بصر شقيق فقال: سيكون هذا الصبي رجلاً من الرجال فصار كما قال. وصلى الجمعة مرة فسمع الخطيب يقرأ: ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا**﴾ [مريم: ٨٥]، ففرح فطار الدم من عينيه حتى ضرب المنبر، وقال: يا عجباً كيف يحشر إلى من هو جليسه أي فإن الله يقول: «**أنا جليس من ذكرني**»، والمتقي ذاكر الله ذكر حذر، فلما حشر إلى الرحمن وهو مقام الأمان مما كان فيه الحذر فرح بذلك. قال الشيخ الأكبر: فكان دمع أبي يزيد دمع فرح لا دمع ترح حيث حشر منه إليه حين حشر غيره إلى الحجاب. ولد أبو يزيد -رضي الله عنه- سنة مائة وثمان وثمانين ببسطام -بكسر الباء الموحدة- بلدة مشهورة من أعمال

قومس، ويقال: إنها أول بلاد خراسان من جهة العراق، وقوُمَس -بضم القاف وفتح الميم- وسين صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل، واسمه طيفور بن عيسى ابن آدم ابن سروشان. ذكر ابن الجوزي العارف الجامى ذلك وقال: إن جـــده سروشان كان مجوسياً فأسلم وكان لعيسى ثلاثة أولاد أبو يزيد أوسطهم وآدم أكبرهم وعلى أصغرهم، وكانوا كلهم عباداً زهاداً. وقال ابن خلكـــان: هـــو طيفور بن عيسى ابن آدم ابن عيسى بن على كان جده مجوسياً فأسلم، وكان له أخوان زاهدان عابدان أيضاً آدم وعلى، وكان أبو يزيد أجلهم؛ اهـــ، والله أعلم بالصواب. وتوفى سنة إحدى وستين، وقيل أربع وستين ومائتين، ولـــه ثـــلاث وسبعون سنة، ولم يثبت محل دفنه ولكن اشتهرت له مراقد كـــثيرة، ولعلـــها مقامات له -رضى الله عنه- وهو أويسى التربية فإنه ربته روحانية سيدنا جعفر الصادق، ووصل إليه هذا السر الجليل منه بالروحانية كما قـــدمنا لأن سنـــيدنا جعفر كانت وفاته سنة ثمان وأربعين ومائة وهى قبل ولادة أبي يزيد نحو أربعين سنة كما رأيت ثم إن كل من ربته روحانية أحد السادات يقال له: أويســـى، نسبة لسيدنا أويس القرنى سيد التابعين، فإنه على القول بوجوده وهو الصـــحيح المؤيد بالأدلة المعتبرة والكشف الصريح ربته روحانية سيد العالمين بالخصـــوص، وبشر به أصحابه، ونعته لهم، وأمر سيدنا عمر وسيدنا عليا أن يسألاه الاستغفار إذا اجتمعا به، وقصته مشهورة بين العلماء -رضى الله عنهم- وهى بطولهـــا فى «الإحياء» ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة من سيدنا أبى يزيد أيضاً بالروحانية.

سيدنا أبو الحسن الخرقانى قدس الله سره

كان غوث وقته وفريداً فى مقاماته، قبلة أهل زمانه، وبحراً يستمد الأوليـــاء من أمواج عرفانه بشر به الشيخ العارف الكبير أبو العباس القصاب، وأخبر أنه سينقلب موسم زيارته والرحلة إليه من بعده إلى الشيخ أبى الحسن، وقد كـــان كما قال.

ومن كلامه: لا تصحب شخصاً إذا ذكرت الله يذكر غيره، وقال: أطلـــب القصة لتظهر الدموع: فإن الله يحب الباكين. وقال: كل شىء يطلب العبد بـــه الله فالقرآن أحسن منه، فلا تطلب الله إلا به. وهذا منه -رضى الله عنه- نظراً إلى حال أهل النهايات، فإنه لا شىء أنفع لهم من تلاوة الكتاب العزيز، أما أهل البدايات فلا شىء أنفع لهم من الذكر الكثير باسم الذات أو النفى والإثبـــات على ما يختاره المرشد الموصل. وقال: وارث الرسول هو الذي يقتدى بأفعاله لا الذى يسود وجوه الأوراق. وقال: قول أبى يزيد: «أريد أن لا أريد»، هو إرادة. وقال: قول الشبلى: «أطلب أن لا أطلب»، هو طلب أيضاً. وقـــال: اليـــوم لى أربعون سنة والله ينظر إلى قلبى لا يرى فيه غيره. ما بقى فى لغير الله شىء، ولا فى صدرى لغيره قرار. وقال: منذ أربعين سنة ونفسى تطلب منى جرعة ماء بارد أو جرعة لبن مخيض، وأنا لم أمكنها من ذلك إلى الآن. وقال: العلماء والعباد فى الدنيا كثيرون ولكن لا يفيدك إلا أن تكون من الصباح إلى المســـاء فى شـــغل

يرضى به الله تعالى، ومن المساء إلى الصباح فى عمل يقبله تعالى. وقال: أنـــور القلوب ما ليس فيه للخلق وجود، وأحسن الأعمال ما ليس فيه تفكر بمخلوق، وأجل الأرزاق ما بذلت جهدك فى اكتسابه، وأحسن الرفقاء ما كان حياته مع الله. وقال مرة لأصحابه: ما أحسن الأشياء؟ قالوا: أخبرنا أنت به، فقال: قلب يذكر الله دائماً. وسئل عن الصوفى، فقال: لا يكون الصوفى بالسجادة والمرقـــع ولا بالعادة والرسوم بل الصوفى هو المحوى الذى لا وجود له. وقال: الصوفى من إذا كان النهار لا يحتاج إلى شمس، وإذا كان الليل لا يحتاج إلى قمر أو كواكب سيارة، التصوف هو العدم الذى لا يحتاج إلى وجود. وقيل له: متى يعلم العبـــد عدم الغفلة عن الله تعالى؟ فقال: إذا ذكر الله تعالى وتحقق بجميع أجزائه من فرقه إلى قدمه أن الله ذاكر له. وقيل له: لمن يليق التكلم بالفناء والبقاء؟ فقال: يليـــق لشخص لو علق بخيط من حرير بين السماء والأرض ثم هبت ريـــح عاصـــفة اقتلعت الأشجار ونسفت الجبال إلى البحار حتى ملأتها لم تحركه من محله. وهو أويسى التربية ربته روحانية سيدنا أبى يزيد البسطامى -رضى الله عنه-. ذكـــر سيدنا جلال الدين الرومى -نضر الله وجهه- فى «مثنويه» أن الشيخ أبا يزيـــد خرج يوماً مع أصحابه إلى الصحراء، ففى أثناء سيره حصل له حال عظيم بلغ منه ما بلغ واندهش منه أصحابه، فلما رجع إلى نفسه سألوه عن سبب ذلـــك فقال: جاءنى نفس عجيب من خرقان كالنفس الذى جاء للنبى ﷺ مـــن قبـــل اليمن يبشرنى بظهور رجل فيها من كبار الأولياء، فسألوه عن اسمه فقال: اسمـــه

أبو الحسن، ونعته لهم بحليته مقاماته وطريقته، وأنه يكون أعلى منه مقاماً، ثم بعد وفاته -رضى الله عنه- بسنين جاء رجل من خرقان إلى زاوية أبي يزيد، فسأله أصحابه عن اسمه، فأخبرهم أن اسمه أبو الحسن الخرقاني فنظروا إلى حليته فوجدوه كما قال أبو يزيد، فعند ذلك ذكروا له أن الشيخ بشر به، وأنه يكون من مريديه ويأخذ الطريق من مرقده الشريف، فقال لهم: إني رأيت أبا يزيد في المنام وأخبرني بمثل ذلك ثم ذهب أبو الحسن إلى تربة أبي يزيد وأخذ الطريق من روحانيته، وصار يتردد كل صباح إلى مقامه ويمرغ وجهه بمبارك ترابه، ويبقي واقفاً مع الحضور إلى وقت الضحى، ويتلقى منه العلوم والمعارف الإلهية. قلت: وذلك بأن تتصل روح الحى الذى هو فى دار الدنيا بروح من هو فى البرزخ اتصالاً لا كيفياً، ويقع التخاطب الروحاني بين المفيد والمستفيد، ويخلق الله عز وجل للروح المستفيدة علماً ضرورياً بما تلقيه الروح المفيدة، هذا إن كان المستفيد تام الصفاء وإلا نزلت روح المفيد إلى صورة مثالية، وتقع حينئذ الإفادة والاستفادة بتخاطب جسماني. وجاء مرة للزيارة على العادة فرأى الثلج قد غمر المقام فغم لذلك، وعزم على الانصراف فسمع صوتاً من قبل الشيخ أن أقبل إلينا فجعل يخرق الثلج مندهشاً، وحصل له فى هذه المرة ترقٍ عجيب، ولم يزل كذلك حتى صار واحد زمانه انتهى.

وممن أخذ عنه شيخ الإسلام سيدنا عبد الله الأنصارى، وقال فى حقه: مشايخى فى علم الحديث والشريعة كثيرون، وأما شيخى فى الطريقة فالشيخ أبو

الحسن الخرقانى، ولولا أنى رأيته ما عرفت الحقيقة. وروى أن السلطان محمـــود الغازى ابن سبكتكين -رحمه الله- زار الشيخ أبا الحسن وجلس عنده ســـاعة، ومما قال له: ما يقول الشيخ فى حق أبى يزيد البسطامى قدس الله سره؟ فقال له الشيخ: هو رجل من اتبعه اهتدى، ومن رآه اتصل بسعادة لا تخفى، فقال لـــه السلطان: كيف ذلك وأبو جهل رأى رسول الله ﷺ، و لم يخلص من الشقاوة؟ فقال له الشيخ: إن أبا جهل ما رأى رسول الله ﷺ وإنما رأى محمد بن عبد الله ولو أنه رأى رسول الله ﷺ لخرج من الشقاوة ودخل فى السعادة، ومصـــداق ذلك قوله تعالى: **﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُـــمْ لاَ يُبْصِـــرُونَ﴾** [الأعـــراف: ١٩٨]، فالنظر بعين الرأس لا يوجب هذه السعادة بل النظر بعين السر والقلب والمتابعة التامة يورث ذلك. توفى ليلة الثلاثاء عاشر شهر محـــرم الحـــرام ســـنة أربعمائة وخمسة وعشرين -رضى الله عنه- وخرقان كنعسان قرية مـــن قـــرى بسطام، وتحريك رائه لحن، ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة منه.

سيدنا أبو على الفارمدى رضى الله عنه

وهو العارف الرحمانى، والمربى الربانى. كان قدس الله سره عالمـــاً شـــافعياً، عارفاً صمدانياً، متضلعاً بمذهب السلف، ذا خبرة بمناهج الخلف. وأما التصوف فذاك عشه الذى منه درج، وغابه الذى ألفه ليثه ودخله وخرج، تفقـــه علـــى الغزالى الكبير وأبى عثمان الصابونى وغيرهما. قال المولى عبد الغافر رحمـــه الله: كان شيخ عصره منفرداً بطريق فى التذكير لم يسبق إليها فى عبارتـــه وتهذيبـــه وحسن تأديته وتأديبه، ومليح استعارته ودقيق إشارته ورقيق ألفاظه ووقع كلامه

فى القلوب، صحب القشيري وأخذ عنه حجة الإسلام الغزالى، وجد واجتهد وكان ملحوظاً من القشيرى بعين العناية حتى فتح عليه لوامع من أنوار المجاهدة وصار من مذكوري الزمان ومشهوري المشايخ. قال السمعاني: كان لسان خراسان وشيخها، وصاحب الطريقة الحسنة فى تربية المريدين، وكان مجلس وعظه روضة ذات أنواع من الأزهار تلمذ لأبى القاسم القشيري فى الموعظة والتذكير، ولأبى القاسم الكركانى وأبى الحسن الخرقانى.

ونقل العارف الجامى -قدس سره السامى- نبذة من أحوال بداية هدايته فقال: ومن كلامه كنت فى حال الشبوبية مشغولاً بطلب العلم فى نيسابور فسمعت أن الشيخ أبا سعيد بن أبى الخير -قدس الله سره- جاء من بلدة ميهنة وعقد مجلس وعظ فذهبت إليه، فلما وقع بصري على نور وجهه عشقته ووقع فى قلبى محبة طائفة الصوفية العلية. وقال: كنت يوماً فى المدرسة فالتهف قلبى لرؤية جمال الشيخ -قدس الله سره- ولم يكن للشيخ عادة أن يخرج فى ذلك الوقت فتربصت وتصبرت على ذلك فلم أقدر على الصبر لحظة، فقمت أقصد محل الشيخ، فلما وصلت إلى أول السوق رأيت الشيخ ومعه جماعة كثيرة ذاهبين فتبعتهم وأنا غائب عن شعورى حتى دخلوا محلاً، فدخلت معهم وجلست فى زاوية من زوايا المحل مستتراً عن عين الشيخ، فلما اشتغلوا بالسماع طرب الشيخ وتواجد وشق جبته الشريفة حتى إذا فرغوا من السماع ألقى الشيخ الجبة فى الأرض فأخذها المريدون وقطعوها إرباً إربا ووضعوها بين يديه، فحمل الشيخ كما متصلاً ببنيقة ووضعه على حدة، ونادى: يا أبا على الطوسى فما أجبته ظنا منى أن فى مريديه أبا على الطوسى غيرى لأنه لم يكن يرانى ثم نادى ثانية وثالثة

كذلك، فما أجبته، فأتاني واحد من جماعته، وقال: إن الشيخ يناديك، فحينئذ قمت ووقفت أمام الشيخ فأعطاني ذلك الكم مع البنيقة، وقال: أنت منا بمنزلة البنيقة من الكم فأخذتها وعظمتها وحفظتها في مكان عزيز واتصلت بخدمة الشيخ وحصل لي منه فائدة فائقة وتجليات وأحوال وافرة صادقة. ولما سافر الشيخ من نيسابور رجعت إلى خدمة الشيخ أبي القاسم القشيري -قدس الله سره- وكنت كلما حصلت لي حال من الأحوال أذكرها له، فيقول لي: اذهب يا ولدي واشتغل بتعلم العلم، ولم يزل ذلك الحال يزداد معي يوماً فيوماً وأنا مشتغل بتحصيل العلم مدة ثلاث سنين، فاتفق لي أني رفعت مرة القلم من الدواة فخرج أبيض فقمت حتى وقفت أمام الإمام القشيري، وذكرت له ذلك الأمر فقال لي قدس سره: حيث نزع العلم يده منك، فانزع يدك منه، والتفت للحال الذي أنت فيه، واسلك طريق القوم، فنقلت أمتعتي من المدرسة إلى الخانقاه، واشتغلت بخدمة هذا الأستاذ الإمام -قدس الله سره- وقال: ودخل الأستاذ يوماً إلى الحمام فذهبت وحدي إلى الحمام وأخرجت عدة دلاء من ماء البئر وملأته، فلما خرج الأستاذ القشيري منه قال: من الذي ملأ الحمام ماء؟ فسكت، وقلت في نفسي: إني فعلت قلة أدب، فسأل مرة ثانية فما أجبته أيضاً، فلما سأل الثالثة قلت له: أنا ملأته، فقال: يا أبا علي أبشرك بأن ما حصلته أنا في مدة سبعين سنة فقد حصلته أنت بدلو واحد. وقال: واستولى علي مدة المجاهدة عند الأستاذ القشيري يوماً حال لم أكن معها شيئاً مذكوراً فذكرت له ذلك فقال: يا أبا علي ذوقي ما هو أعلى من هذا، يمكن أن يكون ذلك المقام أرفع من مقامي، وأنا لا أدري طريقه فلم أزل متشوقاً إلى الشيخ يوصلني إلى

أعلى من هذا مدة مديدة، وذلك الحال يزيد، وقد كنت سمعـــت بالشـــيخ أبى القاسم الكركانى فتوجهت إلى طوس ولم أكن أعرف محله، فلما وصـــلت إلى البلدة سألت عنه فوجدته جالساً فى المسجد مع جماعة من مريديه، فصليت تحية المسجد وجلست أمامه، وكان مطرقاً رأسه فرفع رأسه، وقال: تعال أبا علـــى، فقمت وسلمت عليه ثم قعدت، فذكرت له أحوالى، فقال: نعم بارك الله لك فى بدايتك، فإنك الآن واصل إلى أول درجة من السلوك أما إذا حصل لك تربيـــة فإنك تصل إلى درجة عالية، فقلت فى نفسى: هذا أستاذى ثم أقمت عنده، فبعد ما أمرنى بأنواع الرياضات والمجاهدات مدة مديدة عقد لى على ابنتـــه، وأذن لى بالكلام على الناس. وقال قدس الله سره: كان قد حضر الشيخ أبو سعيد ابـــن أبى الخير من ميهنة إلى طوس قبل أن يأذن لى الشيخ أبو القاسم بالكلام فذهبت إلى زيارته، فقال لى: يا أبا على استعد فإنه سيفتح عليك فتتكلم بلسانهم كثيراً كالبلبل فما مر على هذه البشارة زمان حتى أمرنى الشيخ بعقد المجلس، وفتح لى باب الكلام. وقال حجة الإسلام أبو حامد الغزالى قدس الله روحه: لقد سمعت الشيخ أبا علي الفارمدي يحدث عن شيخه أبى القاسم الكركانى أنه قال: التسعة والتسعون اسماً تصير أوصافاً للسالك وهو بعد لم يصل. توفى -قدس الله سره- سنة سبع وأربعين وأربعمائة. والفارمدى بسكون الراء المهملة وفتح الميم ودال مهملة نسبة إلى فارمد قرية من قرى طوس وبواسطة هذا السيد الجيل تتصـــل السلاسل الثلاثة ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة منه.

سيدنا يوسف الهمداني رضى الله عنه

وهو أحد الأئمة العارفيْن والعلماء الراسخين والأولياء الكاملين. انتهت إليه فى خراسان تربية المريدين واجتمع عنده فى رباطه بمرو من العلماء والصـلحاء جماعة كثيرة وانتفعوا به وبكلامه ووصلوا إلى آمالهم الكبيرة. ولد -قـدس الله سره- فى همدان بسكون الميم وبالدال المهملة سنة أربعين وأربعمائة، ورحـل منها وهو ابن ثمان عشرة سنة إلى بغداد، وتفقه فى مذهب الإمام الشافعى على شيخ الدنيا سيدنا الشيخ إبراهيم بن على بن يوسف الفيروزابـادى «صـاحب التنبيه»، ولازم مجلس أبى إسحاق الشيرازي، وقدمه مع صغر سنه على أقرانـه، ورفع قدره حتى برع فى الفقه وغيره لا سيما علم النظر، وسمع مـن الخطيـب وثقات كثيرة فى بغداد وأصفهان وبخارى وخراسان وخوارزم وما وراء النهر، وحصل له القبول التام، ثم انقطع وتزهد وتعبد واشتغل بالمجاهدات والرياضات حتى صار غوث الزمان وغيث الحقائق والعرفان، وعقد لـه مجلـس الـوعظ والتذكير فى بغداد ثم رحل إلى مرو وأقام بها، وصحب الشيخ عبد الله الجـوينى والشيخ حسناً السمنانى والشيخ أبا على الفارمدى، وظهر على يديه كرامات لا تحصى ولا تحصر منها: أن رجلاً من جماعته خرج عنه وصار يقع فيه بما هـو برئ منه، فقال الشيخ: هذا رجل يقتل، فقتل ومنها: أنه كان يتكلم على الناس فقال له فقيهان كانا فى مجلس: اسكت فإنما أنت مبتدع، فقال لهما: اسـكتا لا عشتما، فماتا مكانهما ومنها: أنه جاءته امرأة من همدان باكية، فقالت لـه: إن ابنى أسره الأفرنج فصبرها فلم تصبر، فقال: اللهم فك أسره وعجل فرجه ثم قال

لها: اذهبى إلى دارك تجديه بها فذهبت المرأة فإذا ولدها فى الدار فتعجبت وسألته، فقال: إنى كنت الساعة فى القسطنطينية العظمى والقيود فى رجلى والحرس على، فأتانى شخص فاحتملنى وأتى بى إلى هنا كلمح البصر. وفى «الفتاوى الحديثية» للعلامة ابن حجر الهيتمى -قدس سره- وحكى إمام الشافعية فى زمنه أبو سعيد عبد الله بن أبى عصرون قال: دخلت بغداد فى طلب العلم فرافقت ابن السقا فى الطلب بالنظامية، وكنا نزور الصالحين وكان ببغداد رجل يقال له: الغوث يظهر إذا شاء ويختفى إذا شاء فقصدنا زيارته أنا وابن السقا والشيخ عبد القادر وهو يومئذ شاب، فقال ابن السقا ونحن سائرون: لأسألنه مسألة لا يدرى جوابها، وقلت: لأسألنه مسألة وأنظر ما يقول فيها، وقال الشيخ عبد القادر: معاذ الله أن أسأله شيئاً أنا بين يديه أنتظر بركة رؤيته، فدخلنا عليه فلم نره إلا بعد ساعة فنظر الشيخ إلى ابن السقا مغضباً، وقال: ويحك يا ابن السقا تسألنى مسألة لا أدرى جوابها هى كذا وجوابها كذا إنى لأرى نار الكفر تلتهب فيك ثم نظر إلى، وقال: يا عبد الله أتسألنى عن مسألة تنتظر ما أقول فيها هى كذا وجوابها كذا لتقبلن الدنيا عليك إلى شحمة أذنيك بإساءة أدبك، ثم نظر إلى الشيخ عبد القادر وأدناه منه وأكرمه، وقال: يا عبد القادر لقد أرضيت الله ورسوله بحسن أدبك كأنى أراك ببغداد وقد صعدت الكرسى متكلماً على الملأ، وقلت: قدمى هذه على رقبة كل ولى وكأنى أرى الأولياء فى وقتك وقد حنوا رقابهم إجلالاً لك ثم غاب عنا، فلم نره قال: فأما الشيخ عبد القادر فقد ظهرت أمارات قربه من الله، وأجمع عليه الخاص والعام وقال قدمى...... إلخ. وأقرت الأولياء فى وقته له بذلك. وأما ابن السقا فإنه اشتغل بالعلوم الشرعية حتى برع

فيها وفاق كثيراً من أهل زمانه واشتهر بقطع من يناظره فى جميع العلوم، وكان ذا لسان فصيح وسمت بهيٍّ، فأدناه الخليفة منه وبعثه رسولاً إلى ملك الروم فرآه ذا فنون وفصاحة وسمت فأعجب به، وجمع له القسيسين والعلماء بالنصـــرانية وناظرهم فأفحمهم وعجزوا، فعظم عند الملك فزادت فتنته فتراءت لـــه بنـــت الملك فأعجبته وفتن بها فسأله أن يزوجها، فقالت: إلا أن يتنصر فتنصر وتزوجها ثم مرض، فألقوه فى السوق يسأل القوت فلا يجاب وعلته كآبة وسواد حتى مر عليه من يعرفه، فقال له: ما هذا؟ قال: فتنة حلت بى سببها ما ترى، قال لـــه: هل تحفظ شيئاً من القرآن؟ قال: لا إلا قوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]، قال: ثم جزت عليه يوماً فرأيته كأنه قد حرق وهو فى النزع فقبلته إلى القبلة فاستدار إلى الشرق فعدت فعاد وهكذا إلى أن خرجـــت روحه ووجهه إلى الشرق، وكان يذكر كلام الغوث ويعلم أنه أصيب بســـببه، قال ابن أبى عصرون: وأما أنا فجئت إلى دمشق فأحضرنى السلطان الصالح نور الدين الشهيد، وأكرهنى على ولاية الأوقاف فوليتها، وأقبلت على الدنيا إقبـــالاً كثيراً فقد صدق قول الغوث فينا كلنا؛ اهـــ. وذكر الشيخ الأكبر -قـــدس الله سره- فى بعض مصنفاته أنه سنة ستمائة واثنين جاء الشيخ أوحد الدين حامـــد الكرمانى إلى منزلة فى مدينة قونية، وحكى له أن الشيخ يوسف الهمدانى أقام فى مقام المشيخة والإرشاد فى بلادهم أكثر من ستين سنة وأنه كان يوماً جالساً فى زاويته على حسب عادته، فخطر بباله الخروج من الزاوية ولم يكن يخرج منـــها إلا لصلاة الجمعة، فثقل هذا الخاطر عليه، ولم يعلم أين يذهب، فركب حمـــاراً وأطلق له العنان ليتوجه إلى أى جهة أرادها الحق تعالى فسار الحمار حتى أخرجه

ظاهر البلدة، وأوصله إلى مسجد خراب فى الداية ووقف به فترل الشيخ ودخل المسجد، فوجد فيه شاباً مطرقاً رأسه، وعليه هيبة وجلالة فبعد ساعة رفع رأسه ونظر إلى الشيخ فقال له: يا يوسف إنه وقعت لى مسألة مشكلة وذكرها لـــه، فحلها الشيخ له ثم قال له بعد ذلك: يا غلام كلما وقع لك مشكل فــأتنى إلى الزاوية واسألنى عنه، ولا تكلفنى الخروج إليك، يقول الشيخ قدس الله ســره: فنظر إلى الغلام، وقال: إذا أشكل على شىء، فكل حجر من الأحجار هــو لى يوسف مثلك. قال سيدنا الشيخ الأكبر: فعلمت من ذلك أن المريد الصـــادق يقدر بصدقه على جذب الشيخ إليه ثم بعد أن أقام مدة مديدة فى مدينة مرو حل إلى هراة، وأقام بها طويلاً، فسأله أهل مرو العود إليها فذهب حتى إذا وصل إلى بامیین بباء موحدة فألف فميم فتحتيتين فنون بليدة بخراسان بين هراة وبغشـــور أدركته الوفاة فدفن بها ثم بعد حين نقلت جثته الشريفة إلى مرو، وجعلـــت فى الحضرة المنسوبة إله، وقبره يزار ويتبرك به. وكانت وفاته فى غضون شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وخمسمائة -رضى الله عنه- وللشيخ -قدس الله سره- مريدون لا يحصون عدداً، وخلفاء عظام ملئوا الدنيا علماً وهدى ثم تلقى ســـر هذه النسبة الشريفة عن الغوث الهمدانى.

سيدنا الشيخ عبد الخالق الغجدوانى قدس الله سره

هو صاحب الكرامات التى سارت مسير الشمس. والمقامات التى لا يجحـــد سموها إلا الذى يتخبطه الشيطان من المس. كان عالماً عارفاً صـــوفيا وبعهـــود الزهادة والعبادة وفياً أما الإرشاد فكان ملكه الآخذ بزمام. وبدر سمائه الذى لا

يعتريه النقصان عند تمامه. وأما التصوف والزهد والورع المتين وسلوك سبيل المتقين، فتحققه به أشهر من أن يذكر، وأكبر من أن ينكر، هو رأس هذه الطريقة الشريفة، ومنبع طريق الخواجكان -قدس الله أسرارهم المنيفة- ولد في غجدوان بضم الغين المعجمة وسكون الجيم بعدها دال مهملة مفتوحة وواو فألف فنون قرية عظيمة على ستة فراسخ من بخاري وبها منشؤه، ومدفنه، ونسبه الشريف يتصل بالإمام مالك -رضي الله عنه- وكان والده الشيخ عبد الجميل إماما من أكابر علماء ملاطية الروم في الظاهر والباطن، ووالدته من بنات الملوك. رحل والده إلى ما وراء النهر بأهله لأمور اقتضت ذلك ثم جاء بلاد بخاري، وسكن في قرية غجدوان، وقد رأى الخضر وصحبه وبشره بالخواجه عبد الخالق -قدس الله سره- وسماه بهذا الاسم، وكان تحصيله العلوم في بخاري عند الشيخ العلامة صدر الدين -قدس سره- ولما برع في العلوم الظاهرة اشتغل بالمجاهدات والرياضات الشاقة وتحصيل العلوم الباطنة. ذكر أنه كان يقرأ تفسير القرآن عند الشيخ صدر الدين فوصل إلى قوله تعالى: **﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾** [الأعراف: ٥٥] قال للشيخ: ما حقيقة الذكر الخفي؟ وكيف طريقه؟ فإن العبد إذا ذكر بالجهر وبتحريك الأعضاء يطلع الناس عليه وإن ذكر بالقلب فالشيطان يطلع عليه لقوله ﷺ: «**إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم في العروق**»، فقال له الشيخ: إن هذا علم لدني وإن شاء الله تعالى يجمعك الله على أحد من أوليائه فيلقنك الذكر الخفي، فكان الخواجه -قدس الله سره- ينتظر وقوع هذه البشارة حتى جاء الخضر عليه السلام إليه فقال له: أنت ولدى ولقنه الوقوف العددي، وعلمه الذكر الخفي،

وهو أنه أمره أن ينغمس فى الماء ويذكر بقلبه لا إله إلا الله محمد رسول الله ففعل كما أمره وداوم عليه فحصل له الفتح العظيم والجذبة القيومية ثم تسلسلت هذه الجذبة بالذكر الخفى عند الخواجكان.

فائدة: الخواجه بتفخيم الخاء المفتوحة وترسم بالواو ولا تقرأ، وإنما هى علامة التفخيم وهو فارسى، ومعناه الشيخ، ويجمع على خوجكان بكاف فارسية، وألف ونون، والكاف بدل الهاء التى فى المفرد، والألف والنون علامة الجمع.

فكان -قدس سره- أول من اشتغل بالذكر الخفى فى هذه الطريقة؛ ولذلك كان رئيسها، ثم لما قدم الغوث الربانى سيدنا يوسف الهمدانى بخاري لزم خدمته مدة إقامته فى بخاري. وروى عنه أنه قال: لما بلغت اثنين وعشرين سنة أوصى الخضر عليه السلام الغوث الهمدانى بتربيتى، فلما قدم بخاري أتيت إليه وبقيت بخدمته حتى عاد إلى خراسان، ولم يأمرنى إلا أن أبقى على ما لقننى الخضر عليه السلام. وذكر الشيخ محمد بارسا أحد أجلاء أصحاب سيدنا النقشبند قدس سرهما العزيز فى كتابه «فصل الخطاب» أن طريق الخواجه حجة على جميع الطرق ومقبولة لديهم؛ لأنه كان سالكاً طريق الصدق والوفا ومتابعة الشرع، وسنة المصطفى ﷺ، ومجانبة البدع ومخالفة الهوى، وكان يخفى أحواله عن الناس، ويشتغل بالمجاهدات والرياضات الشاقة، وتحصيل العلوم الباطنية، حتى صار عارف زمانه والمقدم على أقرانه، وامتدت إليه أعين النظار، وانتشر صيته فى البلدان الكبار ورحل إليه من جميع الأقطار، ثم سافر إلى الشام وأقام بها مدة أعوام وبنى ثم خانقاه -كلمة فارسية بسكون النون بمعنى الزاوية- واجتمع عليه

من المريدين الصادقين خلق كثير. وله رسالة كتبها لولده القلبي المبارك شـيخ الأولياء الكبير قد اشتملت من آداب الطريقة والنصيحة الرفيعة والتربية الحسنة الرقيقة على ما يوجب إيرادها هنا.

وهي: يا بني أوصيك بتحصيل العلم والأدب وتقوى الله تعالى، واتبع آثـار السلف الصالح، ولازم السنة والجماعة، واقرأ الفقه والحديث والتفسير، واجتنب الصوفية الجاهلين، ولازم الصلاة بالجماعة بشرط أن لا تكون إماماً ولا مؤذنـاً وإياك والشهرة فإنها آفة، وكن واحداً من الناس، ولا تَمِلْ لمنصب ولـو كـان محموداً كالقضاء والفتوى، ولا تكن كفيلاً ولا وصياً، ولا تصـحب الملـوك وأبناءهم والمرد والنساء والمبتدعة والعوام، ولا تبن زاوية ولا تجلـس بهـا، ولا تسمع الأنغام إلا قليلاً؛ فإن كثرة السماع تولد النفاق وتميت القلب، ولا تنكر على أصحاب السماع لأنهم كثيرون، وقلل الكلام والطعام والمنام، وفـر مـن الناس فرارك من الأسد، والزم الخلوة وأكل الحلال، واترك الشبهات إلا عنـد الضرورة؛ فربما غلب عليك طلب الدنيا وفي طلبها يذهب دينك وإيمانـك، ولا تضحك كثيراً فإن كثرة الضحك تميت القلب، ولا تحتقر أحـداً، ولا تـزين ظاهرك لأن تزيين الظاهر من علامة إفلاس الباطن، ولا تجادل الخلق، ولا تسأل أحداً شيئاً، ولا تأمر أحداً بخدمتك، واخدم المشايخ بالمال والجاه والبـدن، ولا تنكر على أفعالهم فإن المنكر عليهم لا ينجو، ولا تغتر بالدنيا وأهلها، وينبغي أن يكون قلبك محزوناً ومغموماً، وبدنك مريضاً، وعينك باكية، وعملك خالصـاً

ودعاؤك بتضرع، ولباسك خلقاً، ورفيقك الفقر، وبضاعتك الفقه، وبيتك المسجد ومؤنسك الحق تعالى.

ومن إرشاداته القدسية وإشاراته العلية: الكلمات الإحدى عشر الفارسية التي بنى عليها طريق السادات النقشبندية قدس الله أسرارهم.

الأولى: «**وقوف زماني**»، أي: الوقوف والشعور المنسوب إلى الزمان يعني ينبغي للسالك إطلاعه على زمانه المستمر عليه، وعلمه بكيفية حاله عند مضيه من حيث الحضور المستوجب للشكر، والغفلة الموجبة للمعذرة، وتوضيحه أن الطالب يجتهد كل الاجتهاد في أن لا يمضي عليه زمان، ولا يجرى عليه آن إلا وهو على توجه إلى المقصود الأصلي، وتنبه إلى أن علم العليم الخبير محيط به، فلا يعمل من عمل إلا يعلم أن الله شهيد عليه إذ يفيض فيه، وعلى أي شأن يكون من تحرك وسكون يتيقن أن الله سبحانه مطلع عليه، فإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، وما يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ثم بعد مضى كل ساعتين أو ثلاث ينبغي له أن يلتفت إلى حال نفسه كيف كان في هاتين الساعتين أو الثلاث؟ فإن كان الحضور مع الله تعالى والشعور به شكر الله تعالى على هذا التوفيق، وعد نفسه مع ذلك مقصراً في ذلك الحضور الماضي، واستأنف حضوراً أتم وشعوراً أكمل، وإن كان حاله فيها الغفلة استغفر منها وأناب ورجع إلى الحضور التام؛ وذلك الالتفات المذكور هو معنى الوقوف الزماني. قال سيدنا بهاء الدين شاه نقشبند قدس الله سره العزيز: وهو عبارة عن أن تكون واقفاً على أحوال نفسك، فإن كانت موافقة للشريعة مرضية لله تعالى

فاشكره، وإلا فاستغفره، ومبنى طريق السالك فيه على حفظ اللحظة الزمانية بحيث يكون واقفاً على نفسه أنه خرج بالحضور أو بالغفلة. وقال أيضاً: وهو أن تحسب كل ساعة مضت بالغفلة وبالحضور، فإذا فهمت حقيقة الأمر تعد أن كل الأوقات والأفعال كانت بالغفلة فترجع إلى عمل المبتدى.

الثانية: «**وقوف عددي**»، ومعناه أن يذكر بقلبه كلمة التوحيد المشرقة على الكيفية المعروفة عندهم مع حبس النفس مرة أو ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً وهكذا إلى إحدى وعشرين، ولا بد له فى هذا الذكر من أن يلاحظ العدد الذى يأتى به فى نفس واحد ليتحرى إطلاق النفس عند الوتر منه دون الزوج، وما يقع فى كلام أكابر النقشبندية أن فلاناً أمر فلاناً بالوقوف العددى، فالمراد به الذكر القلبي بالنفى والإثبات مع رعاية العدد على الوجه الذى عرفت لا مجرد رعاية العدد فى الذكر. واعلم أنه ليس المدار فى النفى والإثبات على كثرة المرات التى تأتى بها فى النفس الواحد بل على رعاية شروطه: من كمال الحضور، وحبس النفس، وإطلاقه عند الوتر حتى لو لم يستطع الذاكر أن يأتى بها إلا مرة مع رعاية هذه الشروط كان خيراً له من أن يأتى بها إحدى وعشرين مرة مع الإخلال بواحد منها. قال حضرة مولانا الشيخ علاء الدين العطار قدس سره: الإكثار من الذكر أي الإتيان بكلمة التوحيد مرات كثيرة فى نفس واحد ليس بشرط، بل الشرط كون الذكر حاصلاً مع الحضور حتى يترتب عليه الفائدة، ومتى بلغ الذكر إحدى وعشرين مرة فى نفس واحد ولم يظهر أثره، فهو دليل على الإخلال بآداب الطريقة، فليرجع إلى الله تعالى بصدق الإنابة، وتحرى آداب الطريقة يجد أثر الذكر إن شاء الله تعالى، وأثره أن ينتفى الوجود البشري وقت

النفى، وأن تظهر آثار الجذبات الألهية وقت الإثبات. قال حضرة سيدنا بهاء الدين قدس الله سره العزيز: الوقوف العددي أول درجة من درجات العلم اللدنى، والوقوف العددي يحتاج إليه من يشتغل بالنفي والإثبات، أما من يشتغل باسم الذات تعالى وتقدس فليس عليه رعاية هذا الأدب؛ إذ لا عدد فى ذكره حتى يراعيه.

الثالثة: «**وقوف قلبي**» أى: الوقوف المنسوب إلى القلب، وهذا محمول على معنيين: إما وقوف قلب الذاكر على المذكور عند ذكره، أي: اطلاعه عليه بحيث لا يغيب عن مراقبته بكل حال. قال سيدنا عبيد الله أحرار قدس الله سره: الوقوف القلبى كناية عن الحضور مع الحق تعالى على وجهٍ لا يكون معه التفات إلى غيره، وهو شرط لازم فى الذكر، ويسمى بالحضور والشهود والوصول والوجود. وأما وقوف الذكر فى أثناء الذكر على قلبه، والوقوف عليه: هو الاطلاع على حاله وشغله بالذكر وملاحظة مفهومه، أو لا يخلى عليه سبيلاً للغفلة. قال سيدنا بهاء الدين قدس الله سره العزيز: الوقوف القلبي بالمعنيين شرط مهم أكثر من الوقوف العددى.

الرابعة: «**نظر بَرْ قَدَم**» بر -بفتح الباء- بمعنى على، والمعنى المراد بها عندهم أنه ينبغي للسالك أن يكون نظره إلى قدميه عند المشى لئلا ينظر إلى الآفاق؛ لأن النظر إليها يورث الحجاب فى القلب؛ لأن أكثر الحجب التى فى القلوب هى الصور المرتسمة فيها من طريق النظر فهى لدفع تفرقة الآفاق، ولئلا يشتغل عن الذكر بالنظر إلى المبصرات لأن الذاكر المبتدئ إذا تعلق نظره بالمبصرات اشتغل

قلبه بالتفرقة الحاصلة من النظر إلى المبصرات؛ لعدم قوته على حفظ القلب من التفرقة الحاصلة بذلك، أو لئلا ينظر إلى وجوه الأغيار لأن النظر فى وجوه الأغيار عند الصوفية من المحظورات لأن القلوب الصافية مثل المرايا الصقيلة ينطبع فيها ما كان فى القلوب القاسية من الأخلاق الذميمة والأفكار الفاسدة بمجرد النظر إلى أصحابها، أو لئلا يصيب نظره إلى الوجوه الحسان فيفتتن بذلك لأن النظر سهم من سهام الشيطان، فمن أصابه ذلك افتتن فى طريق الله، فأمر السالك أن يغض بصره بالنظر إلى قدميه لئلا يدركه ذلك السهم، ويحتمل أن تكون كناية عن سرعة سير السالك فى قطع مسافة الحجب الظلمانية والنورانية حتى يخلص إلى الذات البحت يعنى كل ما ينتهى نظر السالك إليه يضع قدمه عليه وهكذا. وأشار إليه سيدنا عبد الرحمن الجامى -قدس الله سره- مادحاً حضرة مولانا بهاء الدين نقشبند بما ترجمته.

لم يخل عن نَفَسٍ دون الحضور ولم — تسبق نواظره الأقدام فى السفر
وذا لسرعة سيرٍ فيه قد ركزت — فما تخلف رجلاه عن النظر

ولقد أفصح عن هذا المعنى أحسن إفصاح سيدنا الإمام الربانى الشيخ أحمد الفاروقى السرهندى فى الخامس والتسعين ومائتين من «مكتوباته العرفانية» فقال: ليس المراد من قوله: «النظر على القدم» أن لا يجاوز النظر القدم، وأن لا يتعداه إلى فوق لأن هذا خلاف الواقع بل المراد أن يكون النظر سابقاً للقدم، وأن يجعل القدم رديفه لأن العروج إلى الرتب العالية يكون أولا للنظر ثم يصعد القدم وحينما يصل القدم إلى مرتبة النظر بتعلىّ النظر إلى درجة أعلى منها، فيصعد القدم تبعاً له، ثم يترقى النظر من ذلك المقام أيضاً على هذا المنوال، ولو

قلنا: إن المراد من القول المذكور أنه ينبغى أن لا يترقى النظر إلى المقام الذى لا يمكن أن يصل إليه، القدم فهذا أيضاً غير واقع لأن النظر إذا لم يتجاوز المرتبة التى هي غاية سير القدم لكان يفوته أكثر مراتب الكمال، وإيضاح ذلك: أن نهاية القدم هى غاية مراتب استعداد السالك نهاية مراتب استعداد النبى الذى هو على قدمه إلا أن القدم الأول بالأصالة والثانى بالتبعية لذلك النبى، وليس فوق مراتب هذين الاستعدادين مرتبة قدم، وأما النظر فله ذلك لأنه يتقوى حينئذ فتكون نهايته نهاية مراتب نظر النبى الذى هو على قدمه؛ لأن النبي يكون لكُمَّل أتباعه نصيب من جميع كمالاته، فالسالك يترقى قدماً ونظراً أصالة، وتبعاً إلى نهاية مراتب استعداده ثم يقف القدم ويصعد النظر وحده، ويترقى إلى نهاية مراتب نظر النبى الذى هو على قدمه، فعلم من هذا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يصعد نظرهم إلى مقام فوق مقام قدمهم، وكما أن للكُمَّل أتباعهم نصيب من مراتب قدمهم فلهم نصيب أيضاً من مقامات أنظارهم، ومقام نظر خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام الذى هو فوق مقام قدمه ﷺ هو مقام الرؤية، وهذا المقام موعود لغيره فى الآخرة، فما كان لغيره نسيئة كان له نقداً، ولكمل تابعيه نصيب من ذلك. ثم نرجع إلى أصل الكلام، فنقول: وإن كان المراد عدم تخلف النظر عن القدم أعنى أن لا يتخلف النظر بوقت من الأوقات عن مقام القدم، فالأخذ بهذا المعنى يمنع السالك عن الترقى، وأما إذا اعتبرنا المعنى المتبادر من ظاهر اللفظ هو ممكن ويناسب معنى قوله: «هوش دردم»؛ لأن الإنسان إذا لم يجعل نظره فوق قدمه فى الطريق أثناء مشيه يتشتت بسبب الألوان المحسوسة،

وأما إذا جعله فوق قدمه فإنه يكون للجمع أقرب اهـ. فانظر هذا النفس ما أحلاه وأنفسه قدس الله سره.

الخامسة: «**هوش در دم**» هوش بمعنى العقل، ودر بمعنى فى الظرفية، ودم بمعنى النفس، فالمعنى المراد عندهم: أنه ينبغى للسالك العاقل أن يحفظ النفس عن الغفلة عند دخوله وخروجه ليكون قلبه حاضراً مع الله تعالى فى جميع الأنفاس؛ لأن حفظ الأنفاس عن الغفلة يؤدى القلب إلى الحضور مع الله تعالى، وحضور القلب معه تعالى فى الأنفاس إحياؤها وإيصالها إلى الله تعالى متصفة بالحياة؛ لأن كل نَفَس يدخل ويخرج بالحضور فهى حي موصول بالله تعالى، وكل نَفَس يدخل ويخرج بالغفلة فهو ميت مقطوع عن الله تعالى. قال سيدنا عبيد الله أحرار: أهم المهمات فى هذا الطريق هو حفظ النفس، ومن لم يحفظ نفسه يقال عنه: فلان فقد نفسه. وقال سيدنا ومرشدنا بهاء الدين شاه نقشبند قدس الله سره العزيز: إن مبنى هذا الطريق على النَفَس، فينبغى لك أن تحفظ النفس وقت الدخول والخروج بل تحفظ ما بين النَفَسين. وقال العارف عبد الرحمن الجامى فى أواخر «شرح الرباعيات»، قال الشيخ أبو الجناب نجم الدين الكردى فى رسالته «فواتح الجمال»: إن الذكر جارٍ فى نفوس الحيوانات بأنفاسهم الضرورية لأنه وقت خروج النفس ودخوله يخرج حرف الهاء بلا قصد منها، وهو إشارة إلى غيب الهوية، والهاء التى فى لفظ الجلالة هى هذه الهاء، والألف واللام للتعريف، واللام الثانى للمبالغة؛ اهـ. فينبغى لك أن تكون حاضراً مع هذا

الذكر بأن تكون هوية الحق ملحوظة لك وقت ظهور هذا الحرف حتى يصير مَلَكَتَك، فحينئذ لا يزول أبداً ولو أردت زواله. وغيب الهوية عند أهل الله عبارة عن الذات الإلهية من غير ملاحظة قيد صفة من صفاتها، ينبغى بالطريق الأولى أن يكون الذا كرمنتهياً عن سِنة الغفلة فى حال الذكر؛ لأن المقصود من الذكر استمرار ملاحظة معناه، واستمرار ملاحظة معنى الذكر يؤدى إلى تجلى ذلك المعنى، وذلك لا يمكن إلا بحفظ الأنفاس عن الغفلة؛ لأن حفظها يؤدي إلى الحضور، والحضور سبب شهود تجليات الحق سبحانه وتعالى لأن لله تعالى تجليات بعدد أنفاس الخلق، فمن حفظ أنفاسه عن الغفلات كان حاضراً مع الله تعالى، فيصيب من تلك التجليات، ثم اعلم أن حفظ الأنفاس عن الغفلات عسير على السالكين، فإذا تخللتها الغفلة فلابد لهم أن يستغفروا الله منها، فالاستغفار يطهرها ويزكيها، وكما أن فى قوله قدس الله سره نظر بر قدم إشارة لدفع تفرقة الآفاق كما تقدم، كذلك فى هذه إشارة لدفع تفرقة الأنفس.

السادسة: «**سفر در وطن**» أى السفر فى الوطن، والمعنى المراد بها عندهم أنه ينبغى أن يكون سفر السالك من عالم الخلق إلى جناب الحق سبحانه وتعالى كما أشار إليه خليل الله عليه الصلاة والسلام بقوله ﴿**إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي**﴾ [الصافات: ٩٩]، ومن حال إلى حال أحسن منه: أو من مقام إلى مقام أعلى منه كما قال أبو عثمان المغربى قدس سره: يجب على السالك أن يسافر من عند هواه، وشهوته، ومراده لا من بلد إلى بلد، وإنما اعتبر أرباب السلوك السفر

الظاهرى للوصول إلى المرشد المربى، فلما وصل إليه وجب عليه أن يسلم أمـــره إليه، ويقيم عنده ويترك السفر الظاهري حتى يقدر على السفر الباطنى، وتـــتم الإرادة. وكان الشيخ محمد بن على الحكيم الترمذي صاحب «نوادر الوصول» -قدس سره- يمنع السالك عن السفر الظاهرى، ويقول: مفتـــاح كـــل خـــير ومفتاح كل بركة الصبر فى موضع إرادتك إلى أن تصـــح لـــك الإرادة، فـــإذا صحت لك الإرادة فقد ظهرت لك أوائل البركة، فأنت فى سفر إلى الله تعـــالى سواء سافرت من حيث الظاهر أو لم تسافر. ثم اعلم أن المشايخ إنمـــا منعـــوا السالكين عن السفر الظاهرى لأن فيه المشاق والمحن الـــتى لا يتحملـــها أهـــل البدايات لعدم تمكنهم فى مقام العبودية والشهود، فتؤديهم تلـــك المشـــاق إلى ارتكاب المخالفة فى طريق السلوك، وترك الفرائض والسنن، وتورث فى قلوبهم التفرقة، وأما الكاملون فلا تؤثر فيهم تلك المشاق بل يحصل لهم الترقيـــات إلى الدرجات العاليات بسبب تحمل مشاق السفر ومحنـــه كمـــا كـــان الســـلف الصالحون، وإذا استوطنت نفوسهم فى محل وحصل لهم الائتلاف مـــع النـــاس سافروا لرفع العادات، وترك الراحات، وقطع الألفة، واختيار الذلة ليحصل لهم التجرد التام حتى يصلوا إلى أعلى مقام. قال سيدنا الشيخ عبيد الله أحـــرار: إن السفر لا يورث المبتدي إلا التفرقة فينبغى للطالب إذا وجد الشيخ أن يلازمـــه بصدق الهمة فى الخدمة، ولا يفارقه إلا بعد التمكن فإذا حصل لـــه الـــتمكن، يكون سفره وحضره على نية صحيحة:

ما أحسن الضحك الجارى بغير فمٍ ورؤيةٍ غاب عنها هيكـــل البصـــر

كن قاطناً ظاهراً والســـر مرتحـــل فالسير من دون رجل أحسن السفن

قال العارف الجامى قدس سره: إن قلب الإنسان إذا زالت منـــه تعلقـــات الأكوان وإرادات الطباع البشرية يظهر صفاؤه الأصلى، فلا يحتاج إلى الســـير والسلوك لأن المراد منه تصفية القلب بل ينطبع فيه كل ما قابله من الكمـــالات كالمرآة الصقيلة، فإنها يظهر فيها صور الأشياء المقابلة لها بلا احتياج إلى حركة لأن صفاءها أصلى، فما يقابلها ينطبع فيها. وقال سيدنا الإمام الربانى الشـــيخ أحمد الفاروقى السرهندى: هذه الكلمة المباركة عبارة عن السير الأَنْفُسَى ومنشأ حصول اندراج النهاية فى البداية الذى هو مـــن خصـــائص الطريقـــة العليـــا النقشبندية، وهذا السير وإن كان موجوداً عند جميع أهل الطـــرق، ولكـــن لا يتيسر لهم إلا فى نهايتهم بعد قطع السير الآفاقى، وأما سالك هذا الطريق فابتداؤه يكون من هذا السر وفى ضمنه يقطع السير الآفاقى، فمنشأ هذا السير فى البداية من اندراج النهاية فى البداية.

السابعة: «**خلوة در انجمن**»: اعلم أن الخلوة نوعان الأول: خلوة فى الظاهر وهى اختلاء السالك فى بيت خالٍ عن الناس وقعوده فيه ليحصل له الاطلاع فى عالم الملكوت، لأن الحواس الظاهرة متى احتبست عن أحكامها انطلقت الحواس الباطنة لمطالعة آيات الملكوت، والنوع الثانى: خلوة فى الباطن، وهى التى أشـــار إليها الشيخ بقوله خلوة درانجمن أي الخلوة فى الجلوة لأن معنى انجمن جمعيّـــة الناس، والمراد بها عندهم أنه ينبغى أن يكون قلب السالك حاضراً مع الحق غائباً عن الخلق مع كونه بينهم، فحينئذ تكون هذه الكلمة بمعنى المراقبة، وقيل: هـــى كناية عن كون الذاكر مستغرقاً فى الذكر القلبى بحيث إذا دخل السوق لم يسمع

أصوات الناس بسبب استيلاء الذكر على حقيقة القلب، وقيل: هى كناية عن استيلاء النسبة العلية بحيث لا ينافيها معية الخلق ولا يضرها المعاملة معهم، وهذه هى الخلوة الحقيقية كما أشار إليه تعالى بقوله ﴿**رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [النور: ٣٧]، وهى خاصة بالطريق النقشبندى لأن أربابها لا يختلون بالخلوة الظاهرة، وإنما خلوهم من حيث الباطن عند جمعيّة الناس كما قال سيدنا ومرشدنا الشيخ بهاء الدين قدس الله سره العزيز: الشهرة فى الخلوة، وفى الشهرة الآفة، والخير فى الجمعيّة والجمعية فى الصحبة بشرط أن تكونوا فانين بينكم. وقال سيدنا الشيخ عبيد الله أحرار: لو ذكر السالك بجد واهتمام يصل فى نحو خمسة أيام إلى أن يسمع جميع الأصوات والحكايات حتى كلام نفسه ذكراً لله تعالى، وإنما اختاروا هذه الخلوة اتباعاً للسنة لأن النبى ﷺ اختار الجمعية على الخلوة، وقال: «**المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذى لم يخالط الناس**»، وقال الشيخ أبو سعيد الخراز رضى الله عنه: ليس الكامل من صدر عنه أنواع الكرامات، وإنما الكامل الذي يقعد بين الخلق يبيع ويشترى معهم ويتزوج، ويختلط بالناس ولا يغفل عن الله لحظة واحدة.

بقلبك كن بالحب منصبغاً وكن ... بظاهرك المشهود فى زي أجنبى
وهذا طريق نادر عز أهله ... على أنهم فازوا بأعذب مشرب

وقال سيدنا الإمام الربانى قدس الله سره: قوله خلوة در انجمن متفرع عن سفر در وطن لأنه متى تيسر السفر فى الوطن تيسرت الخلوة فى الجلوة فيسافر فى

تفرقة الجلوة فى وطن الخلوة فلا تجد تفرقة الآفاق إلى حجرة الأنفس سبيلاً. وهذه الخلوة وإن كانت متيسرة لكل منته فى سائر الطرق أيضاً لكن لما كانت متيسرة فى ابتداء هذا الطريق صارت من خصائصه. ومما ينبغى أن يعلم أن الخلوة فى الجلوة إنما تحصل إذا كانت أبواب خلوة وطن القلب مغلقة، وطاقاتها مسدودة يعنى لا يلتفت فى الجلوة إلى أحد، ولا يكون متكلماً ولا مخاطباً لا أنه يغمض عينيه ويعطل الحواس بالتكلف، فإنه ينافى هذا الطريق. نعم يا أخى يحتاج السالك لهذا التكلف والتحمل فى الابتداء والوسط وأما فى الانتهاء فلا، بل يكون فرقة جمعاً وغفلته حضوراً. ولا يتوهم من ذلك أن التفرقة وعدمها فى نفس جمعية باطنه سيان. هذا ومع ذلك لو جمع الظاهر مع الباطن ودفع التفرقة عن الظاهر أيضاً كان أولى وأنسب. قال تعالى آمراً لنبيه ﷺ: ﴿**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً**﴾ [المزمل: ٨]. وينبغى أن يعلم أنه لابد من تفرقة الظاهر فى بعض الأوقات لأداء حقوق الخلق وهى مستحسنة فى بعض الأحيان، وأما تفرقة الباطن فلا تجوز فى وقت من الأوقات إذ الباطن لله خالصاً، فصارت ثلاثة أرباع من العبد المسلم لله تعالى الباطن بتمامه والنصف من الظاهر، وبقى النصف الآخر من الظاهر لأداء حقوق الخلق امتثالاً لأمر الحق لكن إذا كان هذا النصف لأداء حقوق الخلق يصير لله سبحانه إليه يرجع الأمر كله.

الثامنة: «**ياد كرد**» هى عبارة عن تكرار الذكر على الدوام باسم الذات، أو النفى والإثبات إلى أن يحصل للذاكر الحضور بالمذكور، وقيل: المقصود منها ذكر النفى والإثبات بالقلب على الطريقة المعروفة عند السادات النقشبندية: وهى أن يغمض الذاكر عينيه ويطبق الفم، ويجعل السن على السن، ويلصق

اللسان بعرش الفم، ويحبس النفس ويذكر بالقلب لا باللسان بأن يبتدئ بكلمة لا من تحت السرة، ويرفعها إلى الدماغ، وبكلمة إله من الدماغ إلى الكتف الأيمن، ويضرب إلا الله على القلب الصنوبري الشكل حتى تصل حرارته إلى الأعضاء كلها، ويقول بعد ذلك فى القلب: محمد رسول الله، ويكررها على قدر قوة النفس، ولابد مع ذلك من استحضار معناها وهو نفي المقصودية عن غير الله تعالى وإثباتها له عز وجل.

التاسعة: «**بازكشت باز**» بمعنى الرجوع وكشت بالكاف الفارسية أصله كشتن حذفت نونه للتخفيف، والمراد بها عندهم أنه ينبغى للذاكر أن يرجع فى النفى والإثبات بعد إطلاقه للنفس إلى مخاطبة الحق بهذه الجملة الشريفة: إلهى أنت مقصودي، ورضاك مطلوبى؛ لأنها تؤكد معنى النفى والإثبات، وتورث فى قلب الذاكر سر التوحيد حتى يفنى عن نظره وجود جميع الخلق، ويظهر له وجود الواحد المطلق فى المظاهر؛ ولذلك كانت السادات النقشبندية يأمرون بها المريدين ليتصفوا بمضمونها مع المداومة عليها لأن من خاصية هذه الكلمة ظهور سر التوحيد وانكشاف حقيقة التجريد والتفريد، ولا يجوز للمبتدي إذا لم يجد فى قلبه صدق مضمونها أن يتركها، بل يقولها تقليداً لمرشده إذ المقلد يصير محققاً وآثار الصدق تظهر بالتدريج.

العاشرة: «**نكاه داشت**»، نكاه بمعنى الحفظ، وداشت أصله داشتن حذفت نونه للتخفيف يريدون بها أن يحفظ السالك قلبه على ملاحظة معنى النفى والإثبات عند الذكر لئلا تدخله الخواطر، فإن دخلت فيه الخواطر لا تحصل فيه نتيجة الذكر التى هى حضور القلب بالمذكور أو المراد أن يحفظ قلبه عن دخول

الخواطر فيه ساعة أو ساعتين أو أقل أو أكثر، وهذا المعنى يتحد بالوقوف القلبي.
واعلم أن حفظ القلب من دخول الخواطر ولو ربع ساعة أمر عظيم عند الصوفية، فإن من قدر على ذلك فقد تصوف لأن التصوف هو القدرة على حفظ القلب عن دخول الخواطر وتعطيله عن الأفكار، فمن قدر على هذين الأمرين فقد عرف حقيقة قلبه ومن عرف حقيقة قلبه، فقد عرف ربه كما قال ﷺ: «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**». قال الشيخ قاسم أحد أصحاب الشيخ عبيد الله أحرار: إني لأحفظ قلبي من الخواطر من طلوع الفجر إلى الضحى بحيث لا يكون للقوة المخيلة أثر. وقال بعض العارفين: حرست قلبي عشر ليال فحرسني قلبي عشرين سنة. وقال الشيخ أبو بكر الكتاني قدس سره: كنت بواباً على باب قلبي أربعين سنة وما فتحته لغير الله تعالى حتى صار قلبي لم يعرف غير الله عز وجل. وقال سيدنا الشيخ أبو الحسن الخرقاني قدس سره: اليوم لي أربعون سنة والله ينظر إلى قلبي لا يرى فيه غيره ما بقي في لغير الله شيء، ولا في صدري لغيره قرار. أو المراد من حفظ القلب من الخواطر عدم ثباتها عند مرورها عليه قال الشيخ عبيد الله أحرار: ليس معنى حفظ الخاطر أن لا يجيء للسالك خاطر أصلاً بل أن لا يزاحم الخاطر حضوره كالحشيش إذا سقط على الماء الجاري فإنه لا يمنع جريانه، وقال: سألت الشيخ علاء الدين الغجدواني، وهو من كبار أصحاب سيدنا بهاء الدين نقشبند هل يمكن أن لا يجيء الخاطر قط؟ قال: لا بل تارة يجيء وتارة لا يجيء، كقولك لآخر: لا تكن مغموماً تريد لا تدم على غمك لا أن لا يجيئك غم. ويؤيده ما قاله الشيخ علاء الدين العطار: وانتفاء الخواطر متعسر بل متعذر، فإني حرست قلبي من الخواطر

عشرين سنة ثم جاءت، ولكن ما استقرت. وقال بعضهم: لا عبرة للخواطر إذا لم تتمكن وتصير سداً في مجاري الفيض.

الحادية عشر: «**ياد داشت**»: هي كناية عن حضور القلب مع الله تعالى على الدوام في كل حال من غير تكلف ولا مجاهدة، وهذا الحضور في الحقيقة لا يتيسر إلا بعد طي مقامات الجذبة وقطع منازل السلوك، ثم اعلم أن الحضور الحاصل من الذكر والمراقبة والصحبة والرابطة والمسمى ياد داشت متحدة من حيث الحقيقة لأن الحضور مشاهدة أنوار الذات الأحدية لكنها مختلفة من حيث الكيف لا يعرف ذلك الاختلاف إلا الخواص. ثم إن الشيخ قدس الله سره لما قرب انتقاله للدار الآخرة أذن بتربية المريدين **لأربعة خلفاء راشدين**.

الخليفة الأول البحر الحبر العارف والمرشد الكامل المعارف الشيخ أحمد الصديق قدس سره. كان من كبار المشايخ العظام، وهو بخاري الأصل، صحب الشيخ عبد الخالق قدس سره حتى كمل بدره، ولما رفعه الله تعالى إليه جلس مكانه في دست الإرشاد إلى أن توفي قدس سره.

الخليفة الثاني: كبير الأولياء الشيخ عارف أولياء الكبير قدس سره أصله من بخاري، وكان مستغرقاً في تحصيل علم الظاهر فلقي الشيخ مرة في السوق قد اشترى لحماً وحمله فقال له: أنا أحمله عنك فأعطاه إياه فلما وصل إلى بيته التفت إليه وقال له تأتي بعد ساعة حتى آكل الطعام معك فلما انصرف لم يجد في قلبه ميلاً للعلم بل وجده منصرفاً لخدمة الشيخ فعاد إليه في الوقت فتقبله وقال، له: أنت ولدي وعلمه الطريق فاشتغل به وترك الذهاب إلى أستاذه فكان

كلما رآه أستاذه عنفه وشتمه على ترك العلم وأمره بالحضور إلى المدرسة وهو لا يقبل ولا يجيبه بشيء فاتفق أن اقترف أستاذه ذات ليلة كبيرة من الكبائر فلما التقيا فى النهار أطال لسانة عليه على العادة فقال له: يا سيدى كنت فى الليل فى كذا وكذا من الفسق والآن تمنعنى عن طريق الحق فخجل الأستاذ خجلاً عظيماً وعلم علو مراتب الصوفية وأحوالهم. وحضر عند الشيخ عبد الخالق فى الحـــال وتاب وأخذ طريقته وصار من المقبولين لديه، وثبت أن مولانا عارف أوليـــاء الكبير مكث أربعين يوماً لمراقبة الخواطر فى باب مســـجد علـــى رأس ســـوق الصيارفة ببخارى و لم يزاحم حضوره القلبى مع الله تعالى شيء من الخـــواطر فى تلك المدة، وكان حضرة الشيخ عبيد الله أحرار يستعظم ذلك منه ويستحســـنه ويستغربه حتى أنه يعض أصبعه المبارك من التعجـــب ويقـــول: إن الاشـــتغال بالطريقة النقشبندية بجد مدة يسيرة يبلغ مرتبة فيها يتخيل للطالـــب أن جميـــع الأصوات ذكر، توفى فى بخارى ودفن قرب برج العيار على تل زير حصار قدس سره.

الخليفة الثالث: العارف الكبير والبدر المنير الشيخ سليمان الكرميني قدس سره كان من أكابر المرشدين.

الخليفة الرابع: شيخ هذه السلسلة وأعظم من سرى إليه سر هذه النسبة.

سيدنا الشيخ عارف الريوكري قدس سره

وهو عارف ظهرت أنوار صادق فجره فأشرقت بعد غروب شمس المعارف في عصره، ولد قدس الله سره في قرية ريوكر بالراء المهملة والياء المثناة التحتية والواو الساكنتين والكاف الفارسية المكسورة. وقيل تفتح وبالراء المهملة وهي من قرى بخارى على ستة فراسخ منها وميل من غدوان، ثم أخذ الطريقة عن حضرة العزيزان، وقام بأعباء خدمته حتى أذن له بالإرشاد وشهد له بالكمال على رؤوس الأشهاد، ولما أفضت إليه الخلافة لحق بالهمة القوية أسلافه فتصدر للإرشاد وتصدى ولم يخف المريد من ليلى مراده هجراً ولا صداً، فملأ الأقطار بأعطار بركاته وفتح أبصار الأمصار بأسرار فتوحاته، حتى أصبح نور حديقة الحقيقة ونور حدقة هذه الطريقة يقصد بالرحلة من كل الجهات، وهو من أعظم رجال «النفحات» و«الرشحات» وكانت وفاته في القرية المذكورة، ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة عنه.

سيدنا الشيخ محمود الأنجير فغنوي قدس سره

وهو مرشد تفجرت من بين أصابعه مياه الحكمة أنعم الله تعالى بوجوده على قلوب هذه الأمة فصقل مرآتها من كل ظلمة وغمة، ومزق عنها رحمة بها حجب الأغيار، وجعلها بأنواره القدسية من المصطفين الأخيار، فهو أعظم نعمة وأعم رحمة، ولما أقيم مقام سيدنا الشيخ عارف قدس سره انقطع لهداية الخلق إلى الحق وقد عدل إلى الذكر الجهري منذ مرض أستاذه لمقتضى خلق الوقت

والخلق واستمر عليه بعد انتقاله، وكان أكثر إقامته فى مسجد وابكنى بواو مفتوحة فألف فموحدة ساكنة فكاف فنون فياء تحتية قرية من أعمال بخاري. وحضر يوماً مجلس علم فأشار الشمس الحلوانى إلى الشيخ حافظ الدين وهو من كبار علماء أهل الظاهر أن يسأله: ماذا ينوي بذكر الجهر؟ فقال له: إيقاظ النائم وتنبيه الغافل ليتوجه إلى الله، ويستقيم على الطريقة، ويخلص التوبة لله التى هى مفتاح الخير وآية السعادة. فقال له: إن نيتك صحيحة تجيز لك الجهر بالذكر. وطلب الشيخ حافظ الدين منه أن يبين له حال من يجوز له ذكر الجهر ليمتاز المحق من المبطل فقال قدس سره: من وجدتم لسانه مطهراً من الكذب والغيبة، وجوفه متزها عن الحرام والشبهة وقلبه مزكى من الرياء والسمعة، وسره مبرأ من التوجه للأغيار فهو المحق. وقال سيدنا الشيخ على الراميتنى قدس سره: لقى رجل الخضر عليه السلام فقال له: أخبرنى عمن هو فى هذا الزمن على جادة الشريعة المطهرة وطريق الاستقامة حتى أتبعه فقال له: هو الشيخ محمود الأنجير فغنوى قدس سره قال بعض أصحاب الشيخ: إنه هو الرجل الذى لقى الخضر. وذكر الشيخ أيضاً أن الشيخ محمود كان على قدم الكليم على نبينا وعليه الصلاة والتسليم. وعاد قدس سره حضرة الشيخ دهقان قلتى نسبة إلى قلت بكسر القاف وتشديد اللام المفتوحة بعدها مثناة تحتية قرية على فرسخين من بخارى، وكان من كبار خلفاء الشيخ أولياء الكبير البخارى، وقد احتضر فلما خرج من عنده سأل الشيخ دهقان الله تعالى أن يغيثه بولى من أوليائه فى سكرات الموت. فإذا بالشيخ محمود عاد إلى مترل الشيخ دهقان ثانياً وبقى ثم حتى التحق بالرفيق الأعلى. وولد قدس سره فى قرية انجير بكسر الهمزة وسكون

النون وجيم فياء ساكنة فراء مهملة اسم للتين بالتركية وفغنى بفاء فمعجمة فنون فمثناة تحتية. قرية من أعمال بخاري ثم تلقى عنه سر هذه النسبة الزكية.

الشيخ على الراميتنى قدس سره

وهو علم علم ما أرفعه، ومنهل فضل ما أنفعه فتح من كنوز القلوب أقفالها وأوضح من سنن الغيوب أغفالها. كم جبر بكسر شهوات النفوس أحوالها، ومحا عنها بما أوحى لها أوحالها. ونال فى دولة العارفين من الفضائل والمفاخر ما صدق قول القائل كم ترك الأوائل للآواخر. فهو لإرشاد القاصرين إلى المقامات العرفانية أولى ولى، وإذا لم تكن العلماء أولياء فليس لله ولى. علا فى سماء الهداية قدره واسمه، فلا يدرك بالعبارة حده ولا رسمه. ولد قدس سره فى قرية راميتن وهى براء مهملة مفتوحة فألف فميم مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة فنون قرية على فرسخين من بخارى ونشأ بها واشتغل بتحصيل العلوم الشرعية حتى تضلع منها، واتصل بحضرة سيدنا الشيخ محمود الإنجير فغنوى فحصل له من المقامات العالية، والفتوحات المتوالية ما ملأ به الخافقين أمداداً والفريقين إرشاداً، واشتهر بالعزيزان وهى أعظم آية على علو الشأن. ومن أنفاسه النفيسة: اعملوا ولا تحسبوا، واعترفوا بالتقصير واستأنفوا العمل. ومنها: اجتهد بالحضور على الدوام لا سيما وقت الطعام، وعند الكلام. ومنها أن فى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا**﴾ [التحريم: ٨] إشارة وبشارة إشارة إلى التوبة، وبشارة بقبولها، فإن الأمر بها دليل قبولها إذ لو لم يقبلها لم يأمر بها. وسئل قدس سره عن المسبوق متى يقضى ما فاته؟ فقال

قبل طلوع الفجر وقال قدس سره فى معنى قوله عليه الصلاة والسلام «**إن الله ينظر إلى قلب المؤمن كل يوم وليلة ستين وثلثمائة مرة**»: إن للقلب ستين وثلثمائة منفذ ولكل عضو ستين وثلثمائة عرق من الأمعاء وغيرها متصلة بالقلب فإذا تأثر القلب ذكر الله بحيث يصل إلى مرتبة تختص بنظر الله سرى هذا التأثر إلى جميع الأعضاء فيشتغل كل عضو بالطاعة اللائقة به ومن نور طاعة كل عضو يصل الفيض الذى هو عبارة عن نظر الرحمة إلى القلب. وسئل قدس سره عن الإيمان؟ فقال هو القطع والوصل. وكان معاصراً للعالم الكبير الشيخ ركن الدين وبينهما مفاوضات ومراسلات كثيرة. منها: أنه أرسل الشيخ ركن الدين إليه رسولاً يسأله ثلاث مسائل الأولى: قال له كلانا نخدم الفقراء والمساكين ونطعم الطعام فما بال طعامك لا تكلف فيه، والخلق يشكرونك، ويرضون منك ويشكون منى ولا يرضون؟ فأجاب قدس سره بأن كثيراً من أهل العطاء يمنون على المعطى له ولا يتحمل المن إلا قليل من الناس، فاجتهد فى عدم المنة لا تجد أحداً منهم شاكياً المسئلة الثانية: قال له: سمعت أن الخضر قد تولى تربيتك فكيف هذا؟ فأجابه بأن الذين يحبهم الله يحبهم الخضر. المسئلة الثالثة: قال له سمعت أنك تذكر الله جهراً فمن أين لك ذلك؟ فأجابه بأنى أنا سمعت كذلك أنك تذكر الله خفية وما سمعه غيرك يكون جهراً. وسأله مولاه سيف الدين فضة وكان من أجل العلماء فقال له لم تجهر بالذكر؟ فقال له قد اتفق العلماء على جواز الجهر بالذكر عند النفس الأخير من الحياة لقوله ﷺ «**لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله**» وعند الصوفية كل نفس هو النفس الأخير. وسأله مولانا الشيخ بدر الدين الميدانى وكان من أجل أصحاب الشيخ حسن البلغاري

بأن الله تعالى قد أمرنا بكثرة الذكر بقوله جل جلاله: ﴿**اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيراً**﴾ [الأحزاب: ٤١] فهل المراد به ذكر اللسان أو القلب؟ فقال للمبتدئ ذكر اللسان وللمنتهى ذكر القلب، لأن المبتدئ يذكر الله تعالى بالتكلف والتعمل وأما المنتهى فإن القلب إذا تأثر بالذكر صارت جميع أجزائه ذاكرة، فحينئذ يتحقق بالذكر الكثير فتكون أعمال يوم واحد منه بمقدار عمل سنة من غيره. وقال قدس سره: على المرشد أن يعلم أولاً استعداد السالك وقابليته ثم يلقنه الذكر ويربيه على حسب ذلك، فإن مثل من يتصدى لتربية المريدين وإرشادهم مثل من يربى الطائر فكما ينبغى له أن يعلم قدر تحمل حوصلته فيطعمه على حسبها كذلك المرشد. وقال قدس سره: لو كان أحد على وجه الأرض من أولاد الشيخ عبد الخالق الغجدوانى موجود لما صلب الحلاج. وأنشد بين يديه رجل يوماً.

لكل صب أذاب العشق مهجته فى كل فرد من الأنفاس عيدان

فقال قدس سره: بل ثلاثة أعياد فسأله بيانها فقال: هى التوفيق للذكر، والذكر، وقبوله. وقال قدس سره: ينبغي للسالك أن يكثر من المجاهدات، والرياضات ليحصل الأحوال والمقامات، وهنالك طرق آخر وهو أن يسعى فى تحصيل محبة قلوب الأولياء له فإن قلوب هذ الطائفة العلية موارد الحكم الإلهية فيدرك بذلك نصيباً منها، وتظهر أحوالهم عليه، وسأله الشيخ فخر الدين النوري وكان من أكابر القوم ما السبب فى أنه تعالى لما قال فى الأزل للذر ﴿**أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى**﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فأجابوه، ويوم القيامة يقول ﴿**لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**﴾ [غافر: ١٦] فلا يجيبه أحد؟ فقال قدس سره السبب فى ذلك أنه

كان يومئذ وضع التكاليف الشرعية والتكلم من ضروريات الشرع وأما يـــوم القيامة ففيه ترفع التكاليف، ويبتدأ عالم الحقيقة وليس فى الحقيقة تكلم فاقتضـــى أن يجيب الحق تعالى نفسه بقوله ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وقال قدس سره: أتى الخضر يوماً لزيارة الشيخ عبد الخالق الغجدوانى فأحضر له الشـــيخ رغيفين من شعير، فما أكل عليه السلام، فقال له الشيخ: كل يا سيدى فإنـــه حلال، فقال: نعم غير أن عاجنه لم يكن طاهراً فلا يجوز لى أن آكله. وله قدس سره ما معربه.

من لم تفدك حضور القلب صـــحبته ... وعنك غيم الهوى والنفس ما كشفا

إن لم تفارقه تحصـــيلاً لجمعـــك لم ... تقبلك روح العزيزان الذى عرفـــا

وله قدس سره ما تعريبه

إذا رمتِ قرب الحق دع كل فرقـــة ... وفرقة أهل الحق بالصدق فاصحب

وإن رمت إمداد العزيـــزان فأتـــه ... على الرأس والعينين سعياً تقـــرب

ومن خوارقه -قدس الله سره- أنه وقع بينه وبين أحد معاصريه وهو السيد أتى برودة، فصدر منه ذات يوم ما ينافى الأدب بحقه -قدس سره- فـــاتفق أن أغارت طائفة الأتراك ذلك اليوم على البلدة، فنهبوا وأسروا كثيراً من أهلـــها، ومن جملتهم ولد السيد أتى المشار إليه لما بلغه خبر ولده علم أن هذا مجازاة لـــه من الله تعالى على ما وقع منه بحق العزيزان -قدس سره- فجـــاء مســـرعاً إلى حضرته، واعتذر منه ودعا الشيخ ومن كان فى مجلسه الشريف مـــن العلمـــاء والمشايخ إلى داره، ففهم قدس سره مراده، فلما حضر وفرش الخـــادم الســـفرة

وأتى بالطعام، فقال الشيخ قدس سره: لا أمد يدى إلى طعامه حتى يحضر ولده، ويأكل معنا، ثم سكت والجماعة ينظرون إليه، فإذا بالباب يطرق ففتحوه فوجدوا الولد قد جاء، ففزع الناس كلهم فزعا شديداً وأقبلوا عليه يسألونه عن كيفية خلاصه من الأسر ووصوله إليهم، فقال: أنا لا أعلم نفسي إلا أنى كنت فى هذا الوقت عند الترك أسيراً ثم وجدتنى عندكم. وكان بين البلدين مسافة عشرة أيام فأذعن الحاضرون كلهم لفضله وكرامته على الله تعالى، ومنها: أن أحد السادات جاء يوماً لزيارته قدس سره، ولم يكن عنده شيء يكرم به ضيفه أصلاً، فجلس معه وهو مهتم لذلك، فما لبث أن جاءه أحد مريديه وكان أبوه طباخاً بقصعة من ثريد فوضعها بين يدى الشيخ ثم وقف بالذل والإنكسار، وقال له: إنى صنعت هذه على اسمك، فأرجوك أن تتقبلها، فتهلل وجه الشيخ -قدس سره- سروراً بصدق خدمته وانكساره، وأكل هو وضيفه منها ثم لما انصرف نادى الغلام، وقال له: بارك الله لك فى رزقك، وتقبل هديتك اطلب منى ما تحب، فإنه يحصل لك إن شاء الله تعالى، وكانت همة الغلام عالية جداً فقال له: إن أقصى مرادى أن أكون مثلك صورة وسيرة، فقال الشيخ هذا أمر صعب لا تطيقه، فقال: لا أريد غيره فأخذ الشيخ بيده وأدخله إلى خلوته وتوجه إليه بكليته وتفضل عليه بعلىِّ همته فبعد ساعة خرج الغلام وقد صار كالشيخ صورة وسيرة لا يقدر أحد أن يميز بينهما وعاش أربعين يوماً وقيل أقل ثم انتقل إلى رحمة الله عز وجل. ولما جاءه الأمر الإلهى بالتحول من بخارى إلى خوارزم توجه فى الحال إليها فلما وصلها نزل عند باب سورها وأرسل رسولاً إلى ملكها يقول له إن فقيراً نساجاً قد قصد الدخول إلى بلادكم والإقامة بها فإن

أذنتم له دخل وإلا رجع، وأمر إن أذن له بالدخول أن يأخذ منه بذلك كتاباً مختوماً بخاتمه فلما جاءه الرسول وعرض عليه ما أمر به سخر السلطان وأتباعه من كلامه، وقال: على سبيل الاستهزاء إن هؤلاء من أولى الحمق والبلة، فاكتبوا له بما يريد فلما أخذ الكتاب على الوجه المطلوب وأتى به إلى الشيخ دخل قدس سره المدينة وطفق يشتغل بطريق السادات قدس الله أسرارهم، وكان يخرج كل يوم إلى أسواق المدينة ويقف عند أرباب الصنائع فيقول لهم ما أجرتكم فى اليوم فيقولون له كذا وكذا، فيقول لهم: أنا اعطيكم أجرتكم وتعالوا فتوضئوا واجلسوا معنا اليوم واذكروا الله تعالى إلى الغروب، فكان كل من أجابه لذلك ببركة الشيخ وقوة تصرفه يحصل له حال تمنعه عن مفارقته وتجذبه إلى صحبته ومتابعته فما مضت أيام إلا وكثرت أتباعه ومريدوه، فمشى بعض الحساد إلى السلطان ووشى إليه بأنه قد أتى إلى مدينتكم شيخ قد اجتمع عليه الناس وكثر تلامذته وأصحابه ويخشى من ذلك حدوث خلل فى ملكك وفتنة لا يمكن أحد دفعها فخاف السلطان وأتباعه من ذلك، وهموا بإخراجه قدس سره فلما بلغه أرسل الرسول المذكور بكتاب الإذن إلى السلطان وقال له: أطلعه عليه وقل له: إنه ما دخل إلا بإذنكم فإن شئتم أن تبدلوا حكمكم فإنه يخرج، فلما وصل إلى السلطان أعطاها الكتاب وأخبره بمقالة الشيخ فخجل السلطان خجلاً عظيماً، ثم جاء لزيارة الشيخ واعتذر عما صدر منه إليه وأخلص له المحبة فحصل له نفع عظيم على يديه. توفى يوم الاثنين بين الصلاتين ثامن عشر ذى القعدة الحرام سنة خمسة عشر أو إحدى وعشرين وسبعمائة وقد عمر مائة وثلاثين سنة، وكان له ولدان عالمان كاملان بلغا فى حياته مبلغ الفضل والعرفان أحدهما:

الشيخ محمد خورد بضم الخاء المعجمة وسكون الواو والراء المهملة والدال المهملة كان عمره حين توفى والده ثمانين سنة والثاني: الشيخ إبراهيم ولما احتضر والده أجاز له الإرشاد من بعده فخطر على قلب بعض المريدين أنه لم يجز الشيخ لولده الكبير ذلك مع أنه أكمل وأفضل من الصغير؟ فقال قدس سره من طريق الكشف: إن الشيخ محمد خورد لا يبقى بعدي إلا قليلاً، فمكث بعده تسعة عشر يوماً وتوفى، وأما الشيخ إبراهيم فإنه عمر بعده اثنين أو ستة وخمسين سنة ثم تلى سر هذه النسبة الشريفة منه.

الشيخ محمد بابا السماسي قدس سره

وهو عالم الأولياء، وولى العلماء. تفرد فى علمى الظاهر والباطن، وعمت بركاته كل المواطئ والمواطن. طالما أثار بهمته من المعارف كل كامن، كيف لا وهو خلاصة خاصة القرن الثامن. وفى الإسراء بأسرار الغيوب إلى الحرم الأقصى من القلوب آية لا ينتهى إلى أحد عن هداها، وغاية لا ينتهى أمد مداها. حجت إلى حرم كرمه العارفون، وطافت بكعبة إرشاده الطائفون، إذ كان من أعز خلفاء العزيزان ولد –قدس سره– فى سماس بسينين مهملتين أولاهما مفتوحة بينهما ميم مشددة وألف قرية من قرى راميتن على ميل منها وثلاثة أميال من بخاري واشتغل بقراءة العلوم النقلية والعقلية حتى أصبح علامة فى كل الفنون ثم صحب سيدنا العزيزان، ودأب على المجاهدات والرياضات فامتاز على إخوانه بالفيوضات والكرامات وبلوغ ختم المقامات، حتى اختاره خليفة له عند وفاته وأمر أصحابه بمتابعته وطاعته مدة حياته، بشر قدس الله سره بظهور سيدنا

الشيخ محمد بهاء الدين شاه نقشبند قبل ولادته وذلك أنه كان كلما مر علـــى قريته وهى قصر العارفان كما سيأتي يقول لأصحابه: إنى لأجد من هذه الأرض رائحة عارف إلى أن مر مرة على تلك القرية فقال لهم: إنى أرى تلك الرائحـــة قد زادت وكان هذا بعد ولادته قدس سره بثلاثة أيام، فما لبث أن جاء به جده إليه فلما رآه قال له: هذا ولدي ثم التفت نحو أصحابه وقال: لهم هذا العـــارف الذى طالما كنت أشير إليكم بأنى أجد رائحته من هذه القرية وقريباً إن شاء الله تعالى يصير قدوة الخلائق. وأقبل على السيد الأمير كلال وقال لـــه: إن هـــذا ولدى فلا تقصر فى تربيته ولئن قصرت فى ذلك لا تجدنى عنك راضياً أبداً فقام السيد على قدميه وقال قد قبلت خدمته على الرأس والعين لا أقصر إن شاء الله تعالى بها أصلا، وكان له بستان من العنب كثيراً ما يأتى إليه ويباشـــر تربيـــة أشجاره بيديه فكان كلما قطع غصنا يغيب عن شعوره، ويبقى كذلك ساعة أو ساعتين حتى يرجع إلى حضوره توفى فى سماس، ثم تلقى سر هذه النسبة الريفـــة منه.

الشيخ سيد أمير كلال قدس سره

وهو زهرة رياض الشمائل المحمدية. وسدرة منتهى ما يشتهى من المقامـــات العلوية. صاحب سدة الإرشاد. وساحب أذيال الفيوضات والإمداد. كـــفء مخدرات الأسرار الغيبيه. والمربى بأنفاسه الذكية أوابد النفـــوس الأبيـــه. فهـــو للشريعة مجددها، وللطريقة سيدها، وللحقيقة مشيدها، وللخليقـــة مرشـــدها ومؤيدها به نالوا ما نالوا من البركات والعلوم الإلهية والإدراكات، وامتازوا فى

ديوان العارفين بالسيادة الغراء، ولا غرو فإن أولياء السادات سادات الأوليـــاء. ولد -قدس سره- فى قرية سوخار بضم السين المهملة وسكون الواو والخـــاء والألف والراء المهملة، وهى على فرسخين من بخاري وتوفى فيهـــا. ذكـــر فى مقاماته عن والدته -رحمها الله- أنها قالت: لقد كنت وأنا حامل به إذا تناولت لقمة من طعام مشتبه أجد ألماً فى نفسى، فلما تكرر معى هذا الأمـــر التزمـــت طريق الاحتياط فى طعامى، فلم أجد بعد ذلك شيئاً، وكنت أرجو أن يجعل الله فيه الخير والبركة. وذكر أنه لما بلغ سن الشباب اشتغل بفن المصارعة، فكـــان يجتمع عليه أرباب الشجاعة وأولوا المعاركة، فاتفق ذات يوم أن رجـــلاً مـــن الواقفين خطر بباله أن هذا سيد شريف، فكيف يشتغل بالمصارعة ويسلك سبيل أهل البطالة، فلم يلبث أن غلب عليه النوم فرأى فى منامه أن القيامة قد قامـــت وأنه وقع فى وحل عظيم فغرق فيه إلى صدره، واضطرب اضطراباً عظيماً، وفزع فزعاً كبيراً فأتى إليه السيد أمير -قدس سره- وأنقذه من هذه الورطة ثم أفاق، فالتفت إليه حضرة السيد أمير وقال له: أرأيت همتى وعلمت ما معنى المصارعة؟ ومر سيدنا الشيخ محمد بابا السماسى مرة هو وأصحابه بمعتركه فوقف عنـــده، فقال بعض أصحابه فى نفسه كيف يقف الشيخ عند أهل هذه البدعة؟ فالتفت الشيخ نحو أصحابه فى الحال وقد كوشف بهذا الخاطر، وقال لهم: إن بين هؤلاء رجل ينتفع ببركة صحبته كثير من الناس وينالون أرفع الدرجات فأنـــا أريـــد صيده، فحانت من السيد أمير نظرة إلى سيدنا الشيخ فانجذب فى الحال إليه قلبه، فلما انصرف الشيخ تبعه السيد أمير حتى وصل إلى داره فأدخله معه البيـــت ثم لقنه الذكر وعلمه أصول الطريقة العلية، وقال له: الآن أنت ولـــدي، فـــلازم

صحبته عشرين سنة مع الاشتغال بالذكر والفكر والعبادة والخلوة حتى لم يـره أحد هذه المدة فى سوق ولا معترك ولا غيره، وكان يجيء كل يـوم الاثـنين والخميس من سوخار إلى سماس لزيارة الشيخ وكان بينهما مسافة خمسة أميال ولم يزل يشتغل هذه المدة كلها بطريق السادات إلى أن بلغ فيه أعلى الدرجات وعلت نسبته عن أمثاله فغاب عن أعين قلوبهم فى غيـب سمـوات التجليـات العاليات.

خلفاؤه الكرام

الخليفة الأول: الولى الكامل الولاية عمدة أهل الإرشاد والهدايـة، مولانـا الشيخ عارف الديك كرانى قدس سره ولد فى قرية ديك كران وتوفى بها وهـو إمام كبير الشأن خدم المير كلال حق الخدمة فأثنى عليه وقال: ليس أحد مـن خلفائي مثل الشيخ بهاء الدين النقشبند ومولانا عارف وكان سيدنا النقشـبند يبالغ فى الثناء عليه، وقد صحبه ثلاثين سنة على غاية من الأدب فى الخدمة حتى كان إذا توضأ مولانا عارف من النهر لا يتوضأ من فوق محله، وإذا مشـى لا يضع قدمه مكان قدمه وقال سيدنا النقشبند قدس سره: سـافرت مـرتين إلى الحجاز ودخلت زواياها ومدارسها وخلواقا فما وجدت أحداً مثـل مولانـا عارف أو مقدار ذرة منه ولو وجدت ذلك ما رجعت إلى هذه الديار فإنى أريد أن ألقى من يكون ظاهره مع الخلق وسره فوق السموات السبع. ومن كرامات مولانا عارف: أنه جاء يوماً سيل عظيم على قريته فخاف أهلها مـن الغـرق ففزعوا إليه فخرج وجلس مكان طغيان الماء وقال له: إن كان لك قوة فاحملنى فتراجع السيل وسكن ولما رجع سيدنا النقشبند من الحجاز توطن مروا فأقبـل

إليه الناس من كل جانب، حتى اجتمع عنده من المريدين عالم كبير، فما لبث أن بعث إليه مولانا عارف رسولاً يستحثه على الحضور إليه فسافر مخفا حتى إذا وصل إليه صرف أصحابه من عنده، وقال لهم: إن لى معه سراً فلما انصرفوا قال له: إن أجلى قد قرب و لم يبق منه إلا يومان أو ثلاث وإنى نظرت فى أصحابى وأصحابك فلم أجد أحداً فيه قابلية تامة إلا مريدك الشيخ محمد بارسا فكل ما أوعدنيه الحق تعالى فقد أودعته إياه فلا تقصر فى تربيته فإنه صاحبك، فأمر أصحابه أن يتبعوه ثم أوصاه إذا مات أن يغسل إناء الماء بيده ويجلس على هيئة التشهد عند تسخين الماء ويغسله ويكفنه ويدفنه وبعد ثلاث يرجع إلى مرو ففعل كل ما أوصاه به. ومقامه فى ديك كران خارج البلدة على طريق هزارة قدس الله سره. وقد أنتج الله على يده خلقاً كثيراً.

الخليفة الثانى: إمام أئمة الهدى وجوهرة العارفين مولانا الشيخ جمال الدين الدهستانى قدس سره.

الخليفة الثالث: فذلكة المرشدين الكبار مولانا الشيخ يادكار الكنسروى قدس سره.

الخليفة الرابع: سيد هذه الطريقة، وشيخ هذه السلسلة الأنيقة، وأعظم من سرى إليه سر هذه النسبة المطهرة فأحياها وزاد عزها وشرفها وعلاها الغوث الأعظم.

سيدنا الشيخ محمد بهاء الدين الشاه نقشبند

الأويسي البخاري قدس الله سره العزيز هو الغوث الأعظم وعقد جيد المعارف الأنظم. انزاحت بأنوار هدايته أغيان الأغيار. وعادت الأشرار ببركة أسراره من أخيار الأعيان وأعيان الأخيار. ولد قدس الله سره فى شهر محرم الحرام سنة سبع عشرة وسبعمائة فى قصر العارفان قرية من قرى بخاري على فرسخ منها، والألف والنون فى العارفان علامة الجمع فى اللغة الفارسية، وكانت مخائل الولاية فى غرته الطاهرة ظاهرة، وعلائم السعادة على كرائم أحواله بادية بادرة، أتحفه الله تعالى منذ كان طفلاً بالكرامات الزاهية الزاهرة، تلقى هذه الطريقة العلية فى الظاهر من سيدنا الشيخ محمد بابا السماسى ثم من بعده صحب السيد أمير كلال وفى الحقيقة كان أويسيا ربته روحانية مولانا الشيخ عبد الخالق الغجدوانى قدس الله سرهم. قال قدس الله سره: أرسلنى جدي وكان سنى وقتئذ نحو ثمان عشر سنة إلى سماس لخدمة العارف الكبير والمرشد الشهير الشيخ محمد بابا السماسي باستدعاء منه لى، فلما نلت الحصول إليه لم يأت وقت الغروب إلا وقد وجدت ببركته بنفسى سكينة وخشوعاً وتضرعاً ورجوعاً ثم إنى قمت وقت السحر فتوضأت وأتيت المسجد الذى فيه أصحابه فأحرمت بالصلاة فلما سجدت دعوت الله تعالى وتضرعت إليه كثيراً فمر على لسانى فى أثناء دعائي: إلهى أعطنى قوة على تحمل البلاء، ومحنة المحبة، ثم إنى صليت الفجر مع الشيخ قدس سره فلما انصرف من الصلاة التفت إلى وذكر لى كل ما صدر منى على طريق الكشف، ثم قال لى: يا ولدي ينبغي أن تقول فى دعائك: إلهى

أعط هذا العبد الضعيف ما فيه رضاك، فإنه تعالى لا يرضى أن يكون عبده فى بلاء، وإن ابتلى حبيبه على مقتضى حكمته يعطه قوة على تحمله ويطلعه على حكمته فلا ينبغي للعبد أن يختار البلاء فإنه ينافى مقام الأدب. وقال قدس سره: لما توفى حضرة الشيخ محمد بابا السماسي أخذنى الجد إلى سمرقند، فكان كلما سمع برجل صالح من أهل الله حملنى إليه وسأله الدعاء لى فكانت تنالنى بركتهم ثم أتى بى إلى بخارى وزوجنى بها وكانت إقامتى فى قصر العارفان، ومن العناية الإلهية بى أنه وصلت إلى قلنوسة العزيزان فى تلك الأوقات فتحسنت أحوالى وقويت آمالى إلى أن حظيت بصحبة السيد أمير كلال قدس سره وأخبرنى بأن حضرة الشيخ محمد بابا السماسي قدس سره أوصاه بى، وقال له لا تأل جهداً بتربية ولدى محمد بهاء الدين ولا بالشفقة عليه ولست منى فى حل إن قصرت فى ذلك فقال له قدس سره: إن أنا قصرت فى هذه الوصية فلست برجل ثم وفى عده وقال قدس سره مبتدأ يقظنى وتوبتى أنى كنت جالساً مع صاحب لى فى خلوة فبينما أنا ملتفت إليه أكلمه إذ سمعت قائلاً يقول لى: أما آن لك أن تعرض عن الكل وتتوجه إلى حضرتنا؟ فحصل لى من سماع هذا الكلام حال عظيم، وخرجت مسرعاً من ذلك البيت لا يقر لي قرار، وكان قريباً منه ماء فاغتسلت منه وغسلت ثيابى، وفى تلك الحالة من الإنابة صليت ركعتين طالما مضت على أعوام وأنا أتمنى أن أصلى مثلهما فلم أتمكن من ذلك. وقال قدس الله سره: قيل لى فى بداية الجذبة كيف تدخل فى هذه الطريق فقلت: على أن يكون كل ما أقوله وأريده فقيل لى كل ما نحن نقوله يجب أن يفعل فقلت: لا أطيق ذلك بل إن كان كل ما أقوله يصير أضم قدمى فى هذا الطريق وإلا فلا

وتكرر ذلك مرتين ثم تركوني ونفسي خمسة عشر يوماً فحصل لي يأس عظيم ثم بعد ذلك قيل لى إن الذى تريده يكون فقلت: أريد طريقة كل من دخلها تشرف بمقام الوصول. قال قدس الله سره: خرجت يوماً فى حال غلبة الجذبة والغيبة هائماً على وجهى أذهب كل مذهب ولطالما تجرحت قدماي من الشوك حتى إذا دنا الليل جذبتنى زيارة السيد أمير كلال قدس سره، وذلك فى فصل الشتاء وشدة البرد وليس على ظهري إلا فروة عتيقة، فلما وصلت إلى مترله وجدته جالساً بين أصحابه فحينما أبصرنى سأل عنى فعرفوه بى، فقال: أخرجوه من هذا المترل فلما خرجت أوشك أن تنفر نفسى وتطغى وتجذب منى عنان الانقياد والتسليم، ولكن تداركتنى عناية الله ورحمته فقلت: إنى لأتحمل كل مذلة فى ابتغاء مرضات الله تعالى وهذا هو الباب فلا مندوحة لى عنه ثم وضعت رأس التواضع والإنكسار على عتبة العز وقلت لنفسي: إنى لا أرفع عن هذه العتبة رأسي ولو حصل لى مهما حصل ذلك والثلج يترل شيئاً فشيئاً على، والهواء شديد البرودة جداً، و لم أزل كذلك حتى قرب وقت الفجر، فخرج السيد قدس سره فوقع قدمه الشريف على رأسى، فلما أحس بى رفع رأسي عن العتبة وأدخلنى المترل وبشرني فقال لى: يا ولدي إن ثوب هذه السعادة على قدر ذاتك ثم جعل يخرج بيده الشريفة ما فى قدمي من الشوك ويمسح ما أصابهما من الجراحة، ويمدنى بفيوضاته الوافرة والطافه الباهرة قدس الله سره. وقال قدس الله سره: كنت فى بخاري والسيد كلال فى نسف فوجدت فى نفسي داعية لزيارته فبادرت لذلك فى الحال فلما وصلت إلى مقامه وسلمت عليه قال لى: يا ولدي لقد جئت فى وقت الحاجة فإنا هيأنا المطبخ ونريد من يحتطب لنا، فشكرته على

هذه الإشارة، وذهبت وأتيت بالحطب أحمله على ظهري وفيه من الشوك ما فيه وأنا أنشد بيتاً بالفراسية معربه:

جمال كعبـــة مقصـــودي ينشـــطني فالشوك كالخز عندي حين أحملـــه

وقال قدس الله سره: توجهت يوماً وأنا فى حال غلبة الجذبة إلى زيارة السيد كلال فى نسف، فلما أن وصلت إلى رباط الجغرائي إذا أنا بفارس فى يده عصا جسيمة وعلى رأسه لبدة فدنا مني وضربني بتلك العصا وقال لى بالتركية هـــل رأيت الخيل؟ فلم أجبه بشيء فجعل يعترضني فى الطريق وبشوش على مسيري فقلت له: إني أعلم من أنت، فتبعني إلى رباط قراول، ثم دعاني إلى صحبته فلـــم ألتفت إليه ولم أكلمه ومضيت، فلما أتيت إلى حضرة الشيخ قال لى: إن الخضر عليه السلام قد لقيك فى الطريق فلم لم تلتفت إليه؟ فقلت له: لأني لمـــا كنـــت متوجهاً إليكم لم أشتغل بسواكم. وقال نضر الله وجهه: كنت أوائل الســـلوك وغلبة الأحوال عديم القرار، أدور الليل فى نواحى بخاري وأزور القبور فـــزرت ليلة ضريح الشيخ محمد بن واسع قدس سره، فوجدت عنده سراجاً وفيه دهـــن واف وفتيلة طويلة غير أن الفتيلة تحتاج إلى تحريك قليل حـــتى يخـــرج الـــدهن ويتجدد نورها فما لبثت أن وقعت الإشارة إلى بالتوجه إلى زيارة ضريح الشيخ أحمد الأجغريوي قدس سره فلما وصلت إليه إذا بسراج هنالك مسرج كذلك وإذا أنا برجلين قد أتيا فربطا على وسطي سيفين وأركباني حماراً ووجهـــاه إلى جهة ضريح الشيخ مزداخن قدس سره، فلما وصلناه رأيت ثم سراجاً كاللـــذين قبله فنزلت وجلست متوجها إلى نحو القبلة فوقع لى فى ذلك التوجه غيبة فرأيت فى تلك الغيبة أن الجدار القبلى قد انصدع وظهرت دكة عالية عليها رجل عظيم

المقدار قد أسبل أمامه ستر وحول الدكة جماعة فيهم الشيخ محمد بابا السماسي قدس سره فقلت فى نفسى: ليت شعرى من هذا الرجل العظيم؟ ومن حولـه؟ فقال لى أحدهم: أما الرجل العظيم فهو الشيخ عبد الخالق الغجـدوانى، وأمـا الجماعة فهم خلفاؤه وجعل يشير إلى كل واحد منهم ويقول، هذا الشيخ أحمد الصديق وهذا الشيخ أولياء الكبير، وهذا الشيخ عارف الريكوري، وهذا الشيخ محمود الأنجير فغنوى، وهذا الشيخ على الراميتنى ولما بلغ إلى الشيخ محمد بابـا السماسى قال: وهذا قد رأيته فى حال حياته وهو شيخك وقد أعطاك قلنسوة، أفتعرفه؟ فقلت نعم وكان قد أتى على قصة القلنسوة حين من الدهر فنسيتها، ثم قال: وهى فى بيتك وقد رفع الله عنك ببركتها بلاء عظيماً قد كان حل بـك فقال لى الجماعة: أصغ بسمعك فإن حضرة الشيخ الكبير قدس الله سره يريد أن يتلو عليك ما ليس لك عنه غنى فى سلوك طريق الحق فسألتهم أن أسل عليـه فأزاحوا ذلك الستر فسلمت عليه فبدأ يتكلم على ما يتعلق بـأحوال السـلوك أوله، ووسطه ومنتهاه. إلى أن قال: وأما تلك السرج التى رأيتها علـى تلـك الكيفية فإنما هى لك بشارة وإشارة إلى أن لك استعداداً تامـاً، وقابليـة لهـذا الطريق، غير أنه ينبغى تحريك فتيلة الاستعداد حتى تقوم الأنوار، وتظهر الأسرار فأد القابلية حقها تبلغ الأوطار، وعليك بالاستقامة، والثبات على جادة الشريعة المطهرة فى جميعا الأحوال، والأمر بالمعروف، والنهى عـن المنكـر، والأخـذ بالعزيمة، والبعد عن الرخصة والبدعة وأن تجعل قبلتك أحاديث المصـطفى ﷺ، وتفحص عن أخباره وآثاره وأحوال أصحابه الكرام، ثم بالغ التحريض والحث على ذلك ولما أن أتم كلامه قدس الله سره قال لى خليفة الشيخ قـدس سـره:

وآية صدق هذه الواقعة أن تذهب غداً عند مولانا شمس الدين الانبيكوتي وتخبره بأن ما يدعيه فلان التركي على السقا هو صحيح، والحق مع التركي، وأنت تساعد السقا، فإن أنكر السقا صحة هذه الدعوى فقل له عندي شاهدان الأول: أنك يا سقا عطشان فهو يعرف معنى هذه الكلمة والثاني: أنك أتيت امرأة أجنبية فحملت منك فسعيت بإسقاط الحمل ودفنته في الموضع الفلاني تحت كرمة، ثم قال: فإذا بلغت هذه الرسالة لمولانا شمس الدين فخذ في اليوم الثاني ثلاث حبات من زبيب واذهب إلى نسف لخدمة السيد كلال وستجد في المحل الفلاني من الطريق شيخاً يعطيك رغيفاً حاراً فخذه منه ولا تكلمه وامض في طريقك، فتمر على قافلة إذا جاوزتها استقبلك فارس فانصحه فإنه ستكون توبته على يديك وخذ معك قلنسوة العزيزان السيد كلال ثم بعد ذلك حركوني فرجعت إلى نفسي، يقول قدس الله سره: فلما أصبحت ذهبت إلى منزلي في زيورتون وسألت أهلي عن القلنسوة فأتوني بها وقالوا: إن لها في ذلك الموضع مدة مديدة فلما رأيتها أتاني حال عظيم، وبكاء شديد فأخذتها وتوجهت ساعتئذ إلى أنبيكتة قرية من قرى بخارى فأتيت مسجد مولانا شمس الدين وصليت معه الصبح ثم بلغته ما أرسلت به إليه فتحير وكان السقا ثم حاضرا فأنكر صحة دعوى التركي فأقمت عليه البينة السابقة فكذب أمر الفاحشة فذهب جماعة ممن في المسجد إلى ذلك الموضع فحفروه فوجدوا السقط مدفوناً فيه فطفق السقا يعتذر، وبكى مولانا شمس الدين وجماعة المسجد وحصل لهم أحوال عظيمة. يقول قدس سره: ثم عزمت في اليوم الثاني على التوجه إلى نسف من الطريق الذي عينوه لي في الواقعة وأخذت معي ثلاث حبات من زبيب فبلغ

مولانا توجهي فأرسل إلي ولاطفني كثيراً، وقال: إني أرى آلام الطلب قد استولت عليك وأثرت بك لوعة الحصول على الوصول وشفاؤك عندنا فأقم لنؤدي حق تربيتك ونبلغك أقصى بغيتك على مقتضى علو همتك، فرأيتني أقول: أنا ولد غيركم ولو جعلتم ثدي التربية في فى لا أقبله فسكت وأذن لى بالسفر فتحزمت بحزام لى وأمرت شخصين أن يشداه من الطرفين ليكون فى غاية الإحكام وسرت، فلما وصلت المكان الذى ذكر لى لقيت فيه شيخاً فأعطاني رغيفاً حاراً فأخذته و لم أكلمه ومضيت، فإذا أنا بقافلة فسألني أهلها: من أين أتيت؟ فقلت: لهم من أنبيكته قالوا: متى خرجت منها؟ فقلت لهم: وقت طلوع الشمس وكان ذلك عند الضحى فعجبوا من ذلك. وقالوا إن بين القرية وهذا المحل أربعة فراسخ ونحن خرجنا الليل، ثم بارحتهم وسرت فما نشبت أن استقبلني فارس فحينما وصلت إليه سلمت عليه، فقال لى: من أنت فإني أجدني خائفاً منك؟ فقلت له: أنا الذى تكون توبتك على يديه فتحول بالحال عن فرسه، وأظهر كمال التواضع والتضرع وتاب، وكان معه أحمال من خمر فأهرقها كلها، ثم جاوزته وقد دخلت حدود نسف فقصدت مقام السيد أمير كلال فلما تشرفت برؤيته وضعت القلنسوة بين يديه، فسكت برهة طويلة، ثم قال: هذه قلنوسة العزيزان فقلت له: نعم فقال: صدر الأمر بأن تحفظ ضمن عشرة أغشية فأخذتها وفعلت كما أمر، وبعد ذلك لقنني الذكر بالنفى والإثبات خفية وأمرني بالاشتغال به فتابعته على ذلك، ولكوني أمرت فى الواقعة بالأخذ بالعزيمة لم أذكر بالجهر، ثم لازمت العلماء لاقتباس أنوار العلوم الشرعية منهم واقتفاء آثار رسول الله ﷺ وقراءة أحاديثه الشريفة والبحث عن أخلاقه وأحوال

أصحابه الكرام والعمل بها كما أمرت فوجدت لذلك تأثيراً تاماً ونفعاً عظيماً، وكل ما تكلم به حضرة الشيخ عبد الخالق قدس سره مر علـــى وظهـــرت لى نتيجة كل أمر فى وقته أهـــ وبهذا يتبين لك ما تقدم من أنه قدس ســـره كـــان أويسيا، ربته روحانية سيدنا عبد الخالق قدس الله سرهما. واعلم أن من زمـــن الشيخ محمود الأنجير فغنوى إلى زمن السيد أمير كلال كانوا يجتمعون للـــذكر بالجهر وكانوا إذا انفردوا يذكرون خفية فلما تلقى سيدنا البهاء قدس سره هذه الطريقة العلية اقتصر على الذكر الخفى أخذاً بالعزيمة حـــتى كـــان إذا اجتمـــع أصحاب الأمير كلال قدس سره وشرعوا بالذكر يقوم من بينهم فكان يشـــق ذلك عليهم ويسيء بعضهم به الظن وهو لا يلتفت إليهم، ولا ينظر إلى مراعاة خواطرهم، مع تمام محافظته على خدمة الأمير قدس سره، ورعاية الآداب الواجبة فى حقة، وكمال الاستسلام والانقياد لأوامره، والأمير قدس سره يزداد كل يوم التفاتاً إليه، واعتناء بشأنه واهتماماً بتربيته، ولم يزل فى صحبته حتى اجتمع ذات يوم أصحاب الأمير قدس سره لعمارة مسجده وكانوا زهاء خمســـمائة فبعـــد فراغهم جلسوا كلهم عنده فالتفت إلى من كان يسيء الظن بحضـــرة البـــهاء، وينسبون إليه النقص والتقصير عند الأمير، وقال لهم: كل ما تظنونه بالشيخ بهاء الدين إنما هو غلط وغير صحيح فإن الله تعالى قد قبله، ولكن مـــا عرفتمـــوه ونظري والتفاتي إليه كان تابعاً لقبوله تعالى، ثم دعا به ولم يكن حينئذ حاضراً بل كان ينقل لبن المسجد، فلما حضر قال له: يا ولدي إني قد وفيت حق وصية الشيخ محمد بابا السماسي قدس سره فى شأنك ثم أشار إلى ثديه وقال له: إنك قد ارتضعت ثدي التربية حتى نضب، ولم تزل قابليتك فى علو واســـتعدادك فى

قوة فقد أجزت لك أن تسعى فى طلب المشايخ فتستفيد منهم وتستفيض على مقتضى عظمة همتك، قال سيدنا البهاء: فكانت هذه الإشارة من السيد قدس سره سبب ابتلائي.

وقال قدس الله سره: ثم صحبت مولانا عارف الديك كراني سبع سنين، ثم مولانا قثم شيخ ونمت ليلة فرأيت الحكيم أتا قدس سره وكان من أكابر مشايخ الترك وهو يوصي بي درويشاً فلما انتبهت بقيت صورة الدرويش فى مخيلتي، وكانت لى جدة صالحة فقصصت عليها هذه الرؤيا، فقالت: سيكون لك يا ولدي من مشايخ الترك نصيب، فلم أزل أتوخى لقاء هذا الدرويش حتى لقيته فى بخاري فعرفته، وكان اسمه خليل غير أنى لم أتمكن ساعتئذ من صحبته فذهبت إلى البيت وأنا مشغول البال، فلما كان وقت المغرب أتانى شخص فقال لى: إن الدرويش خليل يريدك فأخذت فى الحال هدية الزيارة، وأسرعت بالذهاب إليه فلما تشرفت بلقائه أردت أن أخبره بتلك الرؤيا فقال بالتركى إنى أعلم ما رأيت فلا حاجة إلى البيان، فمال قلبي إليه وحصل لى تأثير عظيم من كلامه، ونلت بصحبته أحوالاً عالية حتى أن أهل ما وراء النهر قد ولوه بعد مدة عليهم سلطاناً، فما تركت ملازمته بل كنت أشاهد منه فى أيام سلطنته أحوالاً عظيمة فيزداد قلبى حباً به ويزداد هو تربية لى، وترقية لأحوالي، ورأفة بى وطالما علمنى من آداب الخدمة ما نفعنى كل النفع فى معرفة آداب السير والسلوك، وأقمت فى صحبته ست سنين مدة سلطنته فكنت فى الجلوة مراعياً لآداب خدمته وفى الخلوة محرم خاصة صحبته، وكثيراً ما كان يقول فى حضرة خواص أصحابه: كل من يخدمنى ابتغاء مرضاة الله تعالى يصير عند الناس عظيماً وكنت أعلم ماذا

أراد بهذا الكلام ومن أراد فإنه يشير إلى بأن تعظيم الملوك وإجلالهم لا ينبغى أن يكون لعظمتهم وسطوتهم الظاهرة بل لأنهم مظهر لجلال مالك الملك سبحانه وتعالى، ثم بعد حين آل ملكه إلى الزوال، وتحولت بانتقاله الأحوال وأصبح فى لحظة ذلك العز والخدم والحشم هباء منثوراً فزادنى ذلك فى الدنيا زهداً وعن أعمالها فتوراً وروجعت إلى بخاري وأقمت فى زيورتون. وقال قدس الله سره: لقيت أوائل الطلب والجذبة رجلاً من أحباب الله، فقال لى: الظاهر أنك من الأصحاب، فقلت: أرجو من بركة نظر الأحباب أن أكون من الأصحاب، فقال لى، كيف تعامل الوقت، فقلت له إن وجدت شكرت وإلا صبرت، فتبسم، وقال: هذا سهل وإنما الأهم أن تكلف نفسك أنها إذا فقدت الطعام والشراب أسبوعاً لا تعصيك، فتواضعت له، وأقبلت عليه، وطلبت منه الإمداد فأمرنى بالاشتغال بجبر الخواطر وخدمة العاجزين والضعفاء والمنكسرين الذين لا يكترث بهم أحد من الناس مع المحافظة على تمام المسكنة والتواضع والإنكسار فامتثلت أمره وصرفت فى ذلك أياماً كثيرة، ثم بعد ذلك أمرنى بخدمة الحيوانات ومداواة أمراضهم ومداراة جروحهم وقروحهم بنفسى مع الإخلاص فى ذلك والتذلل فنهضت بأعباء هذه الخدمة كما أمرنى حتى كنت إذا لاقانى فى الطريق كلب وقفت حتى يمر هو أولاً لئلا أتقدم عليه، و لم أزل كذلك سبع سنين، ثم بعد ذلك أمرنى أن أشتغل بخدمة كلاب هذه الحضرة بالصدق والخضوع وأطلب منهم الإمداد وقال: إنك ستصل إلى كلب منهم تنال بخدمته سعادة عظيمة فاغتنمت نعمة هذه الخدمة و لم آل جهداً بأدائها حسب إشارته ورغبة ببشارته حتى وصلت مرة إلى كلب فحصل لى من لقائه أعظم حال فوقفت بين

يديه واستولى على بكاء شديد فاستلقى فى الحال على ظهره ورفع قوامه الأبـع نحو السماء، فسمعت له صوتاً حزيناً وتأوها وحنيناً، فرفعت يـدي تواضـعاً وانكساراً، وجعلت أقول: آمين حتى سكت وانقلب، وخرجت يوماً من تلـك الأيام إلى بعض الجهات فوجدت حرباء قد استغرقت فى رؤية جمال الشـمس فاعترانى فى مشاهدتها وجد وخطر لى أن أطلب الشفاعة منها وهى فى هذا المقام فوقفت على أتم هيئة من الأدب والاحترام، ورفعت يدى فرجعت من استغراقها واستقلت على ظهرها واتجهت إلى السماء وأنا أقول آمين، ثم بعد ذلك أمـرنى بإماطة الأذى عن الطريق فثابرت على ذلك سبع سنين بحيث لا يري أبداً كمي أو ذيلي خالياً من تراب السبل أو أحجارها. هذا وكل ما أمرنى به ذلك العزيز فعلته بصدق طوية وإخلاص نية. ووجدت منه النتائج النفيسة فى نفسي والترقى التام فى أحوالى. وقال قدس الله سره: بت ليلة مع الأصحاب فى مترل بزيورتون فاحتلمت فخرجت ليلاً لأغتسل وكان ذلك فى فصل الشتاء والمياه كلها قـد جمدت فكنت كلما أتيت ماء أجده جامداً من شدة البرد و لم أجد ما أكسر به الجليد ولا أخبرت بذلك أحداً من أصحابى لئلا أشق عليهم وما معى إلا فـروة عتيقة فلما يئست ذهبت من زيورتون إلى مترلى فى قصر العارفان وصرت أفتش على ما أكسر به الجليد وما أطلعت أحداً من أهلى على ذلك فبعد اسـتيعاب المترل وما حوله وجدت على حافة حوض قرب المسجد إناء يغترفون به المـاء فجعلت أكسر به الجليد وأصابنى مشقة تامة من ذلك حتى تجرحـت يـدى ثم أخذت به الماء واغتسلت فبردت برداً شديداً فلبست تلك الفـروة وفى تلـك الساعة مع هذا البرد الشديد رجعت من قصر العارفان إلى زيورتون وقال قدس

الله سره: كنت يوماً من أيام الأحوال فى ذلك البستان وأشار إلى البستان الذى هو الآن محل ضريحه الأنور أنا وجماعة من المتعلقين بى فغلبــت على الجــذبات الأهلية، ولطف العنايات الربانية، واضطربت اضطراباً عظيماً لم أطق معه الثبات ولا الاشتغال وأنا مستريح فقمت مسلوب القرار وجلست مســتقبل القبلــة فحصل لى وقتئذ غيبة اتصلت بالفناء الحقيقي، وحقيقة الفناء فى الله عز وجــل ورأيت أنى فى صورة نجم فى بحر من نور بلا نهاية وأنى انمحيت فيه ولم يبــق بى من الحياة الظاهرة أثر ففزع الحاضرون وبكوا فى تلك الحالة على، ثم بعد ست ساعات ردت إلى بشيريتي شيئاً فشيئاً. ونقل أنه لما حاصر عسكرهالقبحاق مدينة بخارى اتخذ أهلها السطوح مبارز من فرط الازدحام، فكان قدس الله سره يوماً جالساً مع اصحابه على سطح أعده للصلاة إذ دخل عليه رجلان من طلبة العلم مخلصان لجنابه فأمرهم أن ينظفوا السطوح التى حول سطحه من الأقذار، وقال: إنى طالما نظفت مبارز مدارس بخارى. وقال قدس الله سره: لا ينفع سالك هذا الطريق إلا بالبذل، والمسكنة، وعلو الهمة فإنى أنا ما أدخلونى إلا من هذا الباب وما نلت ما نلت إلا من ذلكَ، وقال قدس الله سره ورفع فى الملأ الأعلى قدره: نفى الوجود وعدم رؤية النفس فى هذا الطريق هو رأس مــال دولــة القبــول والوصول، وإنى في هذا المقام نسيت نفسي إلى كل طبقة من طبقات الموجودات فوجدت كل فرد منها فى الحقيقة أحسن منى حــتى أني وصــلت إلى طبقــة الفضلات فرأيت لها منفعة ولم أر لي منفعة، ثم وصلت إلى فضلة الكلب فقلت: ما لها نفع، فحكمت على نفسي بأنها مثلها ثم تبين لي بعد أن لتلك الفضلة نفعاً فحينئذ تحققت أنه ليس لي نفع أصلاً. وقال قدس الله سره: طفت ليلة حــول

زيورتون فوصلت إلى أكمة هنالك فورد على حال عجيب فقيل لى: اطلب من حضرتنا ما أردت فقلت: مع التواضع والخضوع، إلهى هب لى قطرة من بحـــار رحمتك وعنايتك، فقيل لي: تطلب من كرم حضرتنا قطرة، فأخذنى حال أعظم وهزتنى الأريحية وعلو الهمة فلطمت وجهي لطمة قوية وجدت ألمها أياماً وقلت: يا كريم هب لى بحار رحمتك وعنايتك مع القوة على تحملها فنظر لى على الفور أثر الموهبة والعناية وببركة ذلك بلغت ما بلغت. وقال قدس الله سره وشرف فى الدارين قدره يوماً لأصحابه يعلمهم علو الهمة: لستم فى حل منى إن لم تكـــن همتكم فى طلب المقصود أن تضعوا أقدامكم على رأسي وترتقوا. وقال قدس الله سره فى بيان أحوال سلوكه وآثار تأثير الاستمداد من روحانية السادة الأمجـــاد: إن التوجه لروحانية سيدنا أويس القرنى له أعظم تأثير فى الانقطاع التام والتجرد الكلى عن العلائق الباطنة والظاهرة، والتوجه لروحانية الإمام محمد بـــن علـــى الحكيم الترمذي يوجب محو الصفة. وقال جامع مناقبه مولانا صلاح قدس سره: كنت عند الشيخ سنة تسع وثمانين وسبعمائة، فســـمعته يقـــول: إن لى اثـــنين وعشرين سنة وأنا على قدم الحكيم الترمذي فإنه كان لا صفة له، وأنا الآن لا صفة لى عرف ذلك من عرف. وقال قدس الله سره: وضعنا القـــدم فى هـــذا الطريق ونحن مائتا شخص فاجتهدت أن أسبق الجميع فأدركتنى عناية الله تعالى فسبقتهم ووصلت إلى المقصود، وله اجتهادات قوية ومجاهدات غير هذه كليـــة تعلم من الوقوف على مقاماته نفعنا الله والمسلمين ببركاته، وقد حـــج ثـــلاث مرات، ومر أخيراً بمرو فأقام بها مدة ثم انتقل إلى بخاري وأقام فى قصر العارفان وكان يعرف قبل بقصر الهندوان، فطارصيت إرشاده كل مطـــار، وقصـــدت

رحابه بالرحلة من كافة الأقطار، واشتعل به الكون نوراً، وتبدلت غيوم القلوب بعلوم الغيوب وشرور النفوس سروراً، وأصبح يبث من العلوم الغيبة والأسـرار الوهبية والمعارف الأحدية والفيوضات المحمدية مالا يحيط به محيط. وكيف يحاط بالبحر المحيط؟ وله آيات بينات هن على جلالته بينات قال قدس الله سـره: فى قوله فى الحديث القدسى «**نفسك مطيتك فارفق بها**» إشارة إلى النفس المطمئنة المتشرفة بخلعة إلا ما رحم ربى وقد يحصل لبعض الأولياء حال بحيث يصلون فى الانقياد إلى مقام إذا أمروا بشيء لا تمكنهم المخالفة. وقال قدس الله سـره فى معنى قوله ﷺ «**أمط الأذى عن الطريق**» المراد من الأذى النفس ومن الطريـق طريق الحق كما قيل لأبى يزيد رضى الله عنه: خل نفسك وتعال، وقال قـدس الله سره: من طلب الحق تعالى فقد طلب البلاء ورد فى الأحاديث القدسية «**من أحبنى ابتليته**» وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «**إنى أحبك فقال، استعد للفقـر وأتاه آخر فقال له: يا رسول الله إنى أحب الله فقال استعد للبلاء**» وقيل لـه قدس الله سره: بماذا يطلع أهل الله على الخواطر والأعمال الخفية والأحـوال؟ فقال: بنور الفراسة التى أكرمهم الله تعالى بها، كما ورد فى الحديث الصـحيح «**اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله**». وطلب منه قدس الله سره إظهـار الكرامات، فقال: مشيناً على وجه الأرض مع وجود هـذه الـذنوب أظهـر الكرامات، وسئل قدس الله سره عن معنى قول بعض السادات الصـوفى غـير مخلوق فأجاب: بأن للصوفى فى بعض الأوقات حالاً لا يكون فيها هـو فهـذا الكلام بالنسبة إلى ذلك الوقت وإلا فالصوفى مخلوق، وسئل قدس الله سره عن قول الجنيد: أقطع القارئين وصل الصوفيين فمن القارئ؟ ومن الصوفى؟ فأجاب:

بأن القارئ هو المشغول بالاسم، والصوفي هو المشغول بالمسمى. وسئل قدس الله سره عن قولهم: الفقير هو الذي لا يحتاج إلى الله، فقال: المراد منه نفى الاحتياج إلى السؤال كما قال إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: حسبى من سؤالى علمه بحالى. وسئل عن قولهم: إذا تم الفقر فهو الله فقال هذا إشارة إلى الفناء ومحو الصفات وأنشد بالفارسية ما معربه.

من كان حين لم تكن لم يك إلا الله
وإذا فنيت من بقى لم يبق إلا الله

وقال قدس الله سره إن الأحوال من الشيخ كرامات للمريد وذكر عنده قدس الله سره أنه قيل للشيخ أبى سعيد بن أبى الخير قدس سره عند احتضاره: أية آية نقرأ أمام جنازتكم؟ فقال اقرؤا هذا البيت وأنشد بالفارسية ما معربه.

وأحسن ما فى الكون من عين أصله سرور محب من حبيب بوصله

فقال سيدنا البهاء قدس الله سره: هذا عمل عظيم ليقرأوا أمام جنازتي هذا البيت وأنشد بالفارسية ما مضمونه وهو من تعريب صاحب الرشحات.

أتيناك بالفقر لا بالغنى وأنت الذى لم تزل محسناً

وقال قدس الله سره: المراد من قولهم المجاز قنطرة الحقيقة أن جميع العبادات الظاهرة والباطنة القولية والفعلية مجاز فما لم يجاوزها السالك لا يصل إلى الحقيقة. وقال رضى الله عنه: كان الشيخ أبو سعيد بن أبى الخير -رضي الله

عنه- يقول: غبّ[١] الزيارة مع حضور القلب خير من دوامها بلا حضور. وقال رضى الله عنه: ينبغى للمريد إن حصل له فى شيخه إشكال أن يصبر على قـــدر تحمله ولا يسيء اعتقاده فيه، ثم إن كان مبتدئاً يجوز له الســؤال أو متوســط الحال، قالوا: لا يسأل، وقال قدس الله سره: تصحيح النية مهم للغاية لأن النية من عالم الغيب لا من عالم الكسب، ولذلك لم يصلِّ أحد كبراء الإسلام يعـــنى ابن سيرين على جنازة الحسن البصري -رحمهما الله تعالى- وقال: لم تحضـــرنى النية. وروى عن الشيخ سهل التستري أنه قال: النية نور لأن النون نـــور الله، والياء يد الله، والهاء هدية الله، وإن النية نسيم الروح. وقال -قدس الله ســـره- يوماً لأصحابه: ما الفقير؟ فما أجابه أحد، فقال: من باطنه حـــرب، وظـــاهره سلم. وقال قدس الله سره: للسالك أن يترك النوافل فى بعض الأوقات، وذلك إذا أنست الطبيعة بها لئلا تصير لها عادة مألوفة، فإن المقصود أن يكون أنـــس السالك بمولاه لا بالأعمال، ولذلك قال ﷺ: «**وجعلت قرة عينى فى الصـــلاة**» و لم يقل: بالصلاة، وقال قدس الله سره: إذا تكلم المريد بحال ليس فيه حرم الله عليه شرف الوصول إلى ذلك الحال، وأنشد مجنون بيتاً بالفارسية فى حضـــرته معناه:

كل الورى تهـــوى المـــلاح وإنمـــا   يرقى العلا من كان يهوى غيرهـــا

---

(١) هى الزيارة يوماً بعد يوم، وفى الحديث: ((زُرْ غبًّا تَزدَدْ حبًّا)). اهـــ. مصححه.

فقال قدس الله سره: إنا قد استفدنا الطريق من هذا القائل، ثم أمر المريدين بحفظه وقال قدس الله سره: كل من أراد نفسه ما أراد نفسه ومن أراد غيره فقد أراد نفسه وقال رضى الله عنه: إن الله خلقنى لخراب الدنيا، والناس يطلبون منى عمارها وقال رضى الله عنه: إن أهل الله يتحملون ثقل الخلق ليتهذب منهم الخلق ويتشرفوا بالقرب من أولياء الله تعالى فإنه ما من ولي إلا ولله نظر إلى قلبه علم ذلك أم لا فكل من لقيه نال بركة ذلك النظر الإلهى، وقال رضى الله عنه: مرآة كل المشايخ لها جهتان، ومرآتنا لها ست جهات وقال: أربعون سنة وأنا فى ملاحظة مرآتى والعمل بها فلم تغلط مرآة وجودى أصلاً. وقال رضى الله عنه: من عرف الله لم يخف عليه شىء. وقال رضى الله عنه: حقيقة الأدب، ترك الأدب وقال رضى الله عنه: إذا أردت مقام الأبدال فعليك بتبديل الأحوال. وأنشد بيتاً بالفارسية معربه:

من بدلت أوصافه فهو البدل بخلة الله غداً خمره خل

وقال رضى الله عنه: فى العبادة طلب الوجود وفى العبودية تلف الوجود ولا ينتج العمل ما دام الوجود باقياً. وقال قدس الله سره: الطريق الذي يصل بها العارفون إلى معروفهم ويجدونه دون غيرهم، مبنية على ثلاث أمور: المراقبة، والمشاهدة، والمحاسبة: فالمراقبة نسيان المخلوق، بدوام النظر إلى الخالق والمشاهدة واردات غيبية ترد على القلب ولما كان الزمان لا بقاء له لا يمكننا إدراك ذلك الوارد بصفة تقوم بنا وإنما ندركه من القبض والبسط ففى القبض نشاهد الجلال وفى البسط نشاهد الجمال، والمحاسبة هى أن نحاسب أنفسنا عن كل ساعة تمر بنا هل مرت بحضور أو تفرقة فنعد الكل نقصاً ثم نستأنف العمل من أوله وقال

قدس الله سره: إنما ربطوا المحاسبة بالساعة ليمكن تحصيل مقام أهل النفس فى كونه مر بحضور أو لا ولو ربطوها بالنفس لم يمكن إدراك هاتين الصفتين. وقال قدس الله سره: السالكون فى دفع الخواطر الشيطانية والنفسانية متفاوتون، فمنهم: من يراها فيدفعها عنه قبل أن تصل إليه، ومنهم من يطردها بعد وصولها إليه ولكن قبل أن تستقر وتستحكم، ومنهم بعد أن تصل إليه وتتمكن يسعى فى صرفها وهذا لا يجدى نفعاً تاماً غير أنه إذا عرف السالك منشأ ذلك وسبب الانتقالات إليه لا يخلو من فائدة. وقال قدس الله سره: معرفة كيفية التحول والانتقال من حال إلى حال فى غاية الإشكال وقال قدس سره: الوقوف الزمانى الذى هو وظيفة السالك أن يكون ناظراً إلى أحواله فيعلم ما يجب لكل زمان من الشكر أو العذر ويعامله بما يليق به. وقال قدس سره: ينبغى أن يكون تلقين الذكر من الكامل المكمل ليؤثر وتظهر نتيجته فإن السهم إذا كان من كنانة السلطان يصلح للحماية. وقال قدس سره لحضرة العزيزان وهو سيدنا الشيخ على الراميتنى: طريقان فى الذكر سر وجهر فاخترت منهما السر لأنه أقوى وأولى. وقال قدس سره: الوقوف العددي أول مراتب العلم اللدنى. وقال قدس سره: لا يتمكن من الوصول إلى حب أهل الله إلا من خرج عن نفسه وقال: مثل أهل الله مثل الصياد الحاذق الذى يدخل الحيوان الوحشى فى شبكته ثم يوصله بحكمته إلى مقام الاستئناس. وقال قدس الله سره: لهذه الطريقة ثلاثة آداب: أدب مع الله سبحانه وتعالى وهو أن يكون المريد فى الظاهر والباطن مستكملاً للعبودية بامتثال الأوامر واجتناب النواهى، معرضاً عن سواه بالكلية، وأدب مع رسول الله ﷺ وهو أن يستغرق فى مقام **﴿فَاتَّبِعُونِي﴾**[آل عمران: ٣١]

ويراعى ذلك فى جميع الأحوال وجوباً ويعلم أنه ﷺ واسطة بين الحق والخلق وأن كل شيء تحت تصرف أمره العالى، وأدب مع المشايخ وهو لازم للطالبين لأنهم سبب فى متابعته ﷺ ووصولا إلى مقام الدعوة إلى الحق فينبغى للمريد حضوراً أو غيبة أن يكون مراعياً لأحوالهم مقتدياً بهم متمسكاً بإذيالهم. وقال قدس الله سره: على المرشد أن يعلم أحوال المريد فى الأزمنة الثلاثة: الماضى، والمستقبل، والحال حتى يمكنه أن يربيه وعلى السالك أن يكون عند اجتماعه بأحد من أحباب الله حافظاً حال نفسه ثم يزن زمن صحبته وزمنه السابق فإن وجد فى حاله انتقالاً من نقص إلى كمال على حد **قوله**: «**أصبت فالزم**» فليجعل صحبة هذا العزيز فرض عين عليه. وقال قدس الله سره: كل من مال إلينا أو انتسب إلى محبتنا بعيداً كان أو قريباً لابد أن نلحظ نسبته كل يوم وليلة ونمده من منبع عين الشفقة والتربية بالإمداد الدائم إن كان حافظاً لأحواله منقياً لطريق الإمداد من أدناس التعلقات وأوساخها. وقال رضى الله عنه، **فى قوله فى الحديث القدسي** «**أنا جليس من ذكرنى**» إشارة إلى بيان حال أهل الباطن **وفى قوله فيه أيضاً** «**الصوم لى وأنا أجزى به**» إشارة إلى الصوم الحقيقي وهو الإمساك عن السوي بالكلية، وقال رضى الله عنه: المراد من الأمة فى قوله ﷺ: «**نصيب أمتى من نار جهتم كنصيب إبراهيم من نار نمرود**»، وفى قوله ﷺ: «**لا تجتمع أمتى على ضلالة**» إنما هى أمة المتابعة فإن الأمة على ثلاثة أقسام: أمة الدعوة، وأمة الإجابة، وأمة المتابعة. وقال رضى الله عنه: قوله ﷺ «**معراج المؤمن**» فيه إشارة إلى درجات الصلاة الحقيقية وهى أن تكون أكبرية حضرة الحق حالاً للمصلى عند تحرمه ويظهر الخضوع والخشوع على قلبه حتى يصل

إلى مرتبة الاستغراق، وقد كانت هذه صفة رسول الله ﷺ روى «**أنه كان يظهر لصدره الشريف صوت يسمع من خارج المدينة، وأنه كان له أزيز كأزيز المرجل**» وسأله رضى الله عنه أحد علماء بخارى عما يحصل به الحضور للعبد فى الصلاة؟ فقال له: بأكل الحلال، ومراقبة الحق تعالى خارج الصلاة وعند الوضوء وتكبيرة الإحرام. وقال رضى الله عنه فى قوله فى الحديث «**ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله إذا خلوت**» إشارة إلى أنه ينبغى للسالك أن يكون الخلاء له ملأ، وأن ما يفعله فى الملأ رعاية لنظر الخلق إليه يفعله بالخلوة. وقال رضى الله عنه: ورد فى الأخبار والآثار وكلام المشايخ الكبار: إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب ومعناه أن العبد المحبوب إذا عرف العذر عن الذنب واعتذر به لم يضره. وقال رضى الله عنه: الصلاة والصيام والمجاهدة هى طريق الوصول إلى الله تعالى ولكن نفى الوجود عندنا أقرب وهذا وإن كان لابد منه مع العبادة والمجاهدة أيضاً إلا أنه لا يحصل إلا بترك الاختيار وعدم رؤية الأعمال. وقال رضى الله عنه: كل من وفق لمخالفة نفسه وأن كان هو فى حد ذاته عملاً قليلاً يجب عليه أن يراه عظيماً ويشكر الله تعالى على توفيقه له، فإن من قال: إذا أردت مقام الأبدال فعليك بتبديل الأحوال مراده مخالفة النفس. وقال رضى الله عنه: كنا فى أوائل الحال نرى أنفسنا مطلوبين والغير طالب والآن قد عدلنا عن ذلك فإن المرشد على الإطلاق هو الله تعالى فكل من أوجد فيه داعية هذا الطريق وأرسله إلينا يصل إليه منا ماله فيه نصيب. وذكر رضى الله عنه أنه سلم عليه أحد مريديه، فلم يرد عليه السلام فأغير خاطره فقال: اعتذروا له بأنى كنت وقتئذ متوجها بكليتى لسماع كلام الحق تعالى لى فشغلنى كلام الحق عن

سلام الخلق. وقال رضى الله عنه: قوله ﷺ «**الكاسب حبيب الله**» إشارة إلى كسب الرضا لا كسب الدنيا. وقال رضى الله عنه: كل من سلم نفسه للحق تعالى وفوض أمره إليه فالتجاؤه لغيره شرك يعفى عنه للعامة دون الخاصة. وقال رضى الله عنه: الوصول إلى سر التوحيد ممكن فى بعض الأحيان وأما الوصول إلى سر المعرفة فمشكل. وقال رضى الله عنه: إذا شاكت رجل الفقير شوكة فعليه أن يعلم من أي وجه وصلت إليه. وقال قدس الله سره: ينبغى للطالب أن يصحب أصحابنا أولاً مدة حتى تحصل له قابلية صحبتنا. وقال قدس الله سره: إن طريقنا من النوادر وهى العروة الوثقى وما هى إلا التمسك بأذيال متابعة السنة السنية واقتفاء آثار الصحابة الكرام، ولقد أدخلونى فى هذا الطريق من باب الفضل فإنى لم أشهد أولا وآخراً إلا فضل الحق تعالى والعمل فيه يحصل منه فتوح كثير لأن رعاية السنة السنية من أعظم الأعمال أهـ. وبه يعلم معنى قوله قدس الله سره: كل من أعرض عن طريقنا فهو على خطر من دينه. وسئل قدس الله سره بماذا يصل العبد إلى طريقكم؟ فقال: بمتابعة سنة رسول الله ﷺ. وقال قدس الله سره: ينبغى للمتوكل أن لا يرى نفسه متوكلاً وأن يخفى توكله فى الكسب. وقال قدس الله سره: إن نظرنا إلى عيب الصاحب بقينا بلا صاحب فإن أحداً لا يخلو من الصفات البشرية. وقال قدس الله سره: إنا تحملنا فى هذا الطريق الذلة فتفضل الحق علينا من محض إحسانه بالعزة، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين. وبلغه أن بعض الناس نسب إليه التكبر، فقال: كبرياؤنا من كبريائه. ويشير قدس الله سره إلى ما أجاب به الجنيد حين سئل عن العارف، فقال لون

الماء لون إنائه وقال قدس الله سره: كل من جرى أخذ الإناء وأخذ الإناء كل من جرى.

وآياته قدس الله سره بحر إن اغترفنا منه إلا قطرة، وبستان ما اقتطفنا منه غير زهرة. هذا وكان يحب الفقراء والفقر ويحض أصحابه عليه وعلى كسب الحلال ويستدل بقوله ﷺ: «**العبادة عشرة أجزاء تسعة منها طلب الحلال وواحد سائر العبادات**» وكان يقول: كل ما حصل لى فهو من ذلك. وكان يصنع الطعام للفقراء بيده المباركة، ويخدم مائدتهم بنفسه الشريفة، وإذا اجتمعوا للطعام يوصيهم بالمحافظة على الحضور ويؤكد عليهم فى ذلك أشد التأكيد، وكلما أراد أحدهم أن يتناول لقمة مع الغفلة ينبهه من طريق الكشف عليها ويمنعه من أكلها، ويقول: صدور الأعمال الصالحة إنما هو من الطعام الحلال إذا أكل مع الحضور ولا يحصل العبد الحضور فى جميع الأوقات لا سيما أوقات الصلوات إلا بهذا، وكان إذا قدم إليه طعام صنع فى حال غضب، أو كراهية، أو حصل فيه أدنى مشقة بل لو كان وضع فيه أحد ملعقة على هذه الحالة لا يمد يده إليه ولا يدع أحداً ممن معه أن يتناول منه شيئاً، روى أنه ذهب مرة إلى غزيوت فقدم إليه أحد مريديه طعاماً فقال له: كان صانعه منذ عجن عجينه إلى أن أتم طبخه فى حالة غضب، فلا يليق بنا أن نأكله منه، فإن كل ما جعل فى مثل هذه الأحوال لا خير فيه ولا بركة بل يجد الشيطان فيه سبيلاً، فكيف ينتج؟ وكان قدس الله سره يصوم أكثر أيامه، فإذا جاءه ضيف وكان عنده ما يكرمه به يأكل معه، ويقول سراً لأصحابه إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا لا يتفرقون إلا عن ذواق. وقال الشيخ أبو الحسن الخرقانى فى كتابه «أصول الطريقة ووصول

الحقيقة»: إن فضل موافقة الأخوان فيما ليس بمعصية ليس أقل ثواباً من صوم النفل، ومن آداب الصوم: إخفاؤه. وأهديت إليه سمكة مطبوخة والفقراء حاضرون وفيهم شاب عابد زاهد كان صائماً، فقال له: وافق إخوانك و أفطر فلم يقبل فقال له: أفطر وأنا أهبك صوم يوم من شهر رمضان، فأبى فقال: له أفطر وأنا أهبك صيام أيام شهر رمضان فأبى فقال وقع نظير ذلك مع سلطان العارفين أبي يزيد رضي الله عنه فاتركه فإنه من المبعدين. فنظراً لاستخفافه بأوامر أهل الله تعالى ابتلاه الله تعالى بعد ذلك بالانهماك في الدنيا والإعراض عما كان فيه من سعادة العبادة. والذي وقع لأبي يزيد هو أنه زاره سيدنا الشيخ أبو تراب النخشي، فقدم له الخادم طعاماً فقال له أبو تراب: اجلس وكل معي فقال: إني صائم، فقال: كل ولك ثواب صيام سنة فأبى، فقال: كل ولك صيام سنتين فأبى، فقال أبو يزيد: دعوا من سقط من عين الله فانقطع بعد مدة يسيرة وساءت أحواله حتى سرق سرقة قطعت بها يمينه. وكان قدس الله سره إذا زاره أحد أحبابه تولى خدمته بنفسه واعتنى به كل الاعتناء وخدم دابته أحسن خدمة وقدم لها الماء والعلف بيده المباركة لكيلا يكون في قلب الضيف هم منها، لقوله ﷺ: «**هم المؤمن دابته، وهم المنافق بطنه**» ويقول: نقل عن العزيزان قدس الله سره، أنه كان يبتدئ أولاً بخدمة دابة ضيفه ويقول: إنها كانت سببا لوصوله إلي وتشرفي به. وكان قدس الله سره إذا أتى الفقراء إلى منزله يأتي بالأحجار فيمسح بها وجهه النضير. ثم يهيئها لهم للاستنجاء، ويقول: إن لهؤلاء منة على روحي. وكان قدس الله سره إذا زار أحداً من أصحابه يسأل عن أهله وأولاده ويلاطف كل واحد منهم بما يناسبه ويبحث عن متعلقاته ودوابه حتى دجاجاته

ويظهر الشفقة على كل بحسبه، ويقول: كان أبو يزيد رضى الله عنه إذا رجع من الاستغراق يفعل هكذا. وكان قدس الله سره مع كمال تجرده وزهده دأبه البذل والايثار فإذا أهدى إليه أحد شيئاً على شرطه قبله وقابله بأضعافه تأسياً به ﷺ وببركته سرت هذه الأخلاق الكريمة إلى أصحابه قدس الله أرواحهم. قال قدس الله سره: خرجت يوماً أنا ومحمد زاهد إلى الصحراء وكان مريداً صادقاً ومعنا المعاول نشتغل بها فمرت بنا حالة أوجبت أن نلقى المعاول، ونتذاكر فى المعارف فما زلنا كذلك حتى انجر الكلام بنا إلى العبودية فقال لى: إلى أي حد تنتهى العبودية فقلت له: تنتهى إلى درجة إذا قال صاحبها لأحد: مت مات فى الحال قال: ثم وقع لى أنى قلت: له ساعتئذ مت فمات حالاً واستمر ميتاً من وقت الضحى إلى نصف النهار وكان الوقت حاراً فانزعجت لذلك تحيرت كثيراً، ثم آويت إلى ظل قريب منه فجلست وأنا فى حيرة تامة، ثم رجعت عنده فنظرت إليه فوجدته قد تغير من فرط الحر فازددت قلقاً فألقى إلى وقتئذ أن قل له: يا محمد أحى فقلت له ذلك ثلاث مرات، فأخذت تسرى به الحياة شيئاً فشيئاً وأنا أنظر إليه حتى عاد إلى حاله الأول، فأتيت حضرة السيد أمر كلال فقصصت عليه القصص فلما ذكرت له أنه مات وتحيرت من ذك قال لى: يا ولدي لم تقل له: احى؟ فقلت له لما ألهمت ذلك قلته له فعاد حياً. وقال سيدنا الشيخ علاء الدين العطار: كان قدس الله سره فى بخاري، وكان المولى عارف أحد أعزاء أحبابه فى خوارزم، فكان يتكلم يوماً على صفة البصر مع أصحابه، فقال: فى أثناء كلامه الآن خرج المولى عارف من خوارزم إلى جهة السراي ووصل إلى الموضع الفلانى من طريق السراي، ثم بعد لحظة قال: خطر

فى بال المولى عارف أن لا يذهب إلى السراي وها هو قد رجع إلى جهة خوارزم، فقيد أصحابه هذه القصة بتاريخه فبعد مدة قدم المولى عارف من خوارزم إلى بخاري فأخبروه بما ذكره الشيخ قدس الله سره، فقال لهم: هذا هو الذي وقع لي بعينه، فتعجب أصحابه من ذلك غاية العجب. وقال سيدنا الشيخ علاء الدين العطار: كنت عند حضرته فى يوم غيم، فقال لى: هل دخل وقت الظهر؟ فقلت له: لا، فقال: انظر إلى السماء فنظرت فلم أجد حجاباً أصلاً، ورأيت جميع ملائكة السموات يشتغلون بصلاة الظهر، فقال: ما تقول هل صار وقت الظهر؟ فخجلت مما صدر مني واستغفرت منه وبقيت مدة وأنا أجد لذلك فى نفسي ثقلاً عظيماً. وروى عن بعض أصحابه أنه قال: أرسلني قدس الله سره يوماً فى حاجة فلما رجعت رأيت المريدين وقوفاً فى البستان الذى فيه مرقده الشريف الآن وبأيديهم المعاول والمكاتل فداخلنى أشد الخوف وأخذتنى حمى نافض ثم بعد ساعة جاء الشيخ قدس الله سره من مترله فقال لى: أراك متغيراً، فقلت له: منذ وصلت إلى هنا اعترانى خوف شديد وما علمت ما سببه، فقال سل الأمير حسيناً عنه، فسألته فقال: سبب ذلك أن المريدين أتوا من الصباح لنقل التراب و لم تكن معهم، قال: ثم عاد قدس الله سره إلى المترل لإصلاح طعام المريدين، فلم نلبث أن رأينا رجلاً شاباً جاء من جهة مترله إلى جهتنا وهو يطير فى الهواء ويثب من محل إلى محل كالطائر فلما دنا منا مر من فوق رءوسنا كذلك فطفقنا جميعاً ننظر إليه وعزمنا أن ندع ما نحن فيه من العمل ونتأثره فبينما نحن كذلك إذا بحضرة الشيخ قدس الله سره قد خرج من المترل وأشار إلينا أن على رسلكم، حتى أجيء إليكم، فحصل لنا رعب عظيم من كلامه فلما

أن جاء ورأي حالنا التفت إلى، وقال: هذه حالك التي اعترتك أولا قد انعكست عليهم، ثم قال: وأما الشاب الذى كان يطير فهو شخص كنت رأيته وأنا ذاهب من نسف إلى بخاري يطير فلما دنوت منه قلت له كيف تركت صحبة رجال الغيب ووقعت فى الألم والحسرة؟ فقال: أنا من البلد الفلاني وقد أدخلونى فى صحبتهم، فكنا ذات يوم جلوساً على جبل فمر بخاطري ذكر الزوجة والولد فكوشفوا بهذا الخاطر فقصدوا أن يذهبوا ويتركونى فتمسكت فى الحال بذيل واحد منهم وسألتهم أن يوصلونى إلى محل معمور فأتوا بى إلى هذا المكان، قال قدس الله سره: فجئت به من نسف إلى بخاري منذ ستة أيام ووضعته فى مترلى، فلما ذهبت لأهيئ لكم الطعام استأذنى بالذهاب فأذنت له، ثم أردت أن آتيكم بالطعام فرأيت ما حل بكم من التفرقة وتشتيت الخاطر فخرجت مسرعاً وأشرت إليكم بما أشرت، ثم قال وقد ظهر عليه تجلى الجلال: ينبغى للمريد أن يكون راسخ القدم لا يزيحه كل شيء عما هو فيه، ولا يتبدل اعتقاده فى شيخه بوجه من الوجوه أصلاً حتى لو رأى الخضر عليه السلام لا يلتفت إليه. وقال: وقد غلبت عليه الهيبة والسطوة: مرتبة الطيران سهلة فإن الذباب ليطير فى الهواء أيضاً، ثم أمر الأمير حسينا رحمه الله وبقية المريدين أن يملؤا المكتل تراباً ويتركوه ففعلوا، فأشار الشيخ إلى المكتل فمشى بنفسه وأفرغ التراب ورجع إلينا بنفسه وفعل ذلك مراراً، فقال قدس الله سره: هذه الأمور وأمثالها لا اعتبار لها عند خواص أهل الله تعالى وقال الشيخ خسرو- وهو من أجلاء أصحابه رضى الله عنه: قصدت يوماً زيارة الشيخ رضى الله عنه فوجدته واقفاً فى البستان على حافة الحوض يتكلم معه شيخ لم أعرفه، فلما سلمت عليه

انصرف ذلك الشيخ إلى ناحية من نواحى البستان، فقال لى رضى الله عنه: هذا الخضر مرتين فلم أتكلم بل سكت، وبعون الله تعالى لم أجد فى نفسي ميلاً إليه لا ظاهراً ولا باطناً، ثم بعد يومين أو ثلاثة رأيته أيضاً فى بستان الخانقاه يتحدث مع الشيخ رضى الله عنه وبعد مضى شهرين لقيته أيضاً فى سوق بخاري، فتبسم لى فسلمت عليه فعانقنى وباسطنى وسألنى عن أحوالى فلما رجعت إلى قصر العارفان، وتمثلت فى أعتاب الشيخ -رضى الله عنه- قال لى: إنك اجتمعت بالخضر فى سوق بخاري.

وسافر بعض العلماء مع جماعة من مريدي الشيخ -رضى الله عنه- إلى العراق قال: فلما وصلنا إلى سمنان سمعنا أن هناك رجلاً مباركاً اسمه السيد محمود من مخلصى الشيخ، فقصدنا زيارته جميعاً، وسألناه عن سبب اتصاله بالشيخ فقال: كنت رأيت فى المنام رسول الله ﷺ أو رجلاً جليلاً من الأكابر وهو فى مكان جميل وإلى جانبه رجل مهاب، فقلت للنبى ﷺ أو لذلك الرجل الجليل، مع التواضع والأدب: إنى لم أتشرف بصحبتكم ولم أحظ ببركة زمنكم والاجتماع بكم وفاتتنى هذا السعادة، فماذا أصنع؟ فقال لى: إن أردت أن تنال بركتى وفضل رؤيتى فعليك بمتابعة بهاء الدين، وأشار إلى ذلك الرجل الذى إلى جنبه، وما كنت رأيت الشيخ قبل ذلك، فلما أفقت قيدت اسمه وحليته على ظهر كتاب، ثم بعد مدة مديدة كنت جالساً على دكان بزاز، فرأيت رجلاً عليه نور وهيبة قد جاء وجلس على الدكان، فلما رأيت وجهه تذكرت تلك الحلية فحصل لى حال عظيم، فلما سرى عنى سألته أن يشرف منزلى، فأجاب إلى ذلك وقام يمشى أمامى وأنا خلفه، فلم يلتفت حتى وصل إلى منزلي، وهذه أول

كرامة شاهدتها منه، فإنه لم ير منزلي قبل أصلاً، ثم لما دخل قصد حجرة خاصة بي وكان فيها خزانة كتب لي فمد يده الشريفة، واستخرج من بينها كتاباً وأعطاني إياه، وقال: ماذا كتبت على ظهره؟ فإذا هو الكتاب الذى كتبت على ظهره الرؤيا وتاريخها، وإذا لها سبع سنين فصار لي من اطلاعه على ذلك حال أعظم من الأول حتى إذا انجلى عني ما أجده قابلني باللطف، وقبلني أن أكون من زمرة أصحابه، وشرفني بسعادة خدمة بابه.

ودعاه بعض أصحابه في بخارى، فلما أذن المغرب قال للمولى نجم الدين دادرك: أتمتثل كل ما آمرك به؟ قال: نعم، قال: فإن أمرتك بالسرقة تفعلها، قال: لا، قال: ولم؟ قال: لأن حقوق الله تكفرها التوبة وهذه من حقوق العباد، فقال: إن لم تمتثل أمرنا فلا تصحبنا ففزع المولى نجم الدين فزعاً شديداً، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، وأظهر التوبة والندم، وعزم على أن لا يعصى له أمراً فرحمه الحاضرون وشفعوا له عنده، وسألوه العفو عنه فعفا عنه، ثم خرج سيدنا الشيخ -رضى الله عنه- وفي خدمته المولى نجم الدين ونفر من أصحابه، وساروا إلى محلة باب سمرقند فأشار الشيخ إلى بيت، وقال: اخرقوا جداره وادخلوا تجدوا في الموضع الفلاني منه كيساً مملوءاً أمتعة، فأتوا بها، ففعلوا، ثم ساروا إلى زاوية هنالك وجلسوا فبعد ساعة سمعوا نبح الكلاب، فأرسل المولى نجم الدين وبعض أصحابه إلى ذلك البيت فوجدوا السراق قد خرقوا جداراً آخر، ودخلوا فلم يجدوا شيئاً، فقالوا لبعضهم: جاء قبلنا سراق وأخذوا ما فيه فعجب أصحاب

الشيخ -رضى الله عنه- من ذلك الأمر، وكان صاحب البيت فى بستان لـــه، فأرسل الشيخ صباحاً إليه الأمتعة مع مريد، وأمره أن يخبره أن الفقراء مروا على بيتك فاطلعوا على هذه القضية فخلصوا الثياب من السارقين، ثم نظر إلى المولى نجم الدين، وقال له: لو امتثلت الأمر ابتداءً لوجدت حِكَماً جمة.

ونقل عن بعض أصحابه أنه قال: لما تشرفت بصحبته -رضى الله عنه- كان الشيخ شادى أحد أجلاء أصحابه كثيراً ما يعظنى وينصحنى ويـــؤدبنى، فممـــا أمرنى به أن لا يمد أحد منا رجله إلى جهة يكون فيها الشيخ -رضى الله عنه- فأتيت يوماً من غزيوت إلى قصر العارفان فى وقت شدة الحر لزيارته، فآويـــت إلى ظل شجرة فى الطريق واضطجعت، فجاء حيوان فلدغنى فى رجلى مـــرتين فقمت وقد تألمت ألما شديداً، ثم اضطجعت فعاد مرة ثالثة كذلك، فجلســـت أتفكر فى سبب ذلك مدة حتى تذكرت نصيحة الشيخ شادي، ووجدت أنى قد مددت رجلى إلى ناحية قصر العارفان، وكان الشيخ وقتئذ ثم، فعلمت أن ذلك تأديب لى على ما فرط منى.

ذكر الشيخ علاء الدين أنه -رضى الله عنه- أمر الأمير حســـيناً أن يجمـــع حطباً كثيراً وذلك فى فصل الشتاء، فلما تم ما أمره به أرسل الله فى اليوم الثـــانى منه ثلجاً عظيماً بحيث نزل أربعين مرة ثم إن الشيخ -رضى الله عنـــه- ســـافر وقتئذ إلى خوارزم وفى خدمته الشيخ شادى، فلما بلغ نهر حرام أمره أن يمشـــى على الماء، فخاف الشيخ شادى فأمره غير مرة فلم يفعل، فنظر إليه نظرة عظيمة غاب بها عن نفسه برهة، فلما أفاق وضع قدمه على وجه الماء ومشى والشـــيخ

خلفه، فلما جاوزاه قال: انظر هل ابتلَّ شيءٌ من خفك أو لا؟ فنظر فلم يجد فيه بللا أصلا بقدرة الله تعالى. وقال بعض أصحابه: سبب محبتي له وصحبتي معه رضي الله عنه أني كنت يوماً في سوق بخاري في دكان لي، فأتى -رضي الله عنه- وجلس إلى دكاني وشرع يذكر بعض مناقب أبي يزيد إلى أن قال: ومما ذكر في مناقبة أنه قال: لو مس طرف ثوبي أحد صار محبا لي ومشغوفاً بي ومشى خلفي، وأنا أقول: لو حركت كمي لجعلت جميع أهل بخارى كبيرهم وصغيرهم والهين بي هائمين بحبي، يذرون البيت والدكان ويتبعوني، ووضع يده المباركة على كمه فوقع بصري حالتئذ على كمه، فاعتراني حال غبت فيه عن نفسي، ولبثت زمناً طويلاً كذلك، فلما أفقت استولت على سلطنة محبته، وتركت البيت والدكان، ولزمت خدمته.

وعن الشيخ عارف الديك كراني، أحد أجلاء خلفاء السيد أمير كلال -رضي الله عنه- أنه قال: ذهبنا يوماً لزيارة الشيخ بهاء الدين في قصر العارفان، فلما رجعنا إلى بخارى كان معنا زمرة من فقرائها، فتكلم شخص منهم على الشيخ رضي الله عنه فنهيناه وقلنا له: إنك لا تعرفه ولا يجوز لك أن تسئ الظن والأدب مع أولياء الله تعالى، فلم ينته، فجاء زنبور ودخل فمه حالاً ولدغه، فتألم ألما شديداً لم يستطع معه صبراً، فقلنا له: هذا من سوء أدبك مع الشيخ، فبكى بكاء كثيراً ثم تاب وأناب، فبرئ في الحال.

وحاصر عسكر صحراء قيجاق مدينة ببخارى مرة، فاشتد البلاء على أهلها وهلك منهم خلق كثير، فأرسل أميرها إليه -رضي الله عنه- نفراً من خاصته

بأنا عجزنا عن مقاومة الأعداء بالكلية، وفسد كل ما دبرناه، وتقطعـــت بنـــا الأسباب، و لم يبق ملجأ نلتجئ إليه من هؤلاء الظلمة إلا أنتم فتضـــرعوا إلى الله تعالى أن يخلص المسلمين من أيديهم، فهذا وقت المساعدة والأخذ باليد، فقال: لهم نتضرع إليه تعالى الليلة وننظر ما يفعل رب العزة جل جلاله، فلمـــا طلـــع الفجر أخبرهم بأنى بشرت بانجلاء البلاء بعد ستة أيام فبشروا أميركم بـــذلك، فسر أهل بخارى سروراً تاماً، وكان كما ذكر، فإنه بعد ستة أيام رفع عســـكر الأعداء الحصار عن البلد، وانجلوا عن آخرهم. وعن بعض أصحابه أنه قـــال: تمثلت مرة بين يدي حضرته -رضى الله عنه- فما مضت لمحة إلا وقد فقـــدت الحال التى كنت أجدها من قبل، فقلت فى سرى: لعل الشيخ -رضى الله عنه- سلبها منى، فما تم هذا الخاطر إلا والتفت إلى أحد أصحابه، وقال: كل ما عندنا فهو حل لكم، وأما صيد الكلب غير المعلم فهو حرام لا يجوز أكلـــه. وقـــال الشيخ شادي: لما سعدت بمحبة الشيخ -رضى الله عنه- سهل علـــى البـــذل والإيثار، فاجتمع عندى يوماً مائة دينار فتقدم إلى أهلى فى ادخارها، فلضـــعف اليقين وافقتهم، ثم ذهبت إلى بخارى فاشتريت خفاً كيمختيًا وغيره ثم رجعـــت قاصداً زيارته -رضى الله عنه- فى قصر العارفان، فلما تمثلت بين يديه، قال: لم ذهب إلى بخاري؟ فقلت: لمصلحة عرضت لى هناك، فقال: ائتنى بذلك الخـــف الكيمختى وبقية ما اشتريته، فأتيت بها سريعاً، فقال: وأحضر بقية المائة دينـــار فجئته بها فنظر إلى وقال: لو شئت لجعلت لك الجبل بحول الله عز وجل ذهبـــاً،

ولكن لا ينبغي لنا الالتفات فى عالم الفناء إلى مثل هذه الأشياء، فإن نظر هـــذه الطائفة من وراء هذا العالم، فكيف تدخر وأنت تعلم أن ما كان لك لا ينقص منه شيء؟! إني أعظك أن تعود لمثل هذا. قال المولى محمد مسكين -وكان من أكابر أصحابه: توفى أحد الصالحين فى بخاري فذهب الشيخ -رضى الله عنـــه- لتعزية أهله فأظهروا هم أصحابهم جزعاً عظيماً وأفعالاً كرههـــا الحاضـــرون، ونهوهم عنها وعابوها عليهم فقال رضى الله عنه وقتئذ: متى حضرنى الموت أنا أعلم الفقراء، كيف يموتون، فلم يزل هذا الكلام فى مخيلتي حتى مرض الشـــيخ مرضه الأخير، فخرج إلى الرباط ودخل خلوته، وطفق أصحابه يتواردون عليه ويلازمونه، وهو يوصى كلا منهم بما يناسبه، ثم رفع يديه بالـــدعاء فـــدعا، ثم مسح بها جهه ثم لقى ربه. وقال الشيخ علاء الدين العطار: كنـــا نقـــرأ عنـــد احتضار حضرة الشيخ -رضى الله عنه- سورة يس فلما بلغنا نصفها شـــرعت الأنوار تسطع، واشتغلنا بالكلمة الطيبة، فتوفى -رضى الله عنه- وذلـــك ليلـــة الاثنين ثالث شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وســـبعمائة وسِـــنُّه أربـــع وسبعون سنة، ودفن فى بستانه فى الموضع الذى أمر به، وبنى عليه أتباعـــه قبـــة عظيمة ودَحَوْا[1] البستان وجعلوه مسجداً فسيحاً، وأجرى الملوك عليه أوقافـــاً جمة، وبالغوا بالاعتناء به، وترفيع شأنه لم يزل كذلك إلى يومنا هذا يســـتغاث بجنابه، ويكتحل بتراب أعتابه، ويلتجأ إلى أبوابه، نفعنا الله به.

(١) دَحَوْا الأرض: أى بسطوها. اهـ. مصححه.

وعن أحد فضلاء أصحابه أنه قال: بلغني وأنا في بلاد الكش خبر وفاته رضي الله عنه فحزنت حزناً عظيماً وأضمرت في نفسي أن أعود إلى المدرسة، ففي تلك الليلة رأيته رضي الله عنه في المنام وهو يقرأ قوله تعالى ﴿**أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**﴾ [آل عمران:]، ويقول: قال زيد بن حارث: ثم انتبهت وقد فهمت ما أشرا إليه بالآية الكريمة من أنه -رضي الله عنه- لا فرق في إمداده لأصحابه بين حياته ومماته، و لم أفهم معنى قوله: قال زيد بن حارث، و لم أزل أتفكر في ذلك مدة حتى رأيته -رضي الله عنه- مرة ثانية في المنام، فقال: قال زيد بن حارث: «الدين واحد»، فعلمت من ذلك أن ما كان عليه -رضي الله عنه- هو الحق، وأن أهل الله لا يدلون في حياتهم وبعد مماتهم إلا على الطريق المستقيم، وكل ما يظهرونه فمن الكتاب والسنة وآثار الصحابة الكرام، وسيرة السلف الصالح -رضوان الله عليهم- وله -رضي الله عنه- خلفاء حنفاء كثيروا العدد، ولكل واحد منهم خلفاء كثيرة ذو كرامات شهيرة، وأعظمهم من السلسلة الشريفة.

سيدنا الشيخ علاء الدين العطار رضي الله عنه

هو ثمرة شجرة العلم الرباني، ونضرة وجه العالم الإنساني، محيي رفات العرفان، وماحي آفات الأغيان. مظهر الإرشاد الخاص والعام، ومنهل إمداد الخاص والعام. توفي والده -رضي الله عنه- وترك ثلاثة أنجال فخرج من ميراثه لأخويه، واختار التجرد لتحصيل العلوم في مدارس بخارى حتى نبغ في جميع

الفنون، وبلغ منها فوق ما تتعلق به الظنون، وكان لسيدنا شاه نقشبند -قدس الله سره العزيز- بنت صغيرة، فقال لأمها: إذا بلغت فآذنيني، فلما بلغت أخبرته فتوجه من قصر العارفان إلى بخارى إلى المدرسة التي فيها الشيخ علاء الدين -قدس الله سره- فلما أن دخل حجرته لم يجد بها غير خَلَق[١] حصير ينام عليه، وآجرة يتوسدها، وأبريق مكسور يتوضأ منه، فلما أبصر الشيخ سيدنا شاه نقشبند -قدس الله سرهما- أكب على قدميه فقبلهما وجعل رأسه عليهما، فقال له: إن لي بنتاً قد بلغت اليوم، والله تبارك وتعالى قد أمرني أن أنكحك إياها، قال له: إن هذه لسعادة عظيمة أسعدني الله عز وجل بها غير أني لا املك ما أنفق في ذلك، وحالي كما رأيتم، فقال له: ماكتب الله لكم من الرزق يأتيكم إن شاء الله تعالى، فلا تتفكر في ذلك، ثم عقد له عليها فلما بني بها أمره بالخروج من المدسة وأعطاه طبقاً مملوءا تفاحا، وأمره أن يحمله على رأسه ويجوب الأسواق والأماكن كلها حافي القدم ينادي بأعلى صوته يا تفاح حتى يبيعه، فوضع الطبق على رأسه ودخل السوق وهو يقول: يا تفاح، فلما رآه أخواه وكانا من أولى المكانة والاحترام غضبا لذلك أشد الغضب، فبلغ سيدنا شاه نقشبند -قدس الله سره- العزيز خبر غضبهما، فأمره أن يذهب بطبق التفاح فيضعه قريباً من محل أخويه ويبيعه ففعل كما أمره، وأقام على ذلك مدة حتى لقنه الذكر الخفي. وقال قدس الله سره: قال الشيخ محمد راهين يوماً:

---

(١) الخَلَق: بفتحتين هو البالي من الثياب وغيرها. اهـ. مصححه.

كيف قلبك؟ فقلت له: لا أعرف كيفيته فقال: أما أنا فإني أراه كـــالقمر ليلـــة ثلاثة، فذكرت ذلك لسيدنا شاه نقشبند قدس الله سره، فقال: هذا بـــالنظر إلى قلبه، وكان وقتئذ واقفاً فوضع قدمه على قدمي فغبت عن نفسي فرأيت جميـــع الموجودات منطوية في قلبي، فلما أفقت، قال: إذا كان القلب هكـــذا فكيـــف يتسنى لأحد إدراكه، ولهذا قال: في الحديث القدسي: «**ما وسعني أرضـــي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن**»، وهذا من الأسرار الغامضة. فَهِمَ من فَهِم. وذكر سيدنا الشيخ عبيد الله أحرار أن الشيخ محمد بارسا -قدس الله ســـره- كثيراً ما كان يحصل له الغيبة وقت المراقبة والاستحضار، بخلاف الشيخ عـــلاء الدين -قدس الله سره- فإنه كان من أهل الصحو، وهو أتم من الغيبة وأكمل، ثم إن سيدنا شاه نقشبند -قدس الله سره- أخذ يربيه أولى تربية، ويرقيه أعلـــى ترقية، ويهيئه للدخول إلى حضرة القرب والوصول والعروج في بروج العرفان، والخروج من الفرق إلى مقام الفرقان إلى أن صار فرداً في بابه من بـــين ســـائر خاصة أصحابه الوارثين لأذواقه العالية، وأحواله الحالية، وقد أمـــره في حياتـــه بتربية بعض مريديه. وقال قدس الله سره في حقه: إنه خفف أثقالي، وظهر لي ما ظهر ببركة صحبته، وحسن تربيته كما ذكر سيدنا الشيخ عبيـــد الله الأحـــرار قدس الله سره: أنه بعد انتقال حضرة الشيخ إلى حظيرة القـــدس تبعـــه جميـــع أصحابه حتى الشيخ محمد بارسا إذعاناً لعلو رتبته وقوة تربيته، قال: ورأيت بخط الشيخ محمد بارسا، أنه سمع الشيخ علاء الدين -قدس الله سرهما- في مـــرض

موته يقول: إن لى بعون الله تعالى وببركة سيدنا شاه نقشبند قوة لو توجهت إلى جميع الخلائق لجعلتهم من الواصلين. واختلف علماء بخاري فى إمكان رؤية الله، تعالى فمنهم من نفى، ومنهم من أثبت، وكانوا جميعاً من مخلصى الشيخ -قدس الله سره- فأتوا إليه، وقالوا له: إنا رضيناك حكماً علينا فى هذه المسألة، فقال للنافين أقيموا فى صحبتى ثلاثة أيام متطهرين، ولا تتكلموا بشىء ما أصلاً أجبكم، فلما مضت ثلاثة أيام حصل لهم حال قوى، فصعقوا فلما أفاقوا جعلوا يقبلون قدمه الشريف، وقالوا: آمنا أن الرؤية حق، ثم لم ينقطعوا عن خدمته والمثابرة على تقبيل مبارك عتبته، وأنشد حالتئذ بعض المريدين فى ذلك المجلس:

من العمى قولهم كيف الوصول إلى ... ذاك الجناب فما فى ذاك من طمع

ضع فى أكفهم شمع الصفا ليروا ... أن الوصول إليه غير ممتنع

ما وجد بخط سيدنا الشيخ محمد بارسا -قدس الله سره- أنه رضى الله عنه قال: التعلق بالمرشد وإن كان تعلقاً بالغير، الواجب نفيه فى النهاية لكن لما كان سبباً للوصول فى البداية، وكان إثباته موجباً لنفى ما سواه تعين على كل حال طلب رضاه. وقال قدس الله سره: المقصود من الرياضة إنما هو نفى العلائق النفسانية والتوجه إلى عالم الأرواح والحقيقة. وقال قدس الله سره: المراد من السلوك أن يدع السالك باختيار كل علاقة دنيوية تحجبه عن الله تعالى، ولا يتحقق بذلك إلا إذا عرض على نفسه هذه التعلقات، فكل ما استوى عنده وجوده وعدمه، فهو الذى لا تعلق له به، وما ليس كذلك يعلم أنه له به تعلق فيعالج نفسه بصرفها عنه. وقال قدس الله سره: كان سيدنا شاه نقشبند -رضى

الله عنه- إذا أراد أن يلبس ثوباً جديداً يهبه لغيره، ثم يستعيره منه ويلبسه. وقال قدس الله سره: «قولهم التوفيق مع السعي»، هو عبارة عن إمداد روحانية المرشد للطالب بحسب طلبه وقابليته وسعيه على طبق أمر المرشد، فإنه إذا لم يكن للطالب سعى فلمن يتوجه المرشد؟! ومن عناية الله بى أن الشيخ دادرك وهو من أقدم أصحاب سيدنا شاه نقشبند -قدس الله سرهما- أمرنى بادئ بدء بالسعي والمجاهدة، فمن الله تعالى على بالتوفيق حتى أنى لم أتركه فى جميع أوقات صحبة الشيخ، ولم أر من ثابر عليه من أصحابه إلا قليلاً. وقال قدس الله سره: إذا أنسى الله تعالى المريد الملك والملكوت فهو الفناء، وإذا أنساه فناءه فهو فناء الفناء. وقال قدس الله سره: إذا خلا قلب المريد بأمر مرشده عما سوى حب المرشد، وعما يكون مانعاً من حبه وتمكن من محبته يكون حينئذ قابلاً لورود الفيوضات الإلهية الغير المتناهية عليه، فإن القصور لا يكون من الفيوضات بل من الطالب، فمتى ارتفعت عنه الموانع لا جرم يصل إليه بهمة المرشد حال يتحير فى إدراكها من مقولة: «**رب زدنى فيك تحيراً**» ثم إن فى جعل العبد مختاراً حكماً كثيرة، فإنه لما تمكنت الموانع الطبيعية منه لزمه أن يلتفت باختياره إلى إزالتها، والملائكة وإن كانوا مجبولين على الطاعة والعبادة، معصومين من المخالفة مستغرقين فى الخوف والخشية غير أن كمال الاعتبار للاختيار فى السعادة والشقاوة والترقى والتدلى.

وقال: ينبغى للمريد أن يظهر جميع أحواله للمرشد، ويتيقن أنه لا ينال المقصود الحقيقي إلا برضائه وحبه، فيطلب رضاه ويعتقد أن كل الأبواب مسدودة دونه ظاهراً وباطناً إلا ذلك الباب الذى هو مرشده فيفديه بنفسه،

وآية المريد الكامل أنه مهما كان عنده من علوم وعرفان وهمة عالية فى السلوك والمجاهدة لا يجد لها فى نفسه أثراً ولا قدراً، ولا يراها إلا بقدر الذرة بالنسبة إلى ما عند مرشده. وقال رضى الله عنه: لا ترجى الفائدة إلا لمن يشاهد دائماً قصور أعماله ويعد نفسه من الناقصين، ويلتجئ إلى كرم ألطاف رب العالمين. وقال رضى الله عنه: على المريد أن يفوض أموره إن دينية وإن دنيوية كلية أو جزئية لاختيار المرشد وتدبيره بحيث لا يكون له أدنى اختيار معه أصلاً، وعلى المرشد أن يفحص عن أحواله، فيهتم بإصلاحها، ويأمره بما ينفعه فى معاشه ومعاده فيقتدى به، وقال رضى الله عنه: عليك بمراعاة أحوال أهل العلم وإخفاء أحوالك ومقامك عنهم، فقد ورد عنه ﷺ: «**أمرت أن أكلم الناس على قدر عقولهم**»، وإياك وإيذاء قلوب الصوفية، وإغفال آداب مخالطتهم، فإذا أردت صحبتهم فتعلم أولاً آدابها ثم صاحبهم تنتفع بهم، وإلا فتضر نفسك، وقد قيل: لا طريق لمن لا أدب له، وكونك مع الأدب خطأ، يعنى أن رؤيتك لنفسك أنك مؤدب خطأ فى الأدب، وقال رضى الله عنه: المقصود من التوجه إلى أسماء الجلال التذلل والبكاء والمسارعة إلى التوبة والإنابة، وعلامة صحة التوبة الميل إلى العبادة والمناجاة لا إلى المعاصى **﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾** [الشمس: ٨]، وثمرة ذلك أنه إذا وجد ميلاً إلى مرضاته تعالى يشكره ويمضى، وإذا رأى ميلاً لمعصيته يبكي ويلتجئ أو يخاف من مقام: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾** [العنكبوت: ٦] وقال قدس الله سره: الولاية لا تثبت إلا لمن لا تسلط لنفسه عليه، ولو وقع منه أدنى قصور يعفى عنه، قال الله تعالى: **﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** [يونس: ٦٢]، وقال قدس الله سره: أولياء الله

تعالى لا يخافون من غلبة أحوال الطبيعة كما قيل: الفانى لا يـــرد إلى أوصـــافه. وقال قدس الله سره ينبغي للمريد أن يكون فى الظاهر معتصما بحبل الله تعـــالى، وفى الباطن معتصماً بالله تعالى، فالجمع بينهما لازم. وقال: النفع فى زيارة قبور المشايخ على قدر معرفتك بهم. وقال قدس الله سره: القرب من قبور الصالحين له تأثير كثير، ومع ذلك فالتوجه إلى أرواحهم المقدسة أولى منه إذ لا يتوقـــف تأثيره على القرب والبعد بدليل قوله ﷺ: «**صلوا عليَّ حيثما كنتم**»، وشـــهود صور أهل القبور المثالية عند زيارتهم لا يوازن معرفة صفاتهم، فإن معرفتها أقوى فائدة؛ ولذلك قال سيدنا شاه نقشبند قدس الله سره العزيز: لأن تكون جـــاراً للحق أولى من أن تكون جاراً لخلق الحق وكثيراً ما أنشده.

حتى متى تعبد أرماس الأكابر قـــف ... واعمل بأعمالهم تخلص وتسترح[1]

ثم الأدب فى زيارة القبور: أن تتوجه إلى الله تعالى، وتجعل أرواح أصـــحابها وسيلة إليه تعالى، وهكذا فى تواضعك للخلق فتتواضع إليهم ظاهراً وإليه تعـــالى باطناً، فإن التواضع للخلق لا يجوز إلا إذا نظرت إليهم بأنهم مظاهر للحق تبارك وتعالى، فيكون التواضع حينئذ إلى الظاهر بهم لا إليهم، وقال قدس الله ســـره: طريق المراقبة أعلى وأرفع من طريق النفى والإثبات وأقرب إلى الجذبة، ويصـــل السالك بدوام المراقبة إلى مرتبة الوزارة الباطنية والتصرف فى الملك والملكـــوت والاطلاع على الخواطر، وتنور الباطن والنظر إليه بعين الموهبة، ومن التمكن من

(١) فى الأصل (وتسرح)، والصحيح المثبت للوزن والمعنى. اهـ. مصححه.

المراقبة تحصل الجميعة وقبول القلوب، ويسمى جمعاً وقبولاً. وقال قدس الله سره: السكوت ينبغى أن لا يكون خالياً عن ثلاثة أشياء: حفظ الخواطر، والتوجه إلى الذكر أو مشاهدة أحوال القلب. وقال قدس الله سره: حفظ الخواطر متعسر واجتنابها متعذر، فإنى حفظت خواطري عشرين سنة ثم جاءت، ولكن لم تستقر وقال قدس الله سره: أحسن الأعمال فى التربية المؤاخذة على الخواطر، وكان قدس الله سره يشكو آخر حياته من الاشتغال بتربية الخلق، ويقول: إنهم لا يراعون ما يحصل لهم، وقال له بعض أصحابه يوماً: إن المطلوب فى غاية العظمة وما لنا للطالب لسان إلا أن تتفضل علينا به أنت، فقال: الإبطاء من القابلية فإنكم تجدونى، وتضيعونى ولا تتقيدون، ومن أين جاء لا تعلمون. وقال: دوام صحبة أهل الله عز وجل تزيد فى العقل المادى[1]. وقال قدس الله سره: أنا راضٍ عن الشيخ محمد بارسا كما كان رسول الله ﷺ راضياً عن أصحابه. وكان مدة مرضه يتكلم بالوصايا تارة، والحكمة تارة، والدعاء للخلق آونة، والرضا والمحبة والوجد آونة، وينشد:

ذواتنا القصب الزاوى وحبكم ... نار فمنوا بها تحرق لذا القصب

وقال قدس الله سره عند شدة المرض: إنى خدمت رجلاً قوياً صورة ومعنى وكان كثيراً ما يقول: هل من مزيد؟ ويخاطب روحانية سيدنا شاة نقشبند – قدس الله سره العزيز– وتخاطبه. وتكلم يوماً فى أحوال سفر الآخرة والإقامة فى

(١) فى المطبوع القديم (المعادى)، والظاهر المثبت. اهـ. مصححه.

الدنيا وكان ذلك قبل مرضه بخمسة عشر يوماً، فقال: إني اخترت السفر للآخرة، ولا أرجع عنه. ابتدأه المرض ثاني يوم من شهر رجب، وانتقل إلى محبوبة الفردوس عشاء ليلة الأربعاء لعشرين خلت منه سنة اثنين وثمانمائة، ودفن في جغانيان بجيم فغين معجمة فألف فنونين بينهما ياء وألف بلدة من أعمال بخاري، ومقامه يقصد ويستغاث به -رضي الله عنه- ورآه بعض أحبابه من السادة الصوفية في المنام بعد أربعين يوماً من وفاته، فقال له قدس الله سره: إن ما أعطانيه الحق تعالى هو فوق اعتقاد المخلصين، وكان قدس الله سره قد زار ضريح سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه قبل وفاته بسبع سنين، ومعه زمرة من أصحابه، فرأى أحدهم في المنام خيمة كبيرة قد ضربت، قال: وعلمت أن هذه الخيمة لرسول الله ﷺ فجاء سيدنا النقشبند ومعه الشيخ علاء الدين إلى هذه الخيمة لزيارته ﷺ وخرجا بعد ساعة فرحين شاكرين، وسيدنا شاه نقشبند يقول: أكرمني الله بأن أشفع إلى مائة فرسخ من جهات قري الأربع، والشيخ علاء الدين إلى أربعين فرسخاً، وأحبائي وأتباعي إلى فرسخ. وله -قدس الله سره- خلفاء كثيرون أجلاء ثم تلقى منه سر هذه النسبة المطهرة.

سيدنا الشيخ يعقوب الجرخي قدس الله سره

هو من أحيا الحقيقة بالشريعة، والشرعية بالحقيقة، وسلك في طريقة القوم أقوم طريقة. وورث علوم الغيوب، كما ورث النبوة يعقوب. ولد -قدس الله سره- في جرخ بجيم فارسية ومهملة وخاء معجمة قرية من قرى غزنين، وهي

بمعجمتين ونونين بينهما ياء تحتية بلدة بين قندهار وكابل مما وراء النهر. ورحل لتحصيل العلوم إلى هراة ثم إلى مصر المحروسة، وتلقى العلوم الشرعية والعقلية عن علمائها، ومن أعظمهم علامة عصره الشيخ شهاب الدين الشيرواني ثم عاد إلى وطنه، وصحب حضرة سيدنا شاه نقشبند -قدس الله سره العزيز- لإرادة تحصيل علم الباطن، قال قدس الله سره: كنت مخلصاً في المحبة لحضرة الشيخ قبل التشرف بلقائه، فلما فرغت من تحصيل العلوم، وأجيز لي الفتوى، وعزمت على الانصراف إلى الوطن أتيت -لزيارته قدس الله سره العزيز- فقلت له مع الخضوع: أرجو دوام ملاحظتي بإكسير أنظاركم، فقال: جئتني وقت التوجه إلى الوطن، فقلت له: إني محبك وخادمك، قال: و لم؟ قلت: لأنك عظيم الشأن مقبول عند الناس، فقال: ائتني بدليل أحسن من هذا، فإنه يحتمل أن يكون هذا القبول شيطانياً، فقلت: ورد في الحديث الصحيح: «**إذا أحب الله عبداً ألقى محبته في قلوب عباده**»، فتبسم -قدس الله سره- ثم قال: نحن العزيزان، فلما سمعت هذه الجملة منه دهشت لأني كنت رأيت في المنام قبل ذلك بشهر قائلاً يقول لي: كن مريد العزيزان ونسيت الرؤيا، فانتبهت من كلامه وتذكرتها، ثم استأذنته فقال: خل عندي شيئاً إذا رأيته تذكرتك، ثم قال: إني علمت أنه ما عندك ما تدعه فخذ كوفيتي هذه واحفظها، فإذا نظرت إليها تذكرتني وجدتني، وإذا اجتمعت بمولانا تاج الدين الكولكي فاحفظ خواطرك فإنه من أولياء الله تعالى، فقلت في نفسي: أنا قاصد الوطن من طريق بلخ وأين بلخ من كولك؟ ثم

توجهت إلى بلخ فحدث لى فى الطريق ما اضطرنى إلى الرجوع إلى كولك واجتمعت بمولانا تاج الدين -قدس الله سره- وتذكرت ثم كلام حضرة الشيخ قدس الله سره العزيز، وزاد اعتقادي به وحبي له ثم إنى بعد وصولى إلى الوطن رجعت إلى بخاري فعمدت إلى زيارته -قدس الله سره- العزيز قال: وكان فى بخاري مجذوب، فأحببت أن أتفاءل منه بشيء، فأتيته بهذا القصد، فلما رآنى قال: أسرع ولا، وكان يخط فى الأرض خطوطاً، فخطر ببالى أن أحسب هذه الخطوط فإن خرجت وتراً كانت إشارة إلى صحة هذه الداعية، فإن الله وتر يحب الوتر، فحسبتها فإذا هى وتر فبادرت إلى صحبة الشيخ -رضى الله عنه- وعرضت عليه مرادي فلقننى الوقوف العددي، وقال: راع الوتر يشير إلى الخط الوتر الذى اتخذته دليلي وحجة لى. وقال قدس الله سره: لما جد بى الطلب للتحقق بهذا المشرب جعلت أختلف إليه كثيراً وهو يزداد رحمة بى وشفقة على، وأنا أزداد اعتقاداً به وإخلاصاً له حتى تيقنت أنه ليس أحد أفضل منه فى وقته، وفتحت المصحف يوماً للتفاؤل فخرج قوله تعالى: ﴿**أُولَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ [الأنعام: ٩٠]، وكنت وقتئذ مقيماً فى بلدة فتح آباد فتوجهت آخر النهار لزيارة ضريح الشيخ سيف الدين الباخرزى قدس سره، فورد على وأنا متوجه للضريح وارد أزعجنى، فقصدت حضرة الشيخ -قدس الله سره العزيز- فلما وصلت عنده وجدته كأنه ينتظرنى، وكانت الصلاة قد حضرت، فبعد أداء الصلاة أقبل على بوجهه الكريم، فوجدت له هيبة فى نفسي وعظمة فى

قلبي وجلالةً في نظري حتى لم أطق الكلام في حضوره، فقال لي قدس سره: ورد في الأخبار: «**العلم علمان علم القلب وذلك العلم النافع علمه الأنبياء والمرسلون، وعلم اللسان وذلك حجة الله على خلقه**»، وأرجو الله تعالى أن يكون لك نصيب من علم الباطن، ثم قال: ورد في الخبر: «**إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق، فإنهم جواسيس القلوب يدخلونها وينظرون إلى هممكم**» ثم قال: أنا مأمور من جناب الحق تعالى أن لا أقبل إلا من يقبله تعالى، وسأنظر الليل فإن قبلك الحق تعالى قبلتك، فما مضى من عمري ليلة أشد علي منها إذ بت خائفاً قلقاً من أنه هل يفتح لي باب القبول أو لا؟ فلما طلع الفجر وصليت خلفه انصرف من صلاته، وقال لي: بارك الله بك لقد قبلك الله فقبلتك، ثم عد مشايخ سلسلة طريقه إلى حضرة الشيخ عبد الخالق الغجدواني -رضي الله عنه- ولقنني الوقوف العددي، وقال: هذا أول العلم اللدني وصل من سيدنا الخضر عليه السلام إلى الشيخ عبد الخالق -رضي الله عنه- فلم أزل في خدمته وصدق صحبته حتى أذن لي بإرشاد الخلق إلى الله تعالى، وقال: إن ذلك سيكون سبباً لسعادتك. وروى عنه سيدنا الشيخ عبيد الله الأحرار -قدس الله سرهما- أنه قال: أمرني الشيخ -رضي الله عنه- بصحبة الشيخ علاء الدين في جغانيان فكتب إلي أن آتي لصحبته امتثالاً لأمر الشيخ -رضي الله عنه- فقدمت جغانيان، ولزمت صحبته حتى توفي -قدس الله سره- فذهبت إلى هلغتو. وقال الشيخ عبيد الله الأحرار: كان حضرة الشيخ يعقوب، والشيخ زيد الدين الخوافي

أخوين فى تحصيل العلوم فى مصر المحروسة، على العلامة الشيخ شهاب الـدين الشيرواني، فقال لى يوماً: سمعت أن الشيخ زيد الدين يعبر رؤيا المريدين، ويعتمد عليها وأنت كنت فى هراة، فهل سمعت بهذا؟ فقلت له: أجل، وكـان وقتئـذ آخذاً بلحيته الشريفة فغاب، وكان من عادته أنه يغيب فى أثناء كلامـه حـتى وصل رأسه إلى صدره ثم رفع رأسه بعد ساعة. وأنشد ما معربه:

أنـا إن كنـت إلا عبـد شمـس   وإن حـدثت إلا عـن سـناها
ومـا أنـا ليـل أو عبـد ليـل   يُـرَبيَّ المـرء بالرؤيـا يراهـا

توفى -قدس الله سره- فى قرية هُلْغَتُوْ بهاء مضمومة ولام سـاكنة وغـين معجمة مفتوحة ومثناة فوقية مضومة وواو ساكنة وهى من قرية الحصار، وله -قدس الله روحه- خلفاء عظماء وأصحاب بلا حساب، وأعظم من سري سـر هذه النسبة المطهرة إليه شيخ هذه السلسلة المبجلة.

سيدنا الشيخ عبيد الله الأحرار رضوان الله عليه

هو قطب دائرة العارفين، وبحر علم لا تنقصه كثرة الغارفين. وسعى وسـعه فى إنقاذ القلوب، مما مسها فى غمار الأغيار من اللغوب. إذ أصبح شمساً ترشد السالكين، إلى طريق حق اليقين والاطلاع على كنوز المعارف الخفية، ومخدرات الحقائق اللدنية. ولد -قدس الله سره- فى شاش سنة ست وثمانمائـة فى شـهر رمضان نقل أنه حصل لوالده جذبة عظيمة صرفته عن أعمال الدنيا بالكليـة، فصار يميل للرياضة الشاقة، وتقليل الطعام والمنام، وترك الاختلاط مع الخـواص

فضلاً عن العوام، واستمر كذلك أربعة أشهر، ففى أثنائها حملت به أمه، فسكن ما به وعاد لحاله. وقد بشر به قبل ولادته العارف الكبير سيدنا الشـيخ نظـام الدين خاموش السمرقندي -قدس سره- ذكر المولى الشيخ محمد السريلي: أن الشيخ نظام الدين جاء إلى بيت أبيه يوماً قال: وكـان أبى مخلصـاً فى محبتـه والاعتقاد به، فبينما هو جالس للمراقبة إذ صاح صيحة عظيمة، فلما انصـرف سأله عن سبب صيحته، فقال له: ظهر من جانب الشرق رجل يقال له عبيد الله يوشك أن يصير شيخاً عظيم الشأن يسخر الله له العالم كله، قال: فلما سمعـت اسمه منه جعلت أنتظر ظهوره، فكنت أول من تشرف باتباعـه، والانتظـام فى سلك أتباعه.

نقل بعض أقاربه الكرام أنه -قدس الله سره- لم يقبل حين ولد ثدي والدته حتى طهرت من النفاس، وكان -قدس الله سره- يقول: إنى أحفظ كلاماً كنت سمعته وأنا ابن سنة، وقال قدس الله سره: إنى منذ كان عمري ثلاث سنين، وأنا فى الحضور مع الله تعالى حتى كنت أذهب إلى المكتب، وأقرأ عند الشيخ وقلبى معلق مع الله تعالى، وكنت أحسب أن جميع الناس كذلك، ولقد خرجت زمن الشتاء إلى الصحراء فغاصت قدماي مع النعل فى الطين، وكان الوقت شـديد البرودة فاهتممت بترع قدمي، فغفلت عن الله تعالى بهذا المقدار، وكان ثم رجل يحرث على بقر فجعلت ألوم نفسي، وأقول لها: انظري إلى هذا الحراث مع مـا هو عليه من العمل لم يغفل عن الله عز وجل. ولا غرو إذ كان جده الأعلـى لأبيه الإمام الجليل الشيخ محمد النامي، وهو من أعظم أصحاب القطب الكـبير أبى بكر محمد ابن إسمعيل القفال الشاشي. وتربي فى حجر خاله علامـة وقتـه



وبركة عصره الشيخ إبراهيم الشاشى -قدس الله أسرارهم- وقــال قــدس الله سره: أول ما كتب لي خالى للتعليم هذا البيت:

بــواطن أهــل الله مثــل ظــواهر فطوبى لمن أبدى الخفيــات تحقيقــاً

ثم لم يأل جهداً فى أن أتعلم حتى أرسلنى من تاشكند إلى سمرقند جاء ذلــك فكنت كلما ذهبت إلى الدرس أصابنى مرض يمنعنى عنه، فذكرت له حالي وأنك إن كلفتنى بالتحصيل ربما أموت فتوقف، وقال: يا ولدي أنا أعلم حقيقة حالك فاذهب وافعل ما تريد، وأردت أن أقرأ يوماً فرمدت عيناي، ولم أزل كــذلك خمسة وأربعين يوماً فحينئذ تركت، ولم أصل فى القــراءة إلا إلى المصــباح فى النحو. وقال قدس الله سره: رأيت فى البداية سيدنا شاه نقشــبند -رضــى الله عنه- ليلة قد جاء وتصرف فى باطنى، ثم ذهب فتبعته، فلما أدركتــه التفــت، وقال: بارك الله بك، وكان يغلب على وهم قوي بحيث لا أقــدر أن أخــرج وحدى ليلاً، فورد على ليلة وارد قوي اضطرنى للخروج من الدار، وكانت ليلة مظلمة فخرجت حتى أتيت ضريح الشيخ أبى بكر القفال -رضى الله عنــه- ثم ذهبت لزيارة أكثر قبور الصالحين فذهب وهمى من حينئذ حتى أنى خرجت ليلة لزيارة الشيخ كري عارفان -قدس الله سره- فجلست عند قبره المبارك، وكان فى مكان بعيد عن المدينة منحرف عن الطريق مخوف، وكان يومئذ فى تاشكند مجنون هائل الصورة بشيع المنظر مزعج الصوت مغتال تخافه الناس جداً حتى عدا مرة على شخص فقتله، فبينما أنا جالس ثم للمراقبة إذ حضر ذلــك المجنــون، وجعل يصيح على بصوت كريه أن أخرج من ذلك المكان، فلم ألتفت إليــه، فقطع من شجر هنالك حطباً وجعله حزمة وأتى بها ليوقدها من السراج المعلق

على الضريح، ويلقيها على رأسى، فبحكمة الله تعالى ثارت نسمة أطفأت السراج، فزاد جنونه وأخذ يشتمنى أقبح شتم، ولم يزل كذلك حتى مطلع الفجر كل ذلك ولم أخف منه، ولم أكترث به ولا حصل لى تفرقة أصلاً ثم مضى فأتى السوق فاغتال شخصاً فأخذوه فقتلوه. وعن نجله الشيخ كلان قدس الله سره: أن عمته قال -وكانت من النساء العارفات- أخبرته أن الشيخ -رضى الله عنه- كان فى بداية حاله وهو فىتاشكند إذا حصل له قبض يخرج ويدخل من باب الدار وكلما خرج بصورة يدخل بصورة أخرى يكرر ذلك نحو عشر مرات، فكان كلما دخل بصورة فزع منه النساء اللاتى فى البيت حذراً من أن يكون أجنبياً فيتبسم من ذلك فيذهب قبضه.

رحل -قدس الله سره- من تاشكند إلى سمرقند، فصحب بها الغوث الأكبر الشيخ نظام الدين الخاموس مدة، ثم قصد بخاري، وكان وقتئذ سنة اثنين وعشرين سنة فلقي خلال طريقه العارف الكبير الشيخ سراج الدين البيرمسي فى بيرمس وهي بباء فارسية فتحتية فراء مهملة فميم فسين مهملة قرية من قرى وابكن على أربعة أميال من بخارى يقول قدس الله سره: لما زرته التفت إلى كثيراً ولكن لم يمل قلبى للبقاء عنده، فاستأذنته بالسفر إلى بخاري، ولقد رأيته يشتغل كل نهاره بالفخار، فإذا أقبل الليل جلس فى مصلاه جلوس التشهد، فلا يتحول من جهة إلى جهة أصلاً إلى الفجر، وكان من المتضلعين فى العلوم كلها. أهـ. ثم بعد أن أقام عنده سبعة أيام، قدم بخاري فصحب بها الإمام الكبير الشيخ حميد الدين الشاشى والقطب الشهير الشيخ علاء الدين الغجدوانى، وكان من كبار أصحاب سيدنا شاه نقشبند -قدس الله سرهما العزيز- يقول

نور الله مرقده: كان الشيخ المشار إليه يغلب عليه الاستغراق والغيبة حتى كـــان يغيب فى غضون الكلام، وكان حسن الحديث حريصاً على الذكر والمجاهـــدة، لقيته وقد بلغ التسعين بتقديم الفوفية فكنت أكثر من زيارته، وذهبت مرة لزيارة ضريح سيدنا شاه نقشبند -رضى الله عنه- ماشياً، فلما رجعت استقبلنى الشيخ فى نصف الطريق فقال: حسبت أنك تبيت ثم فأتيت لأجلك فعدت معـــه إلى الزيارة، حتى إذا صلينا العشاء قال لى: هلم نحيي هذه الليلة ثم جلس متوركاً إلى طلوع الفجر لم ينتقل من جنب إلى جنب ولا يتأتى مثل هذا الثبات إلا بحضور تام ومشاهدة كاملة، وإلا فليس هذا فى طوق البشر لا سيما مع كبر الســـن، وأما أنا فقد تعبت من كثرة المشى ولم يسعنى إلا موافقته فى الجلوس، فأقمـــت مثله إلى نصف الليل ثم عجزت فقمت، وجئت عنده فجعلت أهمزه ليزول عنى النوم والكسل، فلما شرعت بذلك، قال: أتخفيفاً لأثقالى؟ فقلت: بل لم أطـــق الجلوس، فأردت أن أخفف عن نفسي وأستريح، وكنت فى بداية أمري علـــى غاية من الاضطراب حتى صحبته، فتبدل الاضطراب بالتمكين.

ثم ذهب إلى هراة، فلقى بها كبير العارفين السيد قاسم التبريزي -قـــدس الله سره- وهو من كبار أصحاب سيدنا شاه نقشبند -رضى الله عنه- يقول قدس الله سره: صحبت مشايخ كثيرين فلم أر أعظم حالاً منه، ولا أكبر فإن كل ما حصلته من غيره لم أجده شيئاً بالنسبة إلى ما نلت منه، وكنت إذا رأيته أشـــهد جميع الكائنات تطوف به ثم تدخل فى باطنه وتتلاشى، فكنت آتى كل يوم إلى بابه، ولا أدخل عليه إلا فى كل يوم أو ثلاثة مرة، فكان الناس يعجبون لـــذلك ويقولون لى: كيف يكون قد أذن لك بالدخول ولا تدخل، ولو أنه أذن لنا لما

خرجنا من عنده؟ وكان يحتجب فلما وصلت إليه أمر حاجبه أن لا يمنعني في أي وقت أتيت. ونقل عن الشيخ فتح الله التبريزي أنه قال: صحبت حضرة السيد قاسم -قدس الله سره- وبي ميل عظيم لتحصيل علم التصوف، حتى كنت أتفكر في بعض الأوقات في مسألة واحدة من العشاء إلى الفجر، فبينما أنا جالس عنده يوماً إذ جاءه الشيخ عبيد الله فتوجه إليه بكليته، وبدأ يذاكره بالمعارف ودقائق الحقائق، فلما انصرف قال لي: ذكر كلام القوم وحكاياتهم وإن كان فيه فوائد جمة إلا أن باب المقصود لا يفتح بمجرد القيل والقال والسماع، بل هو موقوف على الخدمة والرياضة والمشقة والهمة، فإن شئت أن تنال ما ناله الأولياء فتمسك بأذيال هذا الشاب -وأشار إلى الشيخ عبيد الله- فإنه أعجوبة الزمان، وعن قريب يستنير العالم بنور سره، وتحيا القلوب الميتة حياة أبدية ببركته، فما زلت أترقب ذلك حتى أتى في عهد السلطان أبي سعيد إلى سمرقند، فذهبت لزيارته غير مرة وشاهدت منه أكثر مما قاله السيد رضي الله عنه.

ولقي في هراة أيضاً، الإمام الجليل الشيخ بهاء الدين عمر الخراساني -قدس الله سرهما- يقول: ما أعجبني من بين أحوال مشايخ خراسان إلا حال الشيخ عمر وطوره، فإنه كان يجلس لملاقاة الناس يومه كله، وكان من أتى عنده كلمه بما يوافق حالته وعقله وصناعته، ولا يميز نفسه عن إخوانه إلا في الرياضة فقط ثم صحب سيدنا الشيخ يعقوب الجرخي -قدس الله سره- يقول نور الله مرقده: لما سمعت به وأنا ذاهب إلى بخاري عزمت منصرفي منها على زيارته، فوصلت إلى جغانيان فمكثت بها مريضاً عشرين يوماً، وكان أهلها ينكرون على الشيخ

فصاروا يغتابونه عندي، فضعف اعتقادي به من كلامهم، ثم قلت فى نفسي: إننى جئت من مسافة بعيدة فلا ينبغي أن أرجع قبل لقائه، فذهبت إليه، فالتفت إلى التفاتاً تاماً، ثم ذهبت فى اليوم الثانى فغضب غضباً شديداً، ففهمت تلويحاً أن ذلك من الإصغاء لكلام المنكرين والعزم على ترك زيارته، فلما سكت عنه الغضب عاد إلى التفاته السابق، وجعل يذكر سبب اجتماعه بسيدنا شاه نقشبند -رضى الله عنه- ومد يده إلى، وقال: بايعني فتوقفت عن أخذها لبياض كان فى جبهته كالبرص، فلما شعر بذلك قبض يده ثم ظهر على طريقة الخلع واللبس بصورة حسنة مهابة فزال عنى اختياري ثم مد يده وأخذ بيدي، وقال: قال لى الشاه نقشبند حين بايعنى: يدك يدي فمن أخذها فقد أخذ يدي فأنت آخذ بيد الشاه نقشبند فبايع ولا تتوقف، فبايعته، ثم علمنى طريق الخواجان بالنفى والإثبات وهو المسمى بالوقوف العددى، وقال: هذا ما وصل إلى من حضرة الشاه نقشبند، وإن شئت أن تربى الطالبين بطريق الجذبة فلك الخيار. وروى أن بعض أصحاب الشيخ يعقوب -قدس الله سره- قال له: الآن لقنه الطريق وتخيره فى تربية السالكين بين الجذبة والذكر، فكيف هذا؟ فقال هو رجل كامل لا يحتاج إلا إلى الإذن، فإن الله أعطاه غاية القوة، ومن أراد أن يجيء عند الشيخ فليكن مثل هذا، فإن الأسباب فيه موفرة والمعدات مستحضرة، هيأ السراج والفتيلة والزيت وترقب الكبريت، وكان -قدس الله سره- لا يقبل هدية أحد أصلاً حتى إن الرجل الصالح العديم النظير الشيخ أحمد الكاريري أحد خواص العارف الشهير الشيخ سعد الدين الكاشغري -قدس الله سره- أهدى إليه بعد انتقال الشيخ جبة من صوف أبيض رقيق، وكانت من مال حلال، فقال: هذه

هدية رجل صالح كان ينبغي أن ألبسها غير أني إلى هذا اليوم لم آخذ من أحد شيئاً، ولا قبلت هدية أحد، فاعتذروا لي منه ثم ردها مع هدية منه إليه، قال قدس الله سره: نزلت في سمرقند في مدرسة قطب الدين الصدر، فوجدت فيها أربعة من الحمى، فجعلت أخدمهم وأغسل ثيابهم وأمتعتهم، فمن فرط المشقة أصابتني الحمى وإني ذات ليلة، وأنا في الحمى أتيت بأربع جرار من ماء وغسلت لهم الأثواب والبسط ولم أترك خدمتهم. وكنت وأنا في هراة أذهب إلى حمام الشيخ عبد الله الأنصاري فأخدم الناس فيه لا أميز بين الحر والعبد والغني والفقير في الخدمة حتى إني دلكت يوماً ستة عشر نفراً وما أخذت من أحد شيئاً أصلاً، وإن السادات الخواجكان ينظرون إلى الوقت فيعملون بمقتضاه، فيشتغلون بالذكر والمراقبة حيث لم تكن خدمة لأحد، فإذا احتاج مسلم لخدمة آثروها؛ وذلك أن الخدمة سبب لقبول القلوب وهو مقدم على الذكر والمراقبة، وظن بعض الناس أن الاشتغال بالنوافل أولى من الخدمة وليس كذلك، فإن نتيجة الخدمة المحبة وميل القلوب لأنها جبلت على حب من أحسن إليها. وفرق بين ثمرة النوافل وثمرة الخدمة. ولهذا كان سيدنا شاه نقشبند وأتباعه -رضي الله عنهم- لا يقبلون خدمة أحد بسهولة لأن الخدمة والتواضع من الإحسان، وحب المحسن أمر جبلي، وعلى قدر حبه يكون التعلق به، والتعلق حجاب، فلا يريدون التعلق بأحد بوجه من الوجوه، بل كانوا يسعون في أن يخدموه ولا يستخدموا.

نقل أنه توجه بأصحابه أيام الربيع إلى بلاد كش، فلما أقبل الليل نزل قرب جبل ولم يكن معهم إلا خيمة واحدة، فضربت له، فما لبثوا أن جاءت السماء

بماء منهمر، وذلك بعد العشاء فخرج -رضى الله عنه- من الخيمة، وقال لأصحابه: ادخلوها فإن لى شكاً فى طهارتها وشدد عليهم فدخلوها وبقى -رضى الله عنه- ظاهر الخيمة والمطر تصب فوق رأسه حتى طلع الفجر، فبعد صلاة الفجر أسر إلى بعض أصحابه أنى استحييت أن أستظل فى الخيمة وأصحابى تحت المطر. وخرج يوماً فى شدة القيظ إلى مزرعة له، وما كان عند الزراع إلا خيمة واحدة فنصبت له فقيل أن يشتد الحر خرج فركب فرسه، وقال لأصحابه: اجلسوا، إنى أريد أن أنظر إلى الأرض وزرعها، فجعل يدور هكذا وهكذا، وإذا اشتد عليه الحر جداً يأوي إلى بعض المغارات، وربما كان رأسه فى الظل وجسده فى الشمس، ولم يزل كذلك حتى برد الهواء، فرجع إلى أصحابه وقد علموا أنه لم يقصد بذلك إلا راحتهم وإيثارهم، وقال قدس الله سره فى قوله تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] هذه المعية إما حسية وهى مصاحبتهم ومجالستهم فمن داوم على ذلك نور الله قلبه بأنوار باطنهم وأنعم عليه بالتحقق بأخلاقهم وإما معنوية وهى أن يكون متوجها لروحانيتهم رابطاً قلبه بهم بحيث يكون مستحضراً لهم غيبة وحضوراً، فإنه إذا أحكم هذا الارتباط القلبي انعكس عليه جميع أسرارهم، أو المراد من هذا الأمر الواجب الامتثال أن الطالب ينبغى أن يربط قلبه بالصادق وهو من تنزه عن الغير والسوى، يقال: رمح صدوق أى: لا انحراف فيه، ولا اعوجاج أى: فلا ينبغي أن يلتفت إلى شيء آخر حتى التجليات الأسمائية والصفاتية، أو المراد: كن عاشقاً واصحب العشاق لا غير، فإن كان أستاذك نحوياً فلابد أن تصير نحوياً أو محوياً فمحويا.

جليس إمام النحو فى النحو يرتقـــى وصاحب قيس المحو يبرع فى المحـــو

لأن الله تعالى قد أعطى الإنسان صفة التأثير والتأثر بالصحبة؛ ولهذا أمر بهـــا فلا عمل أنفع ولا أجذب للأحوال منها، بدليل: «**جذبة من جـــذات الحـــق توازى عمل الثقلين**»، وقال فى لا إله إلا الله: قال بعض الأكابر: هـــى ذكـــر العوام والله ذكر الخواص وهو ذكر خواص الخواص: وعندي أن لا إلـــه إلا الله ذكر خواص الخواص لأنه لا نهاية لتجلياته تعالى ولا تكرار فيها، ففى كـــل آن ينفى صفة ويثبت صفة فلا يخلو أبداً الآبدين من نفى وإثبات. وقال قـــدس الله سره فى قوله تعالى: ﴿**قُلِ اللّهُ**﴾ [الرعد: ١٦] المراد أن يكون العبد متوجهاً إلى الذات البحت لا إلى الصفات، وقال قدس الله سره فى قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّـــذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ**﴾ [النساء: ١٣٦] أي يا أيها الذين ربطوا قلوبهم بالله تعالى آمنوا إن هذا منه تعالى لا منكم. وقال رضى الله عنه يوماً لأصـــحابه: لم لا تـــدخلون الأسواق وتعملون عملاً ينفع الناس؟ فاسعوا ليحصل لكم شهود الأحديـــة فى الكثرة، فقد قال بعض المشايخ فى معنى قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَـــاكَ الْكَـــوْثَرَ**﴾ [الكوثر: ١] أى أعطيناك شهود الأحدية فى الكثرة. وقال رضـــى الله عنـــه فى معنى حديث: «**سدوا كل خوخة فى المسجد إلا خوخة أبى بكر**» قال المحققون: إنه كان لأبى بكر الصديق -رضى الله عنه- كمال النسبة الحبية مع رسول الله ﷺ، فأشار بهذا الحديث إلى أن جميع الطرق مسدودة لا توصل إلا طريق الحب، والمراد من الرابطة محبة الشيخ المستحق للمشيخة، وطريق الســـادة النقشـــبندية المتصل بأبى بكر -رضى الله عنه- مبنى على هذه المحبة، فما هو إلا حفظ هـــذه النسبة. وقال رضى الله عنه فى قول على رضى الله عنه: لو كشف الغطاء مـــا

ازددت يقينا لو لامتناع الثانى لامتناع الأول، فيكون اليقين دائم الأزديـــاد لأن كشف الغطاء لا يمكن، إذ ثبت عند المحققين أن الذات لا تنكشف إلا فى تجلي الصفات أي لا تظهر إلا فى مظهر، فلما لم تنكشف الذات كما هى، فلا جرم أنه يكون اليقين فى الازدياد. وقال قدس الله سره فى معنى قول أحد الأكابر: لو أقبل صديق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فما فاته أكثر مما ناله إن هذه الطائفة تصل إلى مقام تتضاعف فيه كمالاتها السابقة كل نفس، ومنه ما حكى أن بعض المحجوبين ذكر عند الخليفة أنه ظهرت طائفة من الزنادقة قد ضلوا، فإن تأمر بقتلهم تنل أجراً عظيماً وتخلص الناس من طغيانهم، فلما أحضـــروا إلى دار الخلافة أمر بقتلهم فأخذ السياف بيد أحدهم ليقتله فقام واحد منهم، وقال له: اقتلنى أنا أولاً، فلما أخذ بيد الثانى قام آخر منهم، وقال له: بل أنا اقـــتلنى أولاً، فلما رأى مبادرتهم إلى القتل عجب منهم، وقال: من أى طائفة أنتم، فـــإنكم لمشتاقون إلى الموت؟! قال نحن من أهل الإيثار، وقد وصلنا إلى مقام نكتسب فى كل نفس ضعف الكمالات، فرفع أمرهم إلى الخليفة فلما تحقق أحوالهم تنبـــه، وقال: إن كان هؤلاء زنادقة فليس لله على وجه الأرض صديق، ثم اعتذر إليهم وأعادهم إلى وطنهم بكرامة السلامة وسلامة الكرامة. قلت: هذه القصة وقعت لأبى الحسين النورى وجماعته. وقال قدس الله سره قال بعض الأكابر: إن بعـــد العصر ساعة هى أفضل الساعات فينبغي الاشتغال فيها بأفضل الأعمال كلـــها، فما وجد من طاعة شكر الله تعالى عليه، وما وجد من معصية استغفر الله تعالى وتاب. وقال آخرون: أفضل الأعمال أن يصحب شيخاً ينتفى ببركة صحبته عن كل ما سوى الله تعالى، ويميل إلى الله تعالى وينجذب. وقال قدس الله ســـره فى

معنى قولهم «صحبة الأضداد موجبة للتفرقة»: إن أبا يزيد رضى الله عنه وجد يوماً تفرقة، فقال: لأصحابه انظروا، هل فى مجلسى أجنبى؟ فنظروا فما وجدوا أحداً، فقال دققوا النظر فإنه إذا لم يكن أجنبى فكيف حصلت لى التفرقة؟ فلما بالغوا بالتفتيش وجدوا عصى رجل أجنبى فرموها فعادت له جمعيته. وقال قدس الله سره: التوحيد عند صوفية هذا الزمان أن يذهبوا إلى الأسواق. وينظروا إلى المرد ثم يقولوا نشاهد الجمال المطلق، فأعوذ بالله من هذا الشهود، فإنه لما قدم السيد قاسم التبريزي إلى هذه البلدة -يعنى سمرقند- كان أصحابه يذهبون إلى السوق وينظرون المرد، ويقولون مثل ذلك، فكان السيد يقول عنهم: أين خنازيرنا؟ أين كلابنا؟ ففهمت من فحوى كلامه أنه كان يراهم كذلك. ونقل قدس الله سره عن حضرة سيدنا شاه نقشبند -رضى الله عنه- أنه قال: رأيت فى مكة المكرمة زادها الله شرفاً وكرامة رجلين أحدهما رفيع الهمة جداً، وثانيهما دنيها جداً أما دنى الهمة فرجل رأيته فى المطاف قرب الباب ملتزماً جدار الكعبة بصدره باسطاً يديه يطلب من الله تعالى غيره، وأما علىّ الهمة فشاب لقيته فى سوق منىً قد اشترى وباع بخمسين ألف دينار وما غفل عن الله طرفة عين، ولقد خرج منى الدم غيرة منه. وجلس رجل فى مجلسه -رضى الله عنه- منكسا رأسه للمراقبة فغضب منه، وقال له: هكذا جلس رجل فى مجلس مولانا نظام الدين أى الخاموش -رضى الله عنه- فقال له: ارفع رأسك فإنى أرى الدخان يخرج من فيك فمالك والمراقبة، إنما ينبغى لك أن تحمل الماء والأحجار للاستنجاء، وتكنس الخلاء سنين عديدة حتى يصير لك استعداد لأن أتكلم بك، فأين أنت من المراقبة؟ وقال رضى الله عنه عن السيد قاسم التبريزي

رضى الله عنه، قال: كنت يوماً فى مجلس مولانا زين الدين التايـــادي فجـــاءه رجل صوفى، فقال له الشيخ: أنت تحب شيخك أكثر أم الإمام أبـــا حنيفـــة – رضى الله عنه– قال بل شيخى أكثر: فغضب مولانا منه غضباً شديداً حتى قال له: يا كلب، وقام فدخل بيته ثم خرج وقد ذهب الرجل، فقال لى يـــا فـــلان: تعال نذهب إلى هذا الرجل الصوفى ونعتذر منه فذهبت معه، فوجـــدناه أثنـــاء الطريق راجعاً إلى زيارة الشيخ ثانياً، فقال له: يا مولانا إنما رجعت لأفيـــدكم حالى أن لى مدة مديدة وأنا أعمل بأقوال الإمام الأعظم فما زالت عنى صفة من الصفات المذمومة، وصحبت هذا الرجل أياماً قليلة فزال عنى جميـــع الخصـــال المذمومة، فما المانع أن أحبه أكثر من الإمام؟! نعم إن كان لا يجوز شرعاً أتركه وأتوب منه، فاعتذر إليه مولانا غاية الاعتذار واستحسن رأيه، قال: قال الشيخ أبو سعيد رضى الله عنهما: تكلم سبعمائة من المشايخ على ماهيـــة التصـــوف وأحسنها وأتمها: التصوف صرف الوقت فيما هو أولى به. وقال: قال الشـــيخ نظام الدين –قدس الله سرهما: ينبغى للشيخ أن يلبس اللباس الفـــاخر ويظهـــر للمريدين بصورة جميلة مع العظمة والوقار لئلا يكون محقراً فى أعينهم فتضعف رابطته، فإنه لا سبب لحصول مقصود السالك إلا الرابطة مع الشيخ، ولذلك أمر صلى الله عليه وسلم بتسريح اللحية وغيره، وقال قدس الله سره: لا أقـــدر أن أسكن بلدة فيها شريف إذ لا أقدر على أداء حق تعظيمه، فقد روى أن الإمام الأعظم –رضى الله عنه– قام يوماً فى خلال درسه وقعد غير مرة ومـــا علـــم الحاضرون ما سبب ذلك حتى سأله بعضهم فقال: غلام من الشرفاء يلعب بين هؤلاء الأطفال فكنت كلما وقع بصري عليه أقوم إجلالا له، وإذا غاب عـــنى

أجلس. وقال قدس الله سره: المكر مكران مكر بالعوام وهو أن ينعم الله على العبد مع استغراقه في القصور، ومكر بالخواص وهو إبقاء الوجد والأحوال عليه مع تركه للأدب. وقال قدس الله سره: لو أن صوفياً صاحب وجد وحال مشى في طريقه فوجد فيه كلباً فأقامه حتى يمشي مستريحاً و لم يتغير حاله بعد هذا الفعل، فليعلم أن هذا مكر من الله تعالى. وقال رضى الله عنه: متى وجدت من صحبة أحد جميعة الخاطر والتوجه إلى الله تعالى فدع الذكر إذ المقصود منه حصول النسبة وقد حصلت. وقال: ما دمت تشير بالهاء وهو والحروف فأنت عبد الحروف لا تنتج شيئاً، فاجهد في أن ترفع الغبار وحجب الأغيار من طريقك، وتصير عبداً تذكره بلاهاء ولا واو. وقال: إن حصل لك حضور بصحبة أحد فطريق حفظه أن تجتنب ما يكرهه، وقال: ينبغي لمن أراد المجيء عند هذه الطائفة أن يجيء بالإفلاس التام ظاهراً وباطناً لا الغنى لئلا يحرم من بركاتهم. وقال: حاصل هذه الطريقة العلية الإقبال على الله تعالى دائماً إقبالاً لا تكلف فيه. وقال رضى الله عنه: دفع الخواطر الرديئة والمقتضيات الطبيعية لا يحصل إلا بأحد أمور ثلاثة: أولها أن يشتغل بما قرره السادات في الطريقة العلية مع اختيار رياضة طريقتهم ومجاهدتهم، ثانيها: أن لا يرى لنفسه حولاً ولا قوة بحيث يتحقق أنه لا يقدر أن يزيل حجاباً ما لم يزله عنه تعالى فيتضرع إليه سبحانه حتى يخلصه من الحجب، ثالثها: أن يكون متوجها إلى شيخة يستمد منه ويعتمد أنه لا يقدر أن يتوجه إلى الله تعالى إلا بواسطته؛ وهذا أقرب الطرق وأسهلها وأحسنها، ولا بد أن يصل من هذا الطريق إلى المقصود الأصلي الحقيقي. قال صاحب الرشحات: إن الله تعالى أعطى الشيخ -رضى الله عنه-

من تسخير الملوك له وإطاعته ما لم يعط أحداً من قبل حتى إنه قال مرة: لو أنى تصدرت للمشيخة ما أبقيت لأحد من مشايخ العصر مريداً، ولكن الله أمـــرنى بأمر آخر وهو إنقاذ المسلمين من شر الظلمة وأيدي المخالفين؛ ولهذا خالطـــت السلاطين ابتغاء تسخيرهم لنفع المسلمين، وقال رضى الله عنه أيضاً: أعطـــانى الحق تعالى فى التصرف قوة عظيمة بحيث لو أرسلت ورقة إلى ملك الخطا وهو يدعى الألوهية لجاء حافياً بلا توقف، ومع هذا لا أتصرف فى ملكه تعالى بقدر ذرة، بل أقف عند حد أمره عز وجل فإن من آداب هذا المقام أن تكون إرادتك تابعة لإرادته جل وعلا لا العكس. أهـــ. قال: ويشهد لذلك ما وقع منه عنـــد مصالحته للملوك الثلاثة، وذلك أنه ورد إلى سمرقند خبر بأن السلطان محمـــود والسلطان عمر شيخ تحالفا على منازلة أخيهما الســـلطان أحمـــد فى سمرقنـــد، وخرجا بعسكر كثيف جداً حتى نزلا فى ضاحية شاه رخية -محل منسوب لشاه رخ- وخرج السلطان أحمد فعسكر بها أيضاً، وسأل الشيخ رضـــى الله عنـــه الصحبة فأجابه -رجاء أن يصلح الله به بين هاتين الفئتين العظيمتين- فأقـــاموا أربعين ليلة يرقب كل منهم الآخر فقال للسلطان أحمد: لم أتيتم بى إلى هنـــا.إن كان مرادكم الحرب فإنى لست من أهله، أَوَ الصلح فلم هذا التأخير؟! فقال له: يا سيدنا ومولانا الرأي رأيكم، فقد فوضت أمري إليكم فافعلوا ما تشـــاءون، فإنى لا أخالف لكم أمراً، قال: فتوجه رضى الله عنه إلى معسكر الفئة الثانيـــة فخرج الملكان لاستقباله، وبالغا فى تكريمه وإجلاله، فالتفت إليهمـــا بكليتـــه، وألجأهما إلى الصلح فامتثلا أمره غير متوقفين، فلما كان من الغد أمر أن يتـــهيأ جيش الملوك الثلاثة، ويبقى كل جيش فى محله، وينصب خباء وسط الجيـــوش،

واستدعى الملوك الثلاثة إليه فحضورا، فلما تلاقوا عانق ميرزا أحمد مـــع أخيـــه ميرزا محمود، وأخذ بيد ميرزا أحمد فمسح بها وجه أخيه ميرزا عمر شيخ، فبكوا بكاء كثيراً حتى أبكوا الجم الغفير ثم أجلسهم تحت الخباء، وكان لمجلسهم هيبة عظيمة ترتعد منها فرائص الجبال والعساكر من حولهم وقوفاً صفوفاً مترقبين أن لو حصل ما يوجب الحرب لانقضوا على بعضهم كالسيل الجـــارف، قـــال: فوضعوا المائدة وأكلوا جميعاً ثم طلب الشيخ –رضى الله عنه– ارتحالاً من ميرزا أحمد أن يتزل لأخيه ميزا محمود عن مدينة تاشكند، فأجابه بالحال لذلك فختم المجلس بالتبرك بفاتحة الكتاب ثم انصرف كل منهم بجيوشه إلى حاضرة سلطنته شاكرين أياديه وبره –رضى الله عنه– وتوجه يوماً إلى بلدة القرشي فأتاه أحـــد خدام إبله، وهو قرّه أحمد العربى، وهو يبكى ويقول: إن السيد أحمد سارد أذانى كثيراً وظلمنى فتأثر –رضى الله عنه– من ذلك تأثر كلياً ولم يتكلم، فلما رجع إلى سمرقند استقبله الأمراء وفيهم السيد أحمد المذكور، فلما اجتمعوا عنده توجه إليه وقال له: أنت تضرب خادمى وتؤذيه، فاعلم أنى أنا كذلك أعرف طريـــق الضرب والأذى وطرده من مجلسه، ولم يزل مغضباً إلى وقت العصر لا يكلـــم أحداً، فبعد أسبوع مرض السيد أحمد فلما اشتد مرضه أرسل إلى السلطان يخبره بأنى وقع منى سوء أدب فى جانب سيدنا ومولانا، واعتذروا إلى منه واسألوه أن يعفو عنى، فأرسل بعض أمرائه المقبولين عند الشيخ –رضى الله عنه– إليـــه فى ذلك فقال له: يطلب منى السلطان إحياء الموتى أنا لست عيسى، فمات ذلـــك اليوم. توفى رضى الله عنه وقت العشاء ليلة السبت سلخ شهر ربيع الأول ســـنة ثمانمائة وخمسة وتسعين فى قرية كمان كران بعد أن حمَّ تسعة وثمانين يوماً، قال

بعض الأكابر: وحكمة مرضه هذا المقدار أن سنة الشريف تسع وثمانون سنة وفى الحديث الشريف: ((**حمى كل يوم كفارة سنة**)). وذكر نجله الشيخ محمد يحيي وجم غفير من أصحابه الحاضرين: أنه خرج عند نفسه الأخير من بين حاجبيه نور باهر طمس ضوء الشمس، وقد زلزلت سمرقند وقت صلاة الجمعة عند اشتداد مرضه، فعلم الناس أن الشيخ قد آن احتضاره ووقت العشاء عند خروج روحه الزكية أيضاً، وكان قد حضر السلطان أحمد بعسكره بعد الغروب ثم يوم السبت حملنا نعشه المبارك إلى محلة الشيخ كفشير بكاف ففاء فشين فياء فراء، ودفن فى محوطة ملايان جمع ملا أي مدفن العلماء، وبنى عليه أنجاله قبة عظيمة هى محط رحال الرحمات العميمة، وسنة الشريف نحو تسع وثمانين سنة، ومن أعظم أصحاب سيدنا أحرار شيخ هذه السلسلة وأعلى من سرى إليه سر هذه النسبة المبجلة.

سيدنا الشيخ محمد القاضى الزاهد رضى الله عنه

هو خلاصة المتقين، وصفوة الأولياء الزاهدين. كان -رضى الله عنه- من أولياء أصحابه، وعيبة[1] أسراره، وقبلة خطابه، ووارث علومه وأنواره، صنف كتاباً فى ذكر فضائله وخصائصه وشمائله سماه: ((**سلسلة العارفين، وتذكرة الصديقين**)) يقول فيه رضى الله عنه: إنى انتظمت فى سلك خَدَمه سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة، ولم أزل حتى انتقل سنة خمس وتسعين، فكانت مدة تشرفي

(١) هكذا بالأصل.

بخدمته اثنتى عشرة سنة ولله الحمد على ذلك، وكان سبب اتصالى بجنابه أنى خرجت مع رجل من طلبة العلم اسمه الشيخ نعمة الله من سمرقند نقصد هراة لطلب العلم، فلما وصلنا إلى قرية شادمان أقمنا فيها أياما من شدة الحر، فبينما نحن كذلك إذ حضر إليها سيدنا الشيخ -رضى الله عنه- وقت العصر فذهبنا لزيارته، فسألنى من أين أنت؟ فقلت: من سمرقند فطفق يحدثنا أجمل الحديث، وذكر خلال كلامه جميع ما أكننته فى سرى فرداً فرداً حتى أخبرنى عن سبب سفري إلى هراة، فلما وجدت ذلك تعلق قلبى به كل التعلق، ثم قال لى: إن كان مقصودك طلب العلم فهو متيسر هنا، فتيقنت أنه ما من خاطر إلا وقد اطلع عليه، هذا ولم يخرج من قلبى محبة السفر إلى هراة فلما كوشف بذلك، قال لى أحد أتباعه: إنه مشغول بالكتابة فتربصت قليلاً فلما فرغ قام من مقامه وأقبل نحوى، ثم قال: أخبرنى بجلية أمرك هل مرادك من هراة تحصيل الطريق أو العلم؟ فدهشت من جلالته وسكرت، فقال له رفيقي: بل الغالب عليه الطريق، وإنما جعل طلب العلم تستراً فتبسم، وقال: إن كان كذلك فهو أفضل وأحسن ثم أخذنى إلى جهة بستان له فلم نزل نسير حتى غبنا عن أعين الناس ثم وقف، ومنذ أخذ بيدي جائتنى غيبة امتدت معى حتى استغرقت زمناً طويلاً، فلما أفقت رجع يحدثنى -رضى الله عنه- ثم قال: لعلك تقدر أن تقرأ خطى، وأخرج من جيبه ورقة فقرأها وطواها ودفعها إلى وقال: احفظها، وإذا فيها حقيقة العبادة خضوع وخشوع وانكسار يظهر على قلب ابن آدم من شهود عظمة الله تعالى،

وهذه السعادة موقوفة على محبة الله تعالى، وهى موقوفة على اتباع سيد الأولين والآخرين عليه من الصلوات أكملها، ومن التحيات أتمها، وهو موقوف على معرفة طريقه فلزم لذلك بالضرورة مصاحبة العلماء الوارثين لعلوم الدين، وتلقى العلوم النافعة عنهم حتى تظهر المعارف الإلهية المنوطة بمتابعته ﷺ، ومجانبة علماء السوء الذين اتخذوا الدين وسيلة لجمع الدنيا وسبباً للجاه، والمتصوفة الرقاصين وأهل السماع الذين يتناولون ما يجدون من حلال وحرام، وعدم الإصغاء للمسائل المخالفة لعقائد أهل السنة والجماعة من مشكلات علم الكلام والتصوف، والسلام. ثم رجع إلى مجلسه فقرأ الفاتحة ورخص لى بالسفر إلى هراة، فتوجهت كما أمرنى قاصداً إلى بخاري فما سرت خطوات إلا واتبعنى بكتاب إلى حضرة الشيخ كلان، نجل الإمام الجليل مولانا سعد الدين الكاشغري -قدس الله سرهم- وإذا فيه: عليك بملاحظة أحوال حامل هذا الكتاب، ومحافظته من مخالطة الأغيار. فلما رأيت منه ذلك أخذ بمجامع قلبى محبة وإخلاصاً، ولكن ما انثنى عزمي بل أخذت الكتاب ومضيت، فوجدت فى أثناء الطريق زحمة تامة ودغدغة قوية من جملتها أنى كنت كلما سرت مرحلتين أو ثلاثاً ضعفت دابتى وعجزت حتى أنى بدلت ستة أفراس إلى بخارى، فلما وصلت إليها رمدت عينى رمداً شديداً بقى مدة أيام، فلما شفيت تهيأت للسفر، فأصابتنى حمى مزعجة جداً، فنظرت حينئذ فى نفسي أنى إذا سافرت ربما أهلك، فرجعت عن ذلك العزم وانقطع أملى من السفر، وعزمت على الرجوع إلى

خدمة حضرة الشيخ -رضى الله عنه- حتى إذا وصلت إلى تاشكند أحببت أن أزور الشيخ إلياس العشقى بها أولاً، فأودعت ثيابى وكتبي ودابتى عند أحد الأحباب، وذهبت فلقيني أحد خدامه فقلت: له ارجع معى لتزور الشيخ: قال: وأين دابتك؟ قلت: قد أودعتها عند فلان، قال: اذهب فأت بها إلى داري، ثم نمضى للزيارة، فبينا أنا راجع إذ سمعت قائلاً يقول لى: قد فقدت دابتك بما عليها فتحيرت وتغيرت وجلست أتفكر فى ذلك، فوقع فى قلبى أنه يحتمل أن يكون ذلك لعدم رضا حضرة الشيخ بهذه الزيارة، فإن السادات رضوان الله عليهم لهم غيرة عظيمة على أتباعهم فكيف يكون الشيخ -رضى الله عنه- متوجهاً إليك هذا التوجه وأنت تقصد زيارة غيره، فلابد أن تصاب بأكثر من ذلك، فأعرضت عنها وعقدت النية على زيارة سيدنا ومولانا قبل كل شىء فما تم هذا الأمر إلا وجاءنى شخص فقال لى: وجدت الدابة وما عليها، فأتيت إلى من أودعتها عنده، فقال لى: يا محمد إنى كنت ربطت دابتك ههنا، فبعد لحظة غابت عن نظري فطفقت أفتش عليها فما وجدتها حتى يئست منها ثم رجعت فوجدتها واقفة وسط السوق بين الناس ولم ينقص مما عليها شىء مع ما فى السوق من كثرة الازدحام، فعجبت لذلك كل العجب ثم أخذتها وتوجهت إلى سمرقند، فلما وصلت عند حضرة الشيخ -رضى الله عنه- تبسم، وقال: أهلاً وسهلاً ومرحباً، فلم أفارق عتبته بعد، وقال قدس الله سره: كان رضى الله عنه إذا تكلم بالحقائق كثيراً ما يوجه خطابه إلى، وسألنى مرة فقال: هل أنت إذا

سمعت منى الكلام على الحقائق تتغير عقيدتك التى تلقنتها من أبويك فى صباك وتلقيتها من أستاذك ورسخت فى قلبك، قلت: لا، قال: إذاً أنت أهل لسماعها، وكتب فيه أيضاً: أن سيدنا ومولانا مرض مرة فأمرنى أن آتيه بطبيب من هراة فجاءنى مولانا قاسم -رضى الله عنه- وقال: يا مولانا محمد أسرع فى ذهابك وإيابك فإنى لا أستطيع أن أرى سيدنا ومولانا مريضاً وحرضنى تحريضاً تاماً فلما جئت بالطبيب وجدت الشيخ -رضى الله عنه- قد شفى ومولانا قاسم قد توفى، وكانت مدة غيابى عنه خمسة وثلاثين يوماً، فسألت الشيخ عن سبب وفاته، فقال: جاءنى ذات يوم، فقال: إنى قد فديتك بنفسى، فقلت له: لا تفعل هكذا فإن المتعلقين بك كثيرون وأنت رجل شاب، فقال: ما جئتك مستشيراً فى هذا الأمر بل قررته فى نفسى وصممت عليه، وجئت وقد قبل الله منى ذلك ولطالما راجعته فى ذلك ونهيته عنه فما قبل، وما زال مصراً على جوابه الأول وانصرف، قال: ففى اليوم الثانى انتقل مرض الشيخ بعينه إلى مولانا قاسم وتوفى به. وذلك يوم الاثنين لست خلت من شهر ذى الحجة سنة إحدى وتسعين وثمانمائة. وبرئ الشيخ برءًا تاماً فلم يحتج للطبيب الذى أتيت به. ولما احتضر سيدنا ومولانا -رضى الله عنه- اجتمع عنده جميع أولاده وأحفاده وأصحابه الخاصة والعامة فقال لهم: ليختار كل منكم إما الغنى وإما الفقر، فقال له الشيخ محمد رضى الله عنه: اختياري اختيارك فقال: أنا أختار الفقر، ثم التفت لخازنه، وقال له: أعطه أربعة آلاف شاهرخية ليستعين بها على مؤنة الفقراء الذين

يجتمعون عنده ويتفرغ لخدمتهم. وله أصحاب كالنجوم فى هداية الخصـــوص وبركة العموم، ومن أعظم من تلقى منه سر هذه النسبة المبجلة ابن أخته.

سيدنا الدرويش محمد رضى الله عنه

هو غوث الأولياء الأعلام، وغيث علماء الإســـلام. المشـــرق فى المغـــرب والمشرق نور بركته، والمشرف على دولة الإرشاد وإرشاد دولته. تربى فى حجر خاله ونال مزيد فضله وأفضاله، بما تضلع من العلوم الشرعية وارتضع من ثدي التربية الربية إلى أن ارتوى من الحقائق الإلهية والمعارف الغيبية، وصار بما أوحى إليه هو المعول عليه، واشتهر من بعده بالولاية العظمى، والعلم الأسمى، والقدر العلى، والفضل الجلى حتى عرف فى أيامه بالدرويش ولى. ولما حوى من الهدى ما حوى، ومال على محو الضلال كالسيل إذا أهال والنجم إذا هوى ما ضـــل صاحبه وما غوى بل جمع من الخواطر شتاتها، ووصل من العزائم بتاتها، وأحيى من النفوس أمواتها، وقدر فيها من الخير أقواتها، حتى غدا بركة زمانه، وإنســـان عين الإرشاد وعين إنسانه، وله أصحاب كثيرون كلهم هادون مهديون وأعظم من سرى إليه سر هذه النسبة المطهرة شيخ هذه السلسلة نجله.

سيدنا محمد الخواجكى الإمكنكى رضى الله عنه

خلاصة خاصة الأولياء، وراث علوم الأنبياء فهو الإمام المتفق على جلالـــة متزلته، والمرجو بركة فضله وفضل بركته. وتخرج علي حضرة والـــده، وفـــاز

بطارف مجده وتالده إلى علوم كالبحر الزاخر، ومعارف كم تركها الأول للآخر. ولم يزل فى بدايته بعين هدايته ملحوظاً، وفى ظل سلطنة تربيته محظوظاً حتى صار لمناقبه لوحاً محفوظاً لا يدع فضيلة جليلة إلا أحصاها، ولا ضيعة وضيعة إلا أقصاها، ولا مقامات عالية إلا طواها، ولا أسرار غالية إلا حواها، ولا أذواق غامضة إلا جلاها، فكان تلو والده كالشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها جلس فى دست الخلافة بعده، وبذل فى إحياء القلوب جهده. ولبس خلعة القطبانية، فلا ذرة فى العالم إلا وهو يمدها بالروحانية، فأشرق فى همته بدر هذا الطريق، وصار فريق خيره خير فريق وطار صيت إرشاده، ووفور إمداده. وبعد مداه، فهرع الناس إلى اقتباس هدى أنواره وأنوار هداه. حتى صار بابه محط رحال العارفين، وقبلة قلوب الصلحاء المتقين، ومستغاث الطالبين. عليه من هيبة الكرامات والكشف أكبر جلالة، ومن عظمة التجليات الذاتية ما يدل على سمو مقامه فى الحضرة الإلهية أكمل دلالة. والخواجكى: اسمه الكريم وهو نسبة إلى خواجه، وأبدلت هاؤه كافاً على عادة الفرس قال فى «شرح سلسلة الذهب» وفى ذلك الاسم مدح عظيم. والإمكنكى: نسبة إلى إمكنة بكسر الهمزة وسكون الميم وفتح الكاف والنون ثم هاء أبدلت كافاً كذلك قرية من قرى بخاري، وله خلفاء كاملون أولياء وأكمل من سرى إليه سر هذه النسبة العلية منهم شيخ هذه السلسلة.

الشيخ محمد الباقى رضى الله عنه وعنهم

هو العارف الفانى بالله والباقى بذاته، الراقى فى أوج الشهود إلى أوجه مقاماته، كان سراً من أسرار الله وآية من آياته. جمع بين شرفى العلوم والمعارف وجر على طرفى مجرة العلاء المطارف آتاه الله من العلمين، والتصرف فى العالمين ما يدل على سمو قدره عنده، وأنه يحشر يوم القيامة أمة وحده، وما أقصر لسانى وأصغر بنان بيانى فى ترجمة من قال فى شأنه سيدنا الإمام الربانى، مجدد الألف الثانى، ما نصه: القائم مقام المشايخ العلية، والنائب مناب الأكابر النقشبندية. الواصل إلى نهاية النهاية، البالغ أقصى درجات الولاية قطب مداد الخلائق، كاشف أسرار الحقائق. الفرد الكامل فى المحبة الذاتية. المحقق الجامع لكمالات الولاية المحمدية. مسند أهل الإرشاد والهداية، مرشد طريق درج النهاية فى البداية. زبدة العارفين، قدوة المحققين، شيخنا وملاذنا ومولانا الشيخ الأجل والعارف الأكمل محمد الباقى أبقاه الله تعالى. اهـ. ولد -قدس الله سره- فى نواحى مدينة كابل من بلاد العجم التابعة لسلطنة الهند، ونشأ بها ثم قدم الهند لأمر من الأمور الدنيوية، فأدركته جذبة من جذبات الحق قوية، فأعرض عن الدنيا وأربابها وجد فى تلقى العلوم عن سادات العصر وفضلاء كل مصر، والأخذ عن العارفين، والاستفاضة من قلوب الأولياء وروحانية المرشدين، حتى صار فى المعقول بحراً، وفى المنقول حبراً، وفى كل فضيلة فرداً، ولم يأل فى السياحة جهداً. إلى أن وصل إلى مدينة سمرقند، واتصل بحضرة الخواجكى -قدس الله سره- فتلقى منه طريق حضرة النقشبند. فرقى فى أقرب أوقاته، إلى

أعلى درجاته وكانت تربية روحانية غوث الأبرار سيدنا الشيخ عبيد الله الأحرار -قدس الله سره- وشرف فى الملأ الأعلى قدره، ثم أجاز له تربيــة المريــدين، وإرشاد المسترشدين، وأمره بالعود إلى الهند، وبشره بتربية شمس سرهند، أعــنى الإمام الربانى فرجع إليها، وتوطن مدينة دهلي جهان أبــاد فملأهــا بالإيمــان والعرفان والأسرار والأنوار والإمداد والإرشاد، وما انتشرت فى جميع الأقطــار الهندية عوارف معارف الطريقة النقشبندية إلا من أرج رياض فضله، إذ ما كانوا يعرفونها من قبله، فأقبلت إليه الأمم بما جذبهم به من علو الهمم وقوة التصرفات الإلهية والخصائص المحمدية، حتى صار كل من يقع بصره الشريف عليه أو يحضر مجلس ذكره أو يجلس بين يديه يحصل له الغيبة والفناء من أول وهلــة، وإن لم يحسب فى الظاهر أهله. وربما انكشف له عن عالم الملك والملكوت بلا مهلــة وتوفى يوم الأربعاء رابع عشري جمادي الأخرة سنة أربع عشرة وألف فى مدينة دهلى وله أربعون سنة وأربعة أشهر. وقبره الشريف بها على غربها عند أثر قدم النبى ﷺ يستغاث به، وخلفاؤه أكثر من أن تذكر. من أكملهم خلاصة الأولياء العارفين الشيخ تاج الدين العثمانى الهندي معرب «**الرشحات**» و«**النفحــات**» قدس سره، والعارف بالله تعالى الأمير حسام الدين قدس سره، وأعظم من تلقى سر هذه النسبة المطهرة منه شيخ هذه السلسلة.

الإمام الربانى الشيخ أحمد الفاروقى رضى الله عنه

وهو درة إكليل الأولياء العارفين، وغرة جبين الأصفياء الغر المحجلين. أكمل المرشدين، ومرشد الأكملين. داعى الخلق بالحق إلى الحق القطب الأوحد والعلم

المفرد، الإمام الربانى، مجدد الألف الثانى، ولقب بالفاروق لأنه نسبه ينتـــهى إلى سيدنا ومولانا أمير المؤمنين عمر الفاروق -رضى الله عنه- ولد قدس الله ســـره يوم عاشوراء سنة إحدى وسبعين وتسعمائة فى بلدة سهر ندبسين مهملة فهـــاء فراء مهملة، ونون ودال مهملة كذا أوردها حفيده الشيخ محمـــد مظهـــر فى ترجمته. وفى بعض نسخ السلسلة الشريفة سرهند بتقديم الراء على الهاء، ولعـــل الأولى هى الأولى، لأن صاحب الدار أدرى، وهى مدينة عظيمة مـــن أعمـــال اللاهور فى الهند. تلقى العلوم كلها معقولها ومنقولها عن والده، وعن غيره مـــن محققى زمانه. واشتغل بالطرق الثلاث القادرية والسهروردية والجشـــتية علـــى والده -قدس الله سرهما- حتى أذن له بالإرشاد والاستخلاف فى الطرق المنـــوه بها، وهو ابن سبعة عشر سنة، فما زال مشتغلاً بنشر العلوم والمعارف وتربيـــة السالكين وهداية المريدية وإرشاد الطالبين، وفى نفسه شغف عظيم وميل قـــوي لتحصيل نسبة الطريقة العلية النقشبندية لعلمه بفضلها على سائر الطرق وعلـــو نسبتها على كل النسب حتى اجتمع بغوث الزمان العارف بالله تعـــالى ســـيدنا الشيخ محمد الباقى -قدس الله سره- وقد كان أرسله شيخه القطب الكـــبير، والإمام الشهير سيدنا محمد الخواجكى الامكنكي -قدس الله سره- من بخاري إلى الهند فأخذ عنه الطريق النقشبندية، ولازمه ففاز بأعلى المرام فى مدة شهرين وبضعة أيام حتى شهد له شيخه -قدس الله سره- بالمرادية والمحبوبية والكمـــال والتكميل، وفوض إليه تربية مريدية، وقال قدس الله سره: اعلم أن العناية الإلهية جذبتنى جذب المرادين أولاً، ثم يسرت لى طي منازل السلوك ثانياً، فوجدت الله سبحانه أولاً عين الأشياء كما قاله أرباب التوحيد الوجودي مـــن متـــأخري

الصوفية ثم وجدت الله فى الأشياء من غير حلول ولا سريان، ثم وجدته سبحانه معها بمعية ذاتية ثم رأيته بعدها ثم قبلها، ثم رأيته سبحانه وما رأيت شيئاً؛ وهـــو المعنى بالتوحيد الشهودي المعبر عنه بالفناء وهو أول قدم توضع فى الولاية وأسبق كمال فى البداية، وهذه الرؤية فى أي مرتبة من المراتب المذكورة تحصل أولاً فى الآفاق، ثم ثانياً فى الأنفس، ثم ترقيت فى البقاء وهو ثانى قدم فى الولاية، فرأيت الأشياء ثانياً فوجدت الله تعالى عينها بل عين نفسي، ثم وجدته تعالى فى الأشياء بل فى نفسي ثم مع الأشياء بل مع نفسي، ثم قبل الأشياء بل قبل نفسي، ثم بعد الأشياء بل بعد نفسي، ثم رأيت الأشياء وما رأيت الله تعالى أصلاً؛ وهى النهاية التى هى الرجوع إلى البداية والعود إلى مرتبة العوام، وهذا المقام هو أتم مقامات دعوة الخلق إلى الحق، وأكمل منازل التكميل والإرشاد لتمام المناسبة للخلـــق المقتضية لكمال الإفادة والاستفادة. وقال قدس الله سره: لما صحبت القائم اليوم مقام المشايخ العلية، والنائب مناب الأكابر النقشبندية، الواصل إلى نهاية النهاية، البالغ أقصى درجات الولاية، قطب مدار الخلائق، كاشف أسرار الحقائق، الفرد الكامل فى المحبة الذاتية، المحقق الجامع لكمالات الولاية المحمدية، مســـند أهـــل الإرشاد والهداية، مرشد طريق درج النهاية فى البداية زبدة العـــارفين، قـــدوة المحققين، شيخنا وملاذنا ومولانا الشيخ الأجل والعارف الأكمل محمد الباقى - أبقاه الله تعالى- حصل لى ببركة توجهه الجذبة التى تشعبت بعد الاســـتهلال فى صفة القيومية، وتشرفت باندراج النهاية فى البدايـــة، ثم حصـــلت لى مراتـــب السلوك ووصلت إلى النهاية التى هي عبارة عن الوصول إلى الاسم الرب بمـــدد أسد الله الغالب كرم الله تعالى وجهه، ثم ترقيت إلى القابلية التى هى عبارة عـــن

الحقيقة المحمدية بمدد الشيخ بهاء الدين شاه نقشبند -قدس الله سره العزيز- ثم إلى مقام أجمال تلك القابلية وهو مقام الأقطاب المحمدية بمدد الروح المقدسة النبوية، وفى أثناء ذلك حصل لى مدد يسير من الشيخ علاء الدين العطار -قدس الله سره- ولما وصلت إلى ذلك المقام أعطيته خلعة القطبية من الحضرة المحمدية، ثم جذبتنى العناية الإلهية، فعرجت إلى مقام الأصل الممتزج بالظل الذى فوق مقام الأقطاب المختص بالأفراد، ثم أدركتنى العناية الصمدانية، فأوصلتنى إلى مقام الأصل الخاص، وفى هذا العروج وصل إلى من الغوث الأعظم الشيخ عبد القادر الجيلانى -قدس الله سره العزيز- مدد عظيم وتصرف قوى أوصلنى إلى مقام أصل الأصل، ثم نزلت إلى العالم المعبر عنه بالسير عن الله بالله، فمررت إذ ذاك على مقامات مشايخ السلاسل سوى النقشبنية والقادرية، فاستقبلونى بالتعظيم والإكرام، وألقوا على من نفائس نسبهم وخصائص مواجيدهم، وانكشفت لى حقائق كل منها وتفاوت درجاتها، وكان حصول العلوم اللدنية لى من روحانية الخضر على نبينا وعليه السلام قبل وصولى إلى مقام الأقطاب المذكورة سابقاً وبعد الوصول إلى ذلك المقام يأخذ الواصل العلوم من حقيقة نفسه كل ذلك بوراثته ﷺ. قال قدس الله سره: كثيراً ما كان يعرج بى فوق العرش المجيد، ولقد عرج بى مرة فلما ارتفعت فوقه بقدر ما بين مركز الأرض وبينه رأيت مقام الإمام شاه نقشبند -رضى الله عنه- ورأيت فوق ذلك قليلاً مقامات بعض المشايخ منهم الشيخ معروف الكرخى، والشيخ أبو سعيد الخراز -رضى الله عنهم- والبعض فى مقامه، وتحته الشيخ نجم الدين الكردى، والشيخ علاء الدين العطار وسائر المشايخ دونه، وفوق هذه الدرجات مقام أئمة أهل

البيت والخلفاء الراشدين، وكافة الأنبياء فوقهم على طرف من مقام نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام، ومقامات الملائكة على الطرف الآخر، ومقامه ﷺ أرفع وأعلى. واعلم أنى كلما أريد العروج يتيسر لى وربما يقع من غير ما قصد. ولقد خصه الله تعالى بفضيلة نشر العلوم الدينية والكشف عن أسرار العلوم اللدنية، وبيان مراتب الولاية والنبوة والرسالة وكمالات أولى العزم ودرجات الخلة والمحبة، وإظهار أسرار الذات والشئون الإلهية بما لم يسبق إليه إلى أذواق شريفة غالية، ومذاهب لدنية عالية لو لم يكن منها إلا رتبة تجديد الألف الثانى لكفى. وقال -قدس الله سره- روى أبو داود عنه ﷺ أنه قال: «**إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها**» لكن بين من يجدد المائة ومن يجدد الألف من الفرق كما بين المائة والألف، بل أعظم من ذلك. وقال قدس الله سره: بشرني رسول الله ﷺ بأنك من المجتهدين فى علم الكلام، ويغفر الله بشفاعتك لألوف يوم القيامة. وكتب لى خط الإرشاد بيده الشريفة، وقال: لم أكتب لأحد قبلك مثله. وقال قدس الله سره: كشفت لى خفايا المتشابهات القرآنية وأسرار المقطعات الفرقانية فوجدت تحت كل حرف منها بحراً من العلوم الدالة على الذات العلية لو أظهرت شيئاً منها لقطع منى الحلقوم. وقال قدس الله سره: أطلعنى الله على أسماء من يدخلون فى سلسلتنا من الرجال والنساء إلى يوم القيامة، وأن نسبتى هذه تبقى بواسطة أولادى إلى يوم القيامة حتى إن الإمام المهدى سيكون على هذه النسبة الشريفة. وقال قدس الله سره: كنت مرة فى حلقة الذكر مع أصحابى فخطر لى أنى فى قصور ونقص، فألقى إلى فى الحال إنى قد غفرت لك ولمن توسل بك إلى بواسطة أو بغير واسطة إلى يوم

القيامة، وقال قدس الله سره: أريت الكعبة المطهرة تطوف بى تشريفاً منه تعالى وتكريما لى، وقال: أطلعنى الله على قبور الأنبياء المبعوثين إلى أرض الهند بحيث أرى أنواراً ساطعة من قبورهم. وقال: إن الله تعالى أعطانى قوة عظيمة فى أمر الهداية بحيث لو توجهت إلى خشبة يابسة لا خضرت، وكتب إليه بعض المشايخ: إن المقامات التى تدعيها هل نالتها الصحابة أولا؟ وعلى الأول هل نالوها دفعة واحدة أو تدريجاً؟ فأرسل إليه أن الجواب موقوف على حضورك، فحضر فتوجه إليه بجمعية المقامات فترامى فى الحال على قدميه، وقال: آمنت أن جميع المقامات كانت تحصل للصحابة –رضوان الله عليهم- بمجرد نظره ﷺ. ودعاه للإفطار فى شهر رمضان عشرة من مريديه فأجابهم، فلما كان وقت الغروب حضر عند كل واحد من العشرة فى آن واحد وأفطر عندهم. ونظر مرة إلى السماء وهى تمطر فقال لها: أقلعى إلى وقت كذا فحبس المطر إلى ذلك الوقت. وأمر السلطان يوماً بقتل رجل فالتجأ إلى حضرته، وطلب منه أن يكتب له براءة من القتل، فكتب له ذلك، فلما بلغ السلطان لم يقدر أن يتعرض له هيبة منه –قدس الله سره– وقصد زيارته رجل من بلاد شاسعة فأتى سهرند ليلاً. وبات عند أحد المنكرين على الشيخ –قدس الله سره– وهو لا يشعر، فسأله عن سبب شخوصه إلى سهرند، فقال له: جئت لزيارة الشيخ فجعل يطعن فيه، فلما رأى الرجل ذلك خاف وصار يستغيث به –قدس الله سره– ويقول فى سره: يا سيدي إنى جئت لطلب الحق وهذا يصدنى عنه ثم نام، فلما كان وقت الفجر إذا بصاحب البيت قد مات ليلاً، فأسرع الرجل إلى الشيخ وأراد أن يعرض عليه الخبر فنظر إليه وتبسم، وقال: ما مضى فى الليل لا يذكر فى النهار. وأتاه بمجذوم

يطلب منه الدعاء فدعا له فشفى فى الحال. وقال نجله الأكبر خازن الرحمة سيدنا الشيخ محمد سعيد قدس سره: كثيراً ما كان يخبرني الشيخ نفعنا الله به بــالأمر خيراً كان أو شراً قبل وقوعه فيقع كما يقول بلا تفاوت أصلاً. وقال الشــيخ رضى الله عنه: جاءتنى روحانية أمير المؤمنين على -كرم الله وجهه- فقالت: إنى بعثت إليك لأعلمك علم السموات. واجتمعت بروحانية الإمــام الأعظــم أبى حنيفة وأساتذته، وتلامذته والإمام الشافعى وأســاتذته فأمــدونى بإمــدادهم، وأفاضوا على من بركاتهم حتى استغرقت فى أنوارهم، وربتنى روحانية حضرات السادات النقشبندية والقادرية والجشتية والسهروردية، فتحليت بنسبتهم الخاصة حتى صرت لو أردت أن أربى السالكين بنسبة كل واحد منهم لفعلت. وقــال قدس الله سره: اعلم يا أخى أن الذى لابد منه، وكلفنا الله به امتثال الأوامــر واجتناب النواهى لقوله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْــهُ فَانتَهُوا**﴾ [الحشر: ٧]، وإذ كنا مأمورين بالإخلاص فى ذلك، ولا يتصور بدون الفناء وبغير المحبة الذاتية وجب علينا أيضاً سلوك طريق الصوفية الموصلة للفنــاء والمحبة الذاتية حتى تتحقق حقيقة الإخلاص، ولما كانت طرق الصوفية متفاوتــة بالكمال والتكميل كان كل طريق تلتزم فيه متابعة السنة السنية وأداء الأحكام أولى وأنسب بالاختيار، وذلك الطريق هو طريق السادة النقشبندية -قــدس الله أسرارهم- العلية فإن هؤلاء الأكابر التزموا فى هذه الطريقــة متابعــة الســنة واجتناب البدعة لا يجوزون العمل بالرخصة، ولو وجدوا ظاهراً أن له نفعــاً فى الباطن ولا يتركون الأخذ بالعزيمة، ولو علموا صورة أنه مضر بالسيرة ويجعلون الأحوال والمواجيد تابعة للأحكام الشرعية والأذواق والمعارف خادمة للعلــوم

الدينية، ولا يستبدلون الجواهر النفيسة الشرعية مثل الأطفال بجوز الوجد وزبيب الحال. هذا حالهم على الدوام ووقتهم. محيت نقوش السوى من بواطنهم بحيث لو تكلفوا ألف سنة أن يتذكروها لا يتيسر لهم ذلك التجلى الذاتى الذى هو لغيرهم كالبرق دائم لهم والحضور الذى يعقبه غيبة لا اعتبار له عند هؤلاء الأعزة **﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾** [النور: ٣٧]، ومع ذلك فطريقهم أقرب الطرق قطعاً وموصلة البتة نهاية غيرهم مندرجة فى بداية هؤلاء الأكابر، ونسبتهم المنسوبة إلى الصديق الأكبر -رضى الله عنه- فوق نسب جميع المشايخ لا يصل إلى ذوق هذه السادة فهم كل أحد.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وأى مناسبة بين أخص الخواص وبين كل زراق ورقاص، ولو ملئت الدفاتر فى بيان خصائص أولئك الصفوة وكمالاتها لكان كقطرة من بحر لا نهاية له.

يقول قدس الله سره: اعلم أن مشايخ الطريقة النقشبندية -قدس الله أسرارهم- اختاروا السير فى الابتداء من عالم الأمر، ويقطعون فى ضمنه عالم الخلق، بخلاف مشايخ سائر الطرق فإن ابتداء سيرهم من عالم الخلق، ثم بعد طي عالم الخلق يضعون القدم فى عالم الأمر ويصلون إلى الجذبة؛ فلهذا صارت الطريقة النقشبندية أقرب الطرق فلا جرم نهاية الغير مندرجة فى بدايتهم. وقال قدس الله سره: إنما اختار أكابر هذه الطريقة السير من عالم الأمر ابتداء، ورأوا أن ذلك أنسب وأولى لأن الترقى إنما يكون من الأدنى إلى الأعلى لا العكس، وعالم الأمر أدنى وعالم الخلق أعلى، ماذا أفعل؟ هكذا مراد الواحد الصمد، ما كشفوا سر هذه المعمى لأحد، نظروا فى سائر الطرق إلى الصورة، فرأوا عالم الخلق أدنى

فشرعوا فى الارتقاء من الأدنى الصورى، إلى الأعلى الصوري، وما عرفوا أن حقيقة الأمر بخلاف ذلك، فإن الأدنى فى الحقيقة أعلى والأعلى أدنى، فإن النقطة الأخيرة التى هى عالم الخلق أقرب إلى النقطة الأولى التى هى أصل الأصول وما تيسير هذا القرب لنقطة أخرى غيرها. وقال قدس الله سره: الولاية عبارة عن الفناء والبقاء؛ وهى إما عامة وإما خاصة نعنى بالعامة مطلق الولاية، وبالخاصة الولاية المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية والفناء فيها أتم والبقاء بها أكمل، ومن شرف بهذه النعمة العظمى فقد لان جلده للطاعة وانشرح صدره للإسلام واطمأنت نفسه عن مولاها ورضى مولاها، عنها وسلم قلبه لمقلبه وتخلصت إلى مكاشفة حضرة صفة اللاهوت وشاهدها سره مع ملاحظة الشئون والاعتبارات، وفى هذا المقام يتشرف بالتجليات الذاتية البرقية ويتحير خفيه بكمال التنزه والتقدس والكبرياء، ويتصل إخفاء اتصالاً بلا كيف ولا ضرب من المثال. وقال قدس الله سره: المانع من سرعة تأثر بعض سالكى هذه الطريقة العلية ووجدانهم اللذة والحلاوة التى هى مقدمة الجذبة مع أن ابتداء سيرهم من عالم الأمر هو أن عالم الأمر فيهم ضعيف بالنسبة إلى عالم الخلق الذى فيهم ولا يزال هذا الضعف فيهم حتى يقوى عالم الأمر فيهم، على عالم الخلق، والذى يناسب لعلاج هذا الضعف فى هذه الطريقة العلية التصرف التام من المرشد الكامل، وفى سائر الطرق تقديم تزكية النفس والمجاهدات والرياضات الشاقة الموافقة للشريعة المحمدية على صاحبها الصلاة والتحية. وقال قدس الله سره: اعلم أن أصل كل بلاء إنما يكون من الابتلاء بالنفس، ومتى تخلص الإنسان منها تخلص من الابتلاء بما سواه تعالى فإن كان يعبد الأصنام فإنما يعبد نفسه

في الحقيقة: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: ٤٣]، خل نفسك وتعال، وكما أن الخروج عن النفس والمرور عنها فرض كذلك الدخول إليها والغرص فيها لازم، فإن الوجد إنما يكون فيها ولا يكون في الخارج عنها السير الأفـــاقي بعد في بعد والسير الأنفسي قرب في قرب، فإن كان هناك شهود ففي النفس أو معرفة فكذلك أو حيرة فكذلك، وليس في خارج النفس موضع قــدم فخـــالي الذهن يفهم الحلول والاتحاد من هنا ويقع في ورطة الضلال إذ الحلول والاتحاد كفر والخوض في هذا المقام بالفكر قبل التحقق ذوقاً حرام. وقال قدس الله سره: اعلم أن مراتب الكمال متفاوتة بحسب تفاوت الاستعداد والتفاوت في الكمال قد يكون بحسب الكمية وقد يكون بحسب الكيفية، وقد يكون بهما معاً فكمال البعض مثلا بالتجلي الذاتي وكمال الآخر بالتجلي الصفاتي مع تفاوت بين جدا بين هذين التجليين وبين أربابهما، وكمال البعض بسلامة القلب وتخلص الروح وكمال الآخر بهما وبالشهود السرى أيضاً، وكمال الثالث بهذه الثلاثة وبالحيرة المنسوبة إلى الخفي، وكمال الرابع بهذه الأربعة وبالاتصال المنسوب إلى الأخفى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وبعد حصول الكمال في أي مرتبة كانت مـــن المراتب المذكورة فإما رجوع قهقري أو ثبات واســـتقرار في ذلـــك المـــوطن، فالأول: هو مقام التكميل والإرشاد ورجوع من الحق إلى الخلق للدعوة، والثاني هو موطن الاستهلاك والعزلة عن الخلق، وقال قدس الله سره: اعلم أن فـــيض الحق تعالى على الدوام للخواص والعوام سواء كان من قسم الأموال والأولاد أو من جنس الهداية والإرشاد من غير تفاوت، وإنما نشأ التفاوت من القبول وعدمه وما ظلمهم الله، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، فالشمس تشرق على الثـــوب،

وعلى القصار إشراقاً واحداً فيسود وجه القصار ويبيض الثوب، وعدم القبول لهذا بسبب الإعراض عن جناب الحق تعالى، فإن المقبل يقبل عليه كما قال ﷺ في الحديث القدسي: «**من تقرب إلى شبراً تقربت منه ذراعاً**»، والمعرض يعرض عنه كما قال ﷺ «**فاعرض فأعرض الله عنه جزاء وفاقاً**» قال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ [البقرة: ١٥٢] ﴿**نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ**﴾ [التوبة: ٦٧] وفي الحديث: «**إنما هي أعمالكم أحصيها لكم من غير زيادة ولا نقصان كما تدين تدان، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**»، وقال قدس الله سره: إن إزالة المرض القلبي في هذه الفرصة اليسيرة بالذكر الكثير من أهم المهمات، وعلاج العلة المعنوية في هذه المهلة القليلة من أعظم المقاصد، والقلب المبتلى بالغير لا يرجى منه خير، لا يقبلون هناك إلا سلامة القلب وخلاص الروح، ونحن هنا دائماً في تحصيل أسباب ابتلائهما هيهات هيهات، وما ظلمهم الله، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. وقال قدس الله سره: اعلم أن الولاية عبارة عن الفناء والبقاء والخوارق من لوازمها، ولكن ما كل من كانت خوارقه أكثر تكون ولايته أتم وأكمل، بل تكون خوارقه أقل وولايته أتم وأكمل، ومدار كثرة الخوارق على شيئين وهما: أن يكون الصعود في وقت العروج أكثر والهبوط في وقت النزول أقل بل الأصل العظيم في كثرة ظهور الخوارق هو قلة النزول كيف ما كان العروج لأن صاحب النزول ينزل إلى عالم الأسباب، فيجد الأشياء مربوطة بها ويرى فعل المسبب من ورائها والذى لم ينزل، ولكنه لم يصل إلى الأسباب فنظره مقصور على مسبب الأسباب والأسباب قد ارتفعت عن نظره، والحق سبحانه يعامل كل أحد على

حسب ظنه فيقضى أمر من يري الأسباب بها ويقضى أمر من لا يري الأسباب بدونها، قال تعالى فى الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بى»، ولطالما كان يخطر ببالي أنه ما السبب فى كون الخوارق التى ظهرت على يد الشيخ عبد القادر رضى الله عنه لم تظهر على يد كثير من كمل الأولياء السابقين؟! حتى أطلعنى الله تعالى على سر ذلك، وهو أنه كان عروجه أعلى من أكثر الأولياء وفى جانب النزول كان نزوله إلى مقام الروح الذى هو فوق عالم الأسباب، ومما يناسب هذا المقام ما حكى أن الحسن البصري -رضى الله عنه- كان واقفاً على شاطئ النهر ينتظر السفينة فجاء حبيب العجمي -رضى الله عنه- فوجده واقفاً، فقال له: ماذا تنظر؟ قال السفينة فقال له وأي حاجة إلى السفينة أما لك يقين؟ فقال الحسن: أما لك علم ثم مشى حبيب على الماء وبقى الحسن حتى ركب فى السفينة، فلما كان الحسن نازلاً إلى عالم الأسباب عاملوه بها وحبيب لم ينزل فعاملوه بدونها، والفضل للحسن، فإنه صاحب علم جمع بين علم اليقين وعين اليقين وعرف الأشياء كما هى، وفى نفس الأمر جعلت القدرة مستورة خلف الحكمة، وحبيب العجمى صاحب سكر وله يقين بالفاعل الحقيقة من غير أن يرى للأسباب مدخلاً، وهذه الرؤية غير مطابقة لما فى الواقع فإن توسط الأسباب كائن وحاصل، وأما شأن التكميل والإرشاد فهو بعكس طريق ظهور الخوارق فإنه فى مقام الإرشاد كلما كان نزوله أكثر كان فى الإرشاد أكمل لأنه لابد من حصول المناسبة بين المرشد والمسترشد وذلك منوط بالنزول. واعلم أنه كلما كان الصعود أعلى يكون الهبوط أنزل، فلهذا لما كان ترقى نبينا ﷺ أعلى وأرقى من ترقى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان نزوله أقوى من

الجميع فكانت دعوته أتم ولذلك أرسل إلى كافة الأنام، فإنه بسبب نهاية النزول حصل المناسبة بالجميع فصار طريق الإفادة فيه أتم، وربما تحصل الإفادة من المتوسطين فى هذا الطريق أكثر من المنتهيين الذين ما رجعوا لأن مناسبة المتوسط للمبتدي أكثر من ذاك، فمدار كثرة الإفادة وقلتها على الهبوط والرجوع لأعلى الانتهاء وعدمه، وههنا دقيقة وهى: كما أنه ليس من شرط الولاية علم الولى بنفس ولايته كما هو المشهور، كذلك ليس من شرطها علمه بخوارقه فربما ينقل الناس عنه خوارق شتى وهو لا علم له بها، وكان شيخنا قدس سره يقول: والعجب أن الناس يأتون إلى من الأكناف والأطراف، فبعضهم يقول: رأيناك فى مكة، وبعضهم يقول: رأيناك فى بغداد فيظهرون الصحبة والمعرفة، والحال أنى ما خرجت من بيتى فما هذا الافتراء، وقال قدس الله سره: ورد فى الحديث الشريف «**العلماء ورثة الأنبياء**»، فالعلم الذى بقى عن الأنبياء، نوعان: علم الأحكام، وعلم الأسرار والوارث هو الذى يكون له من كلا النوعين نصيب والذى يكون له نصيب، من نوع واحد فليس بوارث إذ الوارث له نصيب من جميع أنواع تركة المورث لا من بعض دون بعض، والذي له نصيب من نوع واحد داخل فى الغرماء الذين تعلق نصيبهم بجنس حقهم. وكذلك ورد فى الحديث: «**علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل**»، فالمراد من العلماء العلماء الوارثون لا الغرماء الذين أخذوا نصيباً من بعض التركة، فإن الوارث بواسطة القرب والجنسية يقال إنه مثل المورث، بخلاف الغريم فإنه خال عن هذه العلاقة، فالذى لا يكون وارثاً لا يكون عالماً إلا أن نخص علمه بنوع واحد فتقول عالم بعلم الأحكام، والعالم المطلق هو الذي يكون وارثاً ويكون له من كلا نوعي العلم

نصيب وافر، وأكثر الناس يظنون أن علم الأسرار عبارة عن علم توحيد الوجود وشهود الوحدة فى الكثرة ومشاهدة الكثرة فى الوحدة وكناية عن معارف الإحاطة وسريان الوجود والقرب، ومعيته تعالى على النهج المكشوف والمشهود لأرباب الأحوال، حاشا وكلا أن تكون هذه العلوم والمعارف من علم الأسرار وتليق بمرتبة النبوة، فإن مبنى هذه المعارف سكر الوقت وغلبة الحال المنافى للحضور، علم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام سواء كان علم الأحكام أم علم الأسرار كله صحو فى صحو ما مازجه شمة من السكر، بل إنما هذه المعارف أسرار الولاية للذين لهم قدم راسخ فى السكر لا من أسرار النبوة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإن كان لهم أيضاً ولاية ولكن أحكامها مغلوبة ومضمحلة فى جنب أحكام النبوة، وقال قدس الله سره: اعلم أن كل مسئلة يكون فيها خلاف بين العلماء والصوفية إذا تأملت ودققت النظر تجد الحق مع العلماء، وسر ذلك أن نظر العلماء بواسطة متابعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نافذ إلى كمالات النبوة وعلومها، ونظر الصوفية مقصور على كمالات الولاية ومعارفها، فتكون العلوم المأخوذة عن مشكاة النبوة أصوب قطعاً من العلوم المأخوذة عن رتبة الولاية. وقال قدس الله سره: اعلم أن السماع والوجد ينفع جماعة متصفين بتقلب الأحوال ومتسمين بتبدل الأوقات فوقتاً حاضرون ووقتاً غائبون ووقتاً فاقدون ووقتاً واجدون وهم أرباب القلوب فى مقام التجليات الصفاتية ينتقلون من صفة إلى صفة ويتحولون من اسم إلى اسم وتلون الأحوال نقد وقتهم وتشتت الآمال حاصل مقامهم يستحيل فى حقهم دوام الحال، ويمتنع استمرار الوقت فزماناً فى قبض وحينا فى بسط فهم أبناء الوقت والمغلوبون

وأرباب الأحوال والمقهرون فتارة يعرجون وأخرى يهبطـون، وأمـا أربـاب التجليات الذاتية الذين خلصوا من مقام القلب بالكليـة ووصـلوا إلى مقلبـه وحرروا عن رق الحال إلى محوله، فلا يحتاجون إلى السماع والوجد فإن وقتهم دائمى وحالهم سرمدي بل لا وقت لهم ولا حال فهم آباء الأوقات، وأربـاب التمكين وهم الواصلون الذين لا رجوع لهم أصلا، ولا فقد لهم قطعاً فمـن لا فقد له لاوجد له وقال قدس الله سره: أيها الأخ رأس هـذه الطريقـة العليـة ورئيس هذه السلسلة السنية الصديق الأكبر الذي هو بعيد النبيين أفضل البشر - رضى الله عنه- وبهذا الاعتبار قال أكابر هذه الطريق: إن نسبتنا فـوق جميـع النسب إذ نسبتهم عبارة عن الحضور الخاص ونسبتهم وحضورهم نسبة الصديق وحضوره الذي هو فوق جميع النسب والحضورات، ومن خصائص هذه الطريقة العلية اندراج نهايتها فى بدايتها. قال الشيخ النقشبند قدس الله سره العزيز: نحن أدرجنا النهاية فى البداية قال: قيل إذا كانت نهاية غيرهم مندرجة فى بدايتهم فإذا تكون نهايتهم، وأيضاً إذا كانت نهاية غيرهم الوصول إلى الحق فإلى أين يكـون سيرهم عن الحق؟ ليس وراء عبادان قرية، فالجواب: أن نهاية هذه الطائفة العلية أن تيسر هي الوصل العريان الذى علامة حصوله اليأس عن حصول المطلـوب. فافهم، فإن كلامنا إشارة لا يدركها إلا الأقل من الخواص بل أخص الخـواص وإنما ذكرت علامة هذه السعادة العظمى، لأن جماعة من هذه الطائفة تكلموا فى نهاية هذا الطريق وتخيلوا أنها هى الوصل العريان وجماعة أخرى ظنوا أنها هـى اليأس من حصول المطلوب، وإذا عرض عليهما جميعها كادوا يعدون ذلك من جمع الضدين، وأنه محال، فالذين يدعون الوصل يقولون: اليأس حرمان والذين

يدعون اليأس. يقولون: الوصل عين الفصل وكل ذلك من علامة عدم الوصول إلى تلك المترلة العليا، غاية ما فى الباب أن بارقة من ذلك المقام العالى برقت على بواطنهم فجماعة تخيلوها الوصل وأخرى اليأس، وهذا التفاوت من تفاوت استعداداتهم فيناسب استعداد طائفة الوصل ويوافق استعداد طائفة اليأس، وعند الحقير أن استعداد اليأس أحسن من استعداد الوصل، وإن كان الوصل واليأس هنا متلازمان وفهم من هذا جواب الاعتراض الثانى: أن الوصل المطلق أمر والوصل العريان أمر وشتان ما بينهما، ونعنى بالوصل العريان رفع الحجب كلها ولما كان أعظم الحجب وأقواها التجليات المتنوعة والظهورات المختلفات، فلابد أن تنقضى تلك التجليات والظهورات بتمامها سواء كان التجلى والظهور فى المرايا الإمكانية أو المجالى الوجوبية، فإنهما فى نفس الحجب سواء وإن كان بينهما تفاوت فى الشرف والرتبة، فذلك أمر آخر خارج عن نظر الطالب. فإن قيل: يلزم من هذا البيان أن يكون للتجليات نهاية، والحال أن مشايخ الطريقة صرحوا بأن التجليات لا نهاية لها، فالجواب: أن التجليات لا نهاية لها على تقدير وقوع السير إلى الأسماء والصفات على سبيل التفصيل، فعلى هذا التقدير لا يتيسر الوصول إلى حضرة الذات، ولا يحصل الوصل العريان والوصول إليها موقوف على طي الأسماء والصفات على سبيل الإجمال، فيكون حينئذ للتجليات نهاية، فإن قيل التجليات الذاتية أيضاً قد قيل بأنها لا نهاية لها، فكيف يصح لكم أن تقولوا بأنه لها نهاية؟ فالجواب: أن التجليات الذاتية لا تكون بدون ملاحظة الشئون والاعتبارات؛ إذ التجلى بدون هذه الملاحظة لا يمكن، والذي نحن فى صدد بيانه أمر وراء التجليات صفاتية أو ذاتية إذ لا يجوز إطلاق التجلى فى ذلك

الموطن أي تجل كان لأن التجلي عبارة عن ظهور الشيء في المرتبـــة الثانيـــة أو الثالثة أو الرابعة إلى ما شاء الله، وهنا سقطت المراتب بالكلية وطويت المســـافة بالتمام. فإن قيل: إن تلك التجليات بأى اعتبار تكون ذاتيـــة؟ فـــالجواب: أن التجليات إن كانت مع ملاحظة معان زائدة على الذات فصفاتية أو مع ملاحظة معان غير زائدة على الذات فذاتية، ولهذا قالوا: إن ظهور الوحدة الـــذى هـــو التعين الأول، وليس بزائد على الذات تجل ذاتى ومطلبنا حضرة الذات الـــتى لا محل لملاحظة المعانى معها أصلاً سواء كانت زائدة أو لا إذ المعانى قد طويـــت على طريق الإجمال وتيسر الوصول إلى الذات، وينبغى أن يعلم أن الوصـــل فى ذلك الموطن مثل المطلوب بلا كيف، ولا كيفية أيضاً ليس الوصل المتعـــارف، فإنه لا يليق بذلك الجناب المقدس تعالى وتقدس، ولا سبيل لذى الكيـــف إلى اللاكيف لا يحمل عطايا الملك إلا مطاياه، وما تكلم أحد من مشـــايخ هـــذه الطريقة على نهايتها بل تكلموا على بدايتها. وقالوا: إن نهايتـــها مندرجـــة فى بدايتها فإذا كانت بدايتها ممتزجة بالنهاية، فينبغى أن تكون النهاية مناسبة لتلك البداية وهو الذى امتاز هذا الفقير بإظهاره، فلله سبحانه الحمد والمنة على ذلك. أيها الأخ: الواصلون إلى هذه النهاية من هذا الطريق، ومن سائر الطـــرق أقـــل قليل يكاد إذا عدت أفرادهم أن يستبعده الأقربون فضلاً عن استبعاد الأبعـــدين وإنكارهم. وحصول هذا الكمال ووصول نهاية النهاية إنما كان ببركة اتباعـــه عليه الصلاة والسلام. وقال قدس الله سره فى بيان الفرق بين قرب الصـــحابة والأولياء ومنشأ كل منهما: اعلموا أن القرب المنوط بالفناء والبقاء وبالســـلوك والجذبة هو قرب الولاية الذى تشرف به أولياء هذه الأمة، والقرب الذى تيسر

للصحابة الكرام فى صحبته عليه الصلاة والسلام قرب النبوة الذي حصل لهم بالتبعية والوراثة، وليس فى هذا القرب فناء ولا بقاء ولا جذبة ولا سلوك، وهذا أعلى وأفضل من قرب الولاية بمراتب، فإن هذا القرب قرب أصل وذلك قرب ظل وشتان بينهما، ولكن لا يصل فهم كل أحد إلى ذوق هذه المعرفة، وربما شارك الخواص العوام فى فهمها، نعم إن وقع السير والعروج إلى ذروة كمالات قرب النبوة من طريق قرب الولاية، فلابد من الفناء والبقاء والجذبة والسلوك، فإن هذه مقدمات ذلك القرب ومباديه، وإلا بأن وقع من جادة قرب النبوة فلا يحتاج فيها إلى المقدمات المذكورة، والصحابة الكرام ساروا من جادة قرب النبوة الذي لا تعلق له بتلك المقدمات. وهذا الفقير كتب فى رسائله أن معاملتى وراء السلوك والجذبة ووراء التجليات والظهورات، فالمراد منه هذا القرب، والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق. وقال قدس الله سره: اعلم أن المعارف التى تناسب مقام الولاية شطحات المشايخ وعلوم تخبر عن التوحيد والاتحاد وتنبئ عن الإحاطة والسريان، وتشير إلى القرب والمعية، وتشعر بالظلية والمرآتية، وتثبت الشهود والمشاهدة وبالجملة، فمعارف الأولياء (الفصوص، والفتوحات المكية) ومعارف الأنبياء الكتاب والسنة، ولاية الأولياء تخبر عن قرب الحق تعالى وولاية الأنبياء تخبر عن أقربيته تعالى، ولاية الأولياء تدل على الشهود وولاية الأنبياء تثبت نسبة مجهولة الكيف، ولاية الأولياء لا تعرف الأقربية ولا الجهالة ما هى وولاية الأنبياء مع وجود الأقربية إلا تعرف القرب عين البعد والشهود نفس الغيبة، وقال قدس الله سره: اعلم أن الشريعة والحقيقة متحدان فى الحقيقة لا تغاير

بينهما ولا فرق إلا بالإجمال والتفصيل، فالشريعة إجمال والحقيقة تفصيل، وبالاستدلال والكشف فالشريعة استدلال والحقيقة كشف، وبالغيب والشهادة فالشريعة غيب والحقيقة شهادة، وبالتعمل وعدمه فالشريعة تعمل وتكلف والحقيقة لا تعمل فيها ولا تكلف، فالأحكام والعلوم التى تثبتت وتبينت بموجب الشريعة الغراء هى التى تتبين بعينها بعد التحقق بحقيقة حق اليقين، وتنكشف بالتفصيل وتظهر من الغيب إلى الشهادة ويرتفع تمحل العمل من البين، وعلامة الوصول إلى حقيقة حق اليقين مطابقة علومه ومعارفه لعلوم الشريعة ومعارفها، وما دامت المخالفة موجودة ولو بأدنى شعرة فذلك دليل على عدم الوصول، وكل خلاف وقع من كافة مشايخ الطرق للشريعة فهو مبنى على سكر الوقت، وهو لا يكون إلا فى أثناء الطريق، والمنتهون إلى نهاية النهاية كلهم فى الصحو، والوقت مغلوب لهم والحال والمقام تابع لكمالهم، فتحقق أن مخالفة الشريعة علامة على عدم الوصول إلى الحقيقة. وما وقع فى عبارات بعض المشايخ من أن الشريعة قشر والحقيقة لب؛ فهذا الكلام وإن كان مشعراً بعدم استقامة قائله، ولكن يمكن أن يكون مراده أن المجمل بالنسبة إلى المفصل حكمه حكم القشر بالنسبة إلى اللب، وأن الاستدلال بالنسبة إلى الكشف كالقشر بالنسبة إلى اللب، وأما الأكابر أولو الأحوال المستقيمة، فإنهم لا يجوزون الإتيان بمثل هذه العبارات الموهمة ولا يفرقون بينهما إلا بما ذكرنا. سئل الشيخ النقشبند قدس الله سره: ما المقصود من السير والسلوك؟ فقال: أن تصير المعرفة الإجمالية تفصيلية والاستدلالى كشفيا رزقنا الله سبحانه الثبات والاستقامة على الشريعة علماً وعملاً. اهـ. وتآليفه الحافلة كافلة لنشر عوارف معارفه والبرهنة على عظمة

مواهب مشار به أجلها «مكتوباته القدسية»، وهى تحتوى على مجلدين ضخمين باللغة الفارسية، وتقدمت الإشارة إليها، و«الرسالة التهليلية»، و«رسالة إثبات النبوة»، و«رسالة المبدأ والمعاد» و«المكاشفات الغيبية»، و«آداب المريدين»، و«المعارف اللدنية» بين فيها أحواله ومقاماته الخاصة، و«رسالة فى الرد على الشيعة»، و«تعليقات على عوارف المعارف»، و«شرح الرباعيات لعبد الباقى»، وغيرها. فمن له لوعة على عزة المطلوب، فليرجع إليها فإنه يجد فيها ما تسجد له القلوب. توفى -رضى الله عنه- سابع عشر صفر الخير سنة أربع وثلاثين وألف وسنة ثلاث وستون، ودفن فى مدينة سهرند، وله خلفاء كثيرون كاملون، وأكمل من سرى إليه سر هذه النسبة المحمدية.

سيدنا الشيخ محمد المعصوم قدس الله سره

هو العروة الوثقى، والقدوة الأتقى. الجامع بين الشريعة والحقيقة، والفارق بين الضلالة والهداية. والمرشد كل المرشد الوارث بالفرض والرد، مجدد المجدد ولد -قدس الله سره- سنة سبع وألف وارتضع ثدى العرقان من والده المرفع الشأن حتى تضلع من علوم الخواص وخواص العلوم ما أوجب نفعه عموم الإخلاص وإخلاص العموم، ثم جلس من بعد المجدد -قدس الله سره- فى دست الإرشاد وإمداد العباد وكان سنه حالتئذ ستة وعشرين سنة فطار صيت فضله كل مطار، وانهلت بركاته على الأقطار كالأمطار، فحجت الأرواح إلى حرم قدسه الأحمى ولبت الألباب دعوة توجهه الأسماء، ووقفت النفوس على عرفات عرفانه آمنة بالإحرام عن السوى من حرمانه، وحلت برمى جمرة عقبة الأغيار

فى مبى إحسانه. مستفيضة بطواف كعبته من فيض امتنانه. كان الشيخ -رضى الله عنه- ولياً منذ الولادة: فإنه لم يقبل الثدى فى رمضان، وتكلم بالتوحيد وهو ابن ثلاث سنين فصار يقول: أنا الأرض أنا السماء أنا كذا أنا كذا هذا الجدار حق هذه الأشجار حق، وحفظ القرآن فى ثلاثة أشهر، واشتغل بتحصيل العلم والطريق فبلغ فيهما درجات الكمال وسنة سبعة عشر سنة، فتصدر للإرشـــاد والإفادة مع كمال الاستقامة ونماية الورع، والتقوى والتمسك بالسنة المطهـــرة والأخذ بناصية العزيمة واجتناب سبل البدع، ووجود الرخص، وشهد له والده -رضى الله عنهما- فى صغره بعلو الاستعداد، وقال: كان قدوم محمد معصـــوم كثير البركة فاني تشرفت بعد ولادته بخدمة شيخى يعنى سيدنا محمد البـــاقى -قدس الله سره- فنلت هذه العلوم والمعارف، وإنه من المحبوبين ومستعد للولاية المحمدية وقال: حال محمد المعصوم فى تحصيل نسبتى كحال شارح الوقاية ألفها جده سبقاً بقاً وهو فى ميدان حفظها يجرى طلقاً طلقاً. وقال يوماً لوالده -قدس الله-سرهما: إنى أرى نفسى نوراً سارياً فى كل ذرة من ذرات العـــالم، والعـــالم يتنور به كالشمس، فقال: يا ولدى أنت تصير قطب وقتك فاحفظ ذلك عنى. وقال له يوماً: إن فيك نصيباً من الأصالة، وقد اندمج فى جبلتك بقية من طينة الحبيب الأعظم ﷺ فهذه المحبوبية الذاتية من آثارها. وقال رضى الله عنه: أجـــد نفسى وهذا الولد من زمرة السابقين الذين قال تعالى فيهم: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْـــأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة، ١٢: ١٣]، وقال رضى الله عنـــه: إن خلعـــة القيومية التى كانت على لقد أفرغت على محمد المعصوم. وقال له: يا ولدي إن علاقتى وارتباطي بهذا الجمع يعنى به العالم كان بسبب القيومية، وقد أعطيتـــها

فتوجه إليك المكونات بالشوق التام وقربت رحلتى. اهـ. وقال قدس الله سره: العارف الكامل المشرف بالبقاء الذاتى يشاهد جماله فى مرايا العالم، ويري نفسه كلاً وإجمالاً والعالم مظاهره وتفصيله ويعاين ذاته سارياً فى أفراد العالم محيطاً به إحاطة الكل فى أجزائه. وقال قدس الله سره: القيوم فى هذا العالم خليفة الله تعالى ونائب منابه، والأقطاب والأوتاد والأبدال والأفراد مندرجون تحت ظلاله، وأفراد العالم كلها متوجهة إليه وهو قبلة توجههم علموا ذلك أولاً بل قيام العالم بذاته الشريفة لأن أفراد العالم مظاهر الأسماء والصفات وكلها أعراض وأوصاف ولابد للعرض والوصف من جوهر وذات يقوم به وسنة الله جارية بإعطاء العارف التام المعرفة بعد قرون متطاولة نصيباً من ذاته المقدسة يعنى من تصرفات الذات، قلت: مراده والله أعلم بالقيوم ما هو مرادف للإنسان الكامل فإنه أعم من القطب بمعنى الغوث، أو مراده به هو بمعنى القطب كما يفهم من قول والده فى مبشراته له أنت تصير قطب وقتك وعليه فيكون المراد بالقطب فى قوله والأقطاب.... إلخ ما عليه مدار أى شيء كان كقولهم قطب الزهد وقطب الورع، أو هو إصطلاح له فى معنى القيومية. وسيدنا الشيخ الأكبر -رضى الله عنه- فى الجزء الثانى من الفتوحات المكية فى بيان القيومية ما يخالف هذا، فانظره فإنه لا نظير له. ومنها: ما ناقله صاحب كنز الهدايات فى الهداية الخامسة عنه أنه قال رضى الله عنه: الوجود مع كمالاته التابعة له مخصوص بالواجب تعالى ومستعار للممكن والذاتى للممكن هو العدم، وما فيه من الظهور فبواسطة انعكاس الكمالات فيه، وبهذا تميز عن سائر الأعدام، فالممكن بهذا الطور اللاوجودي تصور نفسه كاملاً، ومبدأ للخيرات وادعى الاشتراك والاستقلال،

وأقبل عليه وأعرض عن أصله، فإذا أراد الحق سبحانه بالسالك المستعد فضلاً منه أن يخصه بتقريبه إليه تعالى يعطيه هذه المعرفة حتى يعرض السالك عن نفسه ويقبل على ذلك الجناب الأقدس ويحيل الكمالات المستعارة على الأصل ويتخلص من الشرك الخفى ودعوى الاستقلال. وقال قدس الله سره: ينبغى أن يعلم أن الأقدام فى فناء النفس متفاوتة تفاوتاً كلياً، وقلما يوجد صاحب دولة يصل إلى حقيقة ذلك، وإن كان أكثر أهل السلوك يتوهمون، ويتعقلون هذا المعنى ويغوصون فى بحاره عند المراقبة، فيستخرجون منها درراً ويستكثرون عند غلبة الشوق والمحبة قليل التخلص والنجاة. الحاصل لهم ذلك بطريق اندراج النهاية فى البداية وبانعكاس أشعة أنوار الشيخ الكامل، وأما من تحقق بكمال هذا التخلص على قدر الطاقة البشرية فإنه قليل، وما لم يصل السالك إلى حقيقة ذلك التخلص لا تحصل له النجاة الكاملة من إثبات ألوهية نفسه فإنه يثبت ألوهية نفسه بتكرار كلمة التوحيد، وهذا جاءه من جهة إثبات صفة الكمال، إما لنفسه ولو أحيانا نادراً، وإما لبعض اللطائف دون بعض أو مما يقرب من الإثبات. وسئل قدس الله سره: هل يتعرض الشطيان لسالكي هذه الطريق، أو لا؟ فقال: قال الشيخ عبد الخالق الغجدوانى رضى الله عنه: إن لم يصل السالك إلى حد فناء النفس يجد الشيطان إليه سبيلاً عند الغضب، وأما السالك الواصل إلى فناء النفس فلا يكون له غضب بل غيرة وعند الغيرة يفر الشيطان. وقال - قدس الله سره- فى تحقيق الفناء والعدم والفرق بينهما: اسمعوا، العدم الواقع فى عبارات أكابر هذه السلسلة العلية عن ورود وجود الاسم الإلهى الذى هو مبدأ تعين العارف من وراء الحجب بطريق الجذب والحب على مدركة العارف

بحيث يستتر في جنب ذلك وجوده، ويغيب عن نفسه وأوصافه، فلا يجد شيئاً من ذلك فوجود العدم عبارة عن التحقق بذلك الوجود، أي: الوجود والبقاء المترتبين على العدم، ويحتمل أن يكون الوجود عبارة عن التحقق بحالة العدمية يعني ظهور صفة العدمية في السالك، وهذا العدم ووجود العدم بمعنى الفناء والبقاء في جهة الجذبة، وليس لهذا الظهور دوام، فلا يدوم الفناء والبقاء المرتبين عليه أيضاً، فلا يؤمن عود ذلك السالك إلى البشرية، ومتى حصل هذا الظهور فإن وجود السالك يتوارى، وإذا توارى الظهور فوجود البشرية يعود. والفناء الحقيقي عبارة عن استيلاء وجود المطلوب على العارف فحينئذ يجد العارف أوصافه وأخلاقه ظلال أوصاف المطلوب وأخلاقه، بحيث يحيل كل ذلك إحالة سديدة على ذلك الجناب، ويصير خالياً من جميع المنتسبات، فلا تجد نسبة ما إليه سبيلاً أصلاً. ووجود الفناء عبارة عن البقاء المترتب على هذا الفناء المذكور، ومن هنا يكون العارف بسبب الولادة الثانية موجوداً بالوجود الموهوب، وهذا الفناء والبقاء يلزمهما العدم ولا يعودان إلى وجود البشرية في الصورة الأولى استتار السالك وفي الصورة الثانية انتفاؤه وشتان ما بينهما لأن المستتر قد يظهر ويعود والزائل لا يعود، والأول ليس من المطالب ولا الولاية مربوطة به، والثاني من المطالب وشرط للولاية، وكثيراً ما يقع للطالب خلط الأول مع الثاني، فيظن نفسه فانياً فناء حقيقياً موجود العدم ويحسبه كاملاً ولا يهتدي إلى هذا الفرق، وهذا من جماعة مزل أقدام السالكين ولذلك لابد له بعناية الله جل سلطانه من شيخ كامل مكمل تربى بطريقي الجذبة والسلوك، ووصل إلى النهاية ليخلص هذا العاجز العديم القوي من هذه الورطة ويدله على نقصه ويهديه إلى الفناء

الحقيقي. وفى الهداية السادسة، قال رضى الله عنه: إذا ترقى السالك من هذا المقام وتحقق بالذي فقد هو فيه، وتخلق بأخلاقه وأوصافه، ووصل إلى حق اليقين وارتقى من الفناء إلى البقاء فحينئذ يتجلى له حسن الإسلام، ويتخلص من الحيرة والدهشة والهيام، فيجده به لا بنفسه وعلمه إذ هما قد فنيا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وفى الحديث: «**من قتلته فأنا ديته**»، وقال قدس الله سره: ما يري فى الواقعات من التحلي بالحلى والتكلل باللآلئ واليواقيت هو تبشير بالبقاء. وقال رضى الله عنه: إذا رأى السالك إحاطة الأنوار به وحلول بحار الأنوار فيه وكون كل جزء من أجزائه جزأ من أجزاء النور، فذلك يمكن أن يكون من البقاء وقال -رضى الله عنه- فى الولاية الصغري: ليعلم أن العمدة فى حصول كمالات الولاية الصغرى المراقبة والأذكار القلبية من ذكر اسم الذات والنفى والإثبات. وقال رضى الله عنه: فناء النفس على وجه الكمال يتضمن فناء الروح والسر والخفى والأخفى، لأن النفس رأس هذه اللطائف سواء قبل الفناء أو بعده خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا. وقال رضى الله عنه: كمال فناء النفس إذا التحق عدمها الإضافى الذي هو مرآة للصفات الكمالية التى التحقت بالأصل حين لم يبق فى السالك غير هذا العدم بالعدم المطلق، فحينئذ لا يبقى للعارف عين ولا أثر لا تبقى ولا تذر وبعد هذا بمقتضى من قتلته فأنا ديته معاملة البقاء. وأما معاملة الولاية الكبري فهى أمام السالك بعد، والفناء والبقاء وإن كان لها صورة فى الولاية الصغرى، ولكن حقيقتها فى الولاية الكبرى، وأظن أن لحقوق العدم الخاص بالعدم المطلق من خصوص هذه

الولاية. وقال رضى الله عنه، فى كمالات النبوة، المرتبة الرابعة: أفـراد الـذات تعالى، وتقدست عن الأسماء والصفات لأن محبة الـذات لا ترضـى بشـركة الصفات، وإن لم يتصور انفكاك الصفات عن الذات ولا عكسه أبـداً لكـن بمقتضى: «**المرء مع من أحب**» للمحب مع الذات معيتـه بحيـث لا يلاحـظ الصفات ثمة أصلا، فانفكاك الذات عن الصفات إنما هو فى الشهود والمحبة المثمرة للمعية المذكورة لا فى الخارج ونفس الأمر، وهذا الكمال ناشئ من كمـالات النبوة وحصوله بالأصالة للأنبياء عليهم السلام وبالتبعية والوراثة للخواص مـن أتباعهم، ولا يلزم من حصول كمالات النبوة لبعض الأفراد من الأمة بالتبعيـة والوراثة أن يكون ذلك البعض نبياً أو مساوياً للنبى لأن حصول كمالات النبوة غير حصول منصب النبوة كما حققه شيخنا المجدد -رضى الله عنه: وقال رضى الله عنه ما دام سير السالك فى الأصول، فله حظ من الشوق والحلاوة والمعرفة، فيطيل لسانه فى بيان المعارف والأسرار وإثبات نسبة الإحاطة والسريان ونسبة الأصالة والظلية والمراتب، وأمثال ذلك ثم إذا ترقت المعاملة من الأصول إلى مـا فوقها وترك الأصل كالظل كل لسانه واستترت عنه النسبة السابقة، ما للتراب ورب الأرباب! فتنتفى عنه تلك المعرفة والحلاوة التى كان يجدها، فحينئـذ إن كان فيه علم والتذاذ فذلك أمر آخر، أنسب ما يعبر به عنه الجهل والحيرة، من لم يذق لم يدر. وليس ذلك من قبيل الجهل والحيرة التى يعرفها العوام بل هو أمر آخر ما لم يتحقق به لم يدرك على وجه التمام، فإن هذا الجهل له ألف مزيـة على العلم، وهذا الخوف والحيرة له رجحان عظيم على الشوق والحلاوة، وهذا من قبيل مدح الشيء بما يشبه الذم، وقال رضى الله عنه: الشهود والمشـاهدة

حيث يوجد الظل والإدراك والوصل من معاملات الأصل فإذا ترقى من الظلال وبقى الأصل كالظل فى الطريق واتصلت بالغيب المغيب فحينئذ تكون المعاملات السابقة هباء منثوراً، فيتبدل الإيمان الشهودي بالإيمان الغيبي، وينقلب ما كـــان من اللذة والحلاوة والذوق والشوق إلى المرارة والألم والحزن، فقـــد كـــان ﷺ متواصل الأحزان دائم الفكر. ولذة هؤلاء الأكابر مقيدة بالطاعات مقصـــورة على العبودية والعبادات، فإن كان غيرهم متلذذاً بالشهود مغروراً بخيال الوصال فأولئك الأكابر قد غضوا أبصارهم عن الشهود وتصوروا أن هـــذا الوصـــال خيال، واطمأنوا بالغيب الذى له على الشهود آلاف من المزية وشهدوا حـــزام الهمة للعبودية، فيرون إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام أحسن مـــن التجليـــات وأوقع من الظهورات، والخشوع والنظر إلى محل السجود ألذ مـــن المشـــاهدة والشهود، ثم يأتي بعد ذلك مقام ليس للعمل فيه نتيجة ولا للاعتقاد فيـــه أثـــر فالترقي هناك بمجرد الفضل والإحسان. ثم قال: وهذا المقام بالأصالة مخصـــوص بالأنبياء من أولى العزم، وللأفراد من أممهم نصيب من ذلك، ثم فوق هذا كمال يترقى فيه من التفضل إلى المحبة، فالترقي فى حصول هذا الكمال منوط بالمحبـــة المحضة وفى المحبة كمالات المحبة والمحبوبية، فظهور كمالات المحبة الذاتية بالأصالة مخصوص بالكليم عليه السلام وظهور كمالات المحبوبية مخصـــوص بالحبيـــب الأعظم ﷺ ولغيرهما –تطفلاً– رجاء فى هذين الكمالين. وهذه ذرة من ســـعة أذواقه وأخلاقه وشذرة من معادن أقواله وأحواله وضعتها نموذجاً لبيـــان علـــو قدره، وبرهانا لإثبات عظمة شأنه وفخامة أمره. وإلا فالفكر أحصـــر مـــن أن يحيط بفضائله، واللسان أقصر من ان يمتد إلى عد شمائله. توفى –قدس الله سره–

تاسع شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وألف فى سرهند. وله كرامات هـى أظهر من الشمس وأشهر من الخمس. منها: أن أحد خلفائه الكرام الخواجة محمد صديق كان فى سفر على فرس فجفلت، فسقط إلى الأرض وبقيت رجله فى الركاب، وجعلت الفرس تعدو به حتى أيقن بالهلاك فاستغاث بحضرة القيوم، قال: فرأيته حضر وأوقفها وأركبنى. ومنها: أن الشيخ محمد صديق المشار إليه وقع فى البحر ولم يك يعرف السباحة، فكاد أن يغرق فناداه مستغيثاً به، فحضر وأخذ بيده وأنقذه من الغرق. ومنها: أنه رضى الله عنه كان جالساً يوماً مع أصحابه فى رباطه إذ ابتلت يده الشريفة وكمه إلى إبطه، فعجبوا من ذلك وسألوه عنه، فقال: رضى الله عنه استغاث بى رجل من المريدين تاجر كان راكباً فى السفينة، وقد كادت أن تغرق فخلصتها من الغرق، فابتل لذلك كمى ويدي فوصل هذا التاجر بعد مدة وحدث بهذا الأمر كما أخبر الشيخ رضى الله عنه. ومنها: أنه ظهر فى زمانه ساحر مجوسى يوقد النار ويدخلها هو ومن يطيعه فلا تحرقهم فافتتن الناس به فتنة عظيمة، فأمر حضرة الشيخ -رضى الله عنه- بإيقاد نار عظيمة، وأمر أحد مريديه فدخلها واشتغل بالذكر فصارت عليه برداً وسلاماً فبهت الذي كفر. ومنها ما ذكره الشيخ عبد الرحمن الترمذى، أحد أصحابه، قال: جئت مع إخوانى لزيارة جنابه العالى فأعطى كل واحد منهم أثراً من لباسه تبركاً إلا أنا فلما انصرفت إلى وطنى غلب على الحزن والغم لحرمانى من هذا الفضل الجزيل وإذ قد شاع فى البلدة خبر قدومه -رضى الله عنه- إليها فخرج الناس لاستقباله وخرجت معهم فرحاً فرحاً شديداً، فلما بارحت البلدة رأيت حضرة الشيخ راكباً على فرس أبيض، فقال لى: لا تحزن يا عبد الرحمن

وخذ قلنسوتى تبركاً، فلما أخذها غاب هو والناس عن عينى وبقيت القلنوسة فى يدي. ومنها: أنه جاء أعمى يلتمس منه أن يدعوا الله له فى رد بصره، فأخذ من ريقه ومسح به على عينيه، وقال: اذهب إلى بيتك وافتح عينيك ففعل فعاد بصيراً بإذن الله، ومنها: أنه ذكر عنده رجل من الرافضة بأنه يسب حضرة الشيخين رضى الله عنهما جهراً فغضب غضباً شديداً، وكان بين يديه بطيخ فأخذ السكين، وقال: اذبح هذا الخبيث ثم أمر السكين على البطيخ فمات الرافضى من وقته. ومنها: ما قاله رضى الله عنه إنى كنت متوجهاً ليلة النصف من شعبان إلى معرفة نسبة أحوالى ونسبة أحوال بعض المريدين الحاضرين وقتئذ عندي، فما لبثنا أن عرج بنا على أبهج هيئة وأعظمها بحيث لم يحصل لى مثل ذلك العروج من قبل فألقى إلى أنه لم يقع مثل هذا العروج لأحد، فظهرت لى نسبة عالية المرتبة للغاية، ثم أعلمت أنها نسبة المخلصين بفتح اللام، وأنها هى النسبة التى أثبتها تعالى لبعض المرسلين على نبينا وعليهم الصلاة والسلام بقوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] ثم عوملت، ما عوملت ثم أتى بخلع عالية الشأن بعضها فوق بعض فتشرفت بالأفضل منها ووزع ما يليها على من معى على تفاوت درجاتهم، وتفاضل أقدامهم الأفضل فالأفضل ثم كشفت أشياء لو أظهرت منها شيئاً لقطع البعلوم وذبح الحلقوم والسلام على من اتبع الهدى. ومنها: أنه حينما حج البيت الحرام وزار النبى ﷺ قال: لما دخلت الحرم وشرعت فى الطواف رأيت جماعة من الرجال والنساء على غاية الحسن يطوفون معى باشتياق وتقرب شديد بحيث يقبلون البيت ويعانقونه فى كل وقت، أقدامهم على الأرض ورءوسهم بلغت عنان السماء، فظهر لى أن الرجال

ملائكة والنساء حور. وقال رضى الله عنه: رأيت أن الكعبة المعظمة تعانقنى وتقبلنى باشتياق تام، وكشف لى أن تلك البركات والأنوار ظهرت منى وزادت حتى ملأت الصحراء وأحاطت بجميع الأشياء، وأن محبتها إلى بسبب التحقق بحقيقة الكعبة الربانية، ورأيت ثم كثيراً من الروحانيين حضوراً فى كل وقت كالخدم بين يدي السلطان. وقال رضى الله عنه: لما فرغت من طواف الزيارة جاءنى ملك بكتاب قبول الحج من رب العالمين. وقال رضى الله عنه: دخلت المدينة المنورة، فلما وقفت تلقاء الوجه الأوجه رأيت النبى ﷺ قد خرج من الحجرة المطهرة وعانقنى، وحصل لى لحوق خاص به ﷺ، وكذلك حصل لى عند زيارة الشيخين -رضوان الله عليهما- وشاهدت على وقتئذ خلعة صفراء، فعلمت أنها من حضرة عمر وعليها خلعة حمراء، ففهمت أنها من حضرة الصديق -رضى الله عنه- ثم عند الانصراف شرفت بالخلعة العالية الخضراء فألهمت أنها من سيد المرسلين ﷺ. وقال قدس الله سره: كشف لى أن سائر الممكنات من العرش إلى الثرى محتاج إلى الحبيب ﷺ وهو بكمال استيفائه اللازمة للمحبوبية يفيض على كل فرد فرد على حدة. وقال قدس الله سره: جرى بيني وبين النبي ﷺ من المعاملات ما لو أشرت إلى بعض منها لقطع منى البلعوم وذبح الحلقوم حتى أنى وجدت كل صلاة صلى بها عليه، وكل قصيد مدح به راجعاً إلى نفسى، فقال ولده حجة الله: يا سيدي إن الكمون والظهور هما الفناء والبقاء أو هما شيئان آخران؟ فقال رضى الله عنه: هما الفناء والبقاء ومتميزان عنهما بالخصائص التى لا توجد فيها. وقال رضى الله عنه: ولما تشرفت بزيارة أهل البقيع رأيت من آل البيت والأزواج والأصحاب رضى الله

عنهم عناية خاصة وخلعا مخصوصة، وظهرت نسبتي ثم ظهوراً عجيباً للغايـــة إذ رأيت جميع العالم من العرش إلى الثري منوراً من نورى، وقال قدس الله ســـره: غلب على وقت الوداع الحزن والبكاء، فرأيت سيد المرسلين ﷺ قد خرج مـــن حجرته المطهرة وخلع على خلعة فاخرة وتاجا مثل تاج الملوك مكللاً بأحســـن الجواهر، وظهر لى أن هذه خلعة خاصة من ألبسة ذاته المقدس لا كالخلع السالفة شرفنى بها من كمال كرمه ﷺ. وبالجملة، فقد كان قدس الله سره آية من آيات الله العظام نور الله به العوالم وهدى به الخلائق. قيل: إنه تلقى الطريقة العليـــة النقشبندية منه تسعمائة ألف وبلغ عدد خلفائه سبعة آلاف كلهم أولياء عظماء لأنه كان يوصل الطالب فى أسبوع واحد إلى الفناء، وفى شـــهر إلى كمـــالات الولاية، وأوصل بعضهم بتوجه واحد إلى جميع المقامات. فمن أجل خلفائه عالم زمانه، وبركة أوانه، من سرى إليه سر هذه النسبة الباهرة.

سيدنا الشيخ محمد سيف الدين الفاروقي قدس الله سره

هو الكريم ابن الكريم، محيي الطريق القويم، والصراط المستقيم، بعزيمة عظيمة عمرية، وهمة أحمدية مجددية. الإمام الجليل، والسيف الربانى الصقيل. ولد ســـنة خمس وخمسين وألف فى سهرند، وتربى هذا العصام فى حجر والـــده المعصـــوم وتغذى بألبان تلك المعارف والعلوم حتى أربى الفرع على الأصـــل فى الفضـــل وتأهل لتربية أبناء العصر ونعم الأهل، وأنجب حال صباه فلا عجب إذا فاق أباه فقد استمسك بالعروة الوثقى، ورقى على معراجها الأرقى وفى حياة أبيه النبيه جلس على عرش الهداية وتربع، واقتفى أثر سلفه الصالح وتتبع. فشاد أركـــان

الإرشاد، وألقى إليه العباد مقاليد الانقياد. فأصبحت أعتاب بابه محط رحال الوافدين، وموارد إرشاده سائغة للواردين. وصار في سماء كواكب العارفين بدراً وفي دولة العلماء بالله صدراً. إلى حل رموز عرفانية، وفتح كنوز ربانية ونشر علمي الباطن والظاهر، وحشر فضائل الأوائل والأواخر. وحلو أخلاق، وعلو أذواق تشهد بكمال وراثته، وأنه ثالث ثلاثته، وقدم بأمر والده العزيز بل بأمر الله تعالى إلى مدينة دهلي لترويج الشريعة الغراء ونشر أنوار الطريقة الزهراء فتلمذ له السلطان محمد عالمكير بإرادة صادقة، واعتقاد صحيح، وانتظم الوزراء والأمراء العظام في سلك خدمه، وطفق يحيى السنة المطهرة، ويؤيد الشريعة المقررة وينصر أعلام الإسلام ويمحوا آثار الظلم والعدوان، وببركة صحبته وفق الله تعالى السلطان المشار إليه إلى تنفيذ ما دأب الشيخ عليه، من صون المحارم، ودفع الظالم عن المظالم، وصلح حاله كل الصلاح فحفظ الكتاب المجيد في سن الشيخوخة، ولازم إحياء الليالي والاشتغال بالطريقة العلية، فغلبت عليه نسبة لطيفة الأخفى، واطلع على أن مبدأ تعينه صفة العلم، فكتب الشيخ إلى والده العزيز أحوال السلطان، ففرح بذلك فرحاً عظيماً وصدق بنظره الكشفي على ذلك وسلمه. وكان -قدس الله سره- يبالغ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبالغة عظيمة بحيث ما نقل عن أحد من المشايخ الغابرة مثلها، حتى لقبه والده رضى الله عنه بمحتسب الأمة فإنه كان لا يسمع بمنكر في الهند كلها إلا أزاله، وما صبر لحظة واحدة عليه، فعظم جاهه وفحل أمره وكبر شأنه وشرف قدره. وبلغ من سمو مقامه أن السلاطين والأمراء كانوا لا يجلسون في مجلسه بل يقفون بين يديه بالأدب التام، وله كرامات وافرة وخوارق باهرة، منها: أن

رجلاً من الواقفين لديه خطر بباله أن الشيخ متكبر، فالتفت إليه وقد كوشف بخاطره، فقال له: تكبرى من كبرياء الحق تعالى. ومنها: أنه أنكر عليه ذلك منكر آخر فرأى فى منامه أن جماعة العسس أخذوه، وجعلوا يضربونه ضرباً أليما، ويقولون له: أنت تنكر على حضرة الشيخ وهو محبوب الحق سبحانه، فاستيقظ من شدة الضرب وتاب وانغمر فى جماعة الشيخ. ومنها: أنه كان يسكن فى رباطه ألف وأربعمائة سالك، فيغذى كل واحد منهم على وفق رغبته. ومنها: أنه سمع مرة من بيت جاره صوت مزمار، فتأثر تأثراً تاماً حتى خر مغشياً عليه ورضخت يده رضخة شديدة، فلما أفاق، قال: يزعمون أنى خال من العشق بل هؤلاء ليسوا بعاشقين حيث يصبرون على السماع. ومنها: أن مجذوما طلب منه الدعاء بالشفاء، فنفث عليه فشفى لوقته. توفى سنة خمس وتسعين وألف ودفن فى بلدة سهرند نور الله مرقده، وله خلفاء حنفاء ملئوا البلاد إرشاداً، والعباد إمداداً. ومن أعظمهم شيخ هذه السلسلة المنورة، وأكمل من سرى إليه سر هذه النسبة المطهرة،

سيدنا الشيخ السيد نور محمد البدايونى قدس سره

وهو سيد ملأ الملأ الأعلى نوراً، وذكراً حميداً مأثوراً والعالم الأدنى عملاً مبروراً، وسعياً مشكوراً حيث أفرغ على السرائر الحائرة سروراً، والقلوب الغافلة حضوراً، فأصبح مظهر كل فضيلة جليلة، ووسيلة إلى الله تعالى ونعم الوسيلة، تحن أرواح السالكين لتوجهه الأقدس، وتحنو على استنشاق نفسه الرحمانى الأنفس، أظهر الله الشريعة والحقيقة فى أيامه، ظهور البدر ليلة تمامه،

فكم أحيي من سنة درست، وقطع من بدعة غرست، وربي في مهـــد أشــــرف مهدي سيدنا السيف الصقيل الهندي، ناهلاً من مناهل فيضه النقشبندي، فشب على ما تربى، ونال ببركته أعلى المقامات قرباً، وافتخر به فريق الطريق شــــرقاً وغرباً، فانظر! كيف سلم نفسه للسيف لينال شهادة السعادة، وسعادة الشهادة ويحيا الحياة الأبدية من قتلته فأنا ديته، فأدركته العناية الأزلية، فأصبح في البلاد الهندية سراجاً وهاجاً، تقصده الناس أفواجاً، رجاء اقتباس أنواره، والفوز بأسرار بركته وبركة أسراره. جلس من بعد سيده خير مؤيد لطريق إرشاده ومرشـــده وجدد ذكره الجميل وخلد، ولا غرو فهو نور محمد.

همام إذا ما فارق الغمـــد سـيفه وعاينته لم تدر أيهمـــا النصـــل

وإذا كان فرع الشجرة النبوية الزاهرة، وطراز عصابة آل البيت الطاهرة، فلا عجب أن أمسى بابه قبلة للأولياء، وأعتابه رحلة للأتقياء، وأنظاره جلاء قلوب الراغبين، ووجوده مظهر تجليات حضرة الغني عن العالمين. تـــوفي -قـــدس الله سره- سنة خمس وثلاثين ومائة وألف. وكان -قدس الله سره- كامل الـــورع والتقوى. ملازماً لمطالعة كتب السير والشمائل والأخلاق النبوية متأسياً بهـــا. أدخل مرة رجله اليمنى إلى بيت الخلاء قبل اليسرى فانقبض ثلاثة أيام من مخالفته للسنة فجعل يتضرع ويلتجئ إلى الله تعالى حتى بدل قبضه بسطاً. وغلب عليـــه في أوساط أمره الاستغراق خمسة عشر سنة، فكان لا يفيق إلا وقت الصـــلاة ثم يغيب، وكان يحتاط أشد الاحتياط في أكل الحلال حتى إنه كان يخبـــز بيـــده الشريفة أقراصاً، ويأكل عند شدة الجوع منها كسرات، ويشتغل بالمراقبة فـــإذا فرغت خبز غيرها وعاد للمراقبة. ولكثرة مراقبته تقوس ظهره. وقد لازم خدمة

الشيخ سيف الدين عدة سنين، ثم خدم الشيخ محمد محسن الحافظ نجل علامة زمانه المحدث الكبير الشيخ عبد الحق، وكان الحافظ من أجل خلفاء الإمام المعصوم أعواماً عديدة حتى بلغ فى الولاية أعلى درجات الكمال، وكان يقول: منذ ثلاثين سنة لم يخطر ببالى شيء من أمر الأغذية بل آكل وقت الحاجة ما تيسر، وكان لا يتناول من طعام الأغنياء ويقول: إنه لا يخلو من ظلمة، وكان إذا استعار كتاباً من غنى لا يطالع فيه إلا بعد ثلاثة أيام، ويقول: إن ظلمة الأغنياء قد تلبست بغلافه ودفته. وورد عنه كلمات قدسية تثبت جلالة رتبته العلية، وظهر على يده المباركة كرمات جلت فى بابها عن المشاركة، منها: ما نقل عن أجل أصحابه سيدنا حبيب الله المظهر -قدس سره- أنه كان إذا ذكره يبكى، ويقول لأصحابه: يا حسرة عليكم أنتم ما رأيتم حضرة السيد -قدس سره- لو أدركتموه لجددتم إيمانكم بكمال قدرة الله تعالى حيث خلق مثل هذا العزيز. وكان يقول عنه أيضاً: إن كشف حضرة السيد كان على غاية من الصحة يدرك بالبصيرة ما لا يدركه غيره بالبصر، فإنه وقع بصري فى الطريق على امرأة أجنبية، فلما وقفت بين يديه، قال: إنى أجد منك ظلمة الزنا، ولقيت شارب خمر يوماً، فلما جئته قال أنى أجد منك رائحة الخمر، ومنها: أنه أتته امرأة يوماً، فقالت. يا سيدى: إن الجن قد اختطفت ابنتى، وقد عملت لردها أعمالاً كثيرة فما نفعت فأغثنى، ففكر ساعة، ثم قال: تجئ ابنتك فى الوقت الفلانى فجاءت فى ذلك الوقت، فسألوا البنت عن كيفية مجيئها، فقالت: كنت فى الصحراء فإذا أنا بشيخ أخذ بيدي وأوصلنى إلى هنا، وتكمل عنده فئة عظمية

هم من كيد النفس وقيد الهوى أتم تميمة. من أكملهم شيخ هذه السلسلة المبجلة، وأولى من سرى إليه سر هذه النسبة المفضلة.

الشيخ شمس الدين حبيب الله جان جانان المظهر قدس الله سره

كان شمس السعادة الأبدية، وحبيب الله جل جلاله ونجيبه. روح أرواح أهل اليقين، وروح أرواح الذائقين، وكعبة آمال المقربين، وعلماً من أعلام النبوة إذ أظهر في إعلاء الدين المحمدي، وإحياء الطريق النقشبندي المجددي، غاية العناية والقوة. فأعلى الله أعلامه، وشرف في الدارين مقامه. ولد -قدس الله سره- عام ثلاثة عشر ومائة وألف، فهبت عليه نسائم جذبة من جذبات الحق فوصلته بمراحم صفوة أشرف الخلق السند المؤيد السيد نور محمد، ففتح عيون بصيرته ببركة أنوار سريرته وسقاه من سر العلوم المكتوم، كأس الرحيق المختوم. فأخذه عن نفسه وسرى به من الأنفس إلى الآفاق، فما لبث أن صعق ثم أفاق، فعرج به على معارج قدسه، وأظهره من عالم الغيب على أسراره، وأتحفه بكرامات مقاماته في طور أطواره، ثم رده فلم يجد غيره، فرجع من حيرة إلى جهالة، ومن جهالة إلى حيرة، فلم يزل يلحظه بأنوار تربيته، ويحفظه بأنظار تصفيته، ويتدلى به إلى مراتب الرجال، حتى بلغ الغاية في الكمال، وخلص من المحو إلى الصحو ومن الوصل إلى الفصل، هنا لك أذن له بإرشاد العباد إلى سبيل الرشاد، والصراط السوى والطريق القويم القوى، وأوصى له خلافه بالخلافة، فنهض بأثقالها من بعده، وأشرقت شمس الهداية في برج سعده، ثم اتصل بأعتاب كل من الأولياء الكاملين سيدنا الشيخ محمد أفضل، ثم سيدنا الشيخ حافظ سعد الله،

ثم سيدنا الشيخ محمد عابد السنامي رضوان الله عليهم أجمعين، فازداد كماله وتمت آماله، فتموج من بعدهم بالعرفان بحراً وظهر فى سماء القطبية كالشمس ظهراً، وقصد بالرحلة من كل مكان، وازدحمت على أعتابه الركبان، فوسع الجميع حرم رحمته، وشملتهم بركة همته، وهمة بركته، وأصبحت به الديار الهندية بيتاً معموراً، تطوف به ملائكة الأرواح آصلاً وبكوراً. كان قدس الله سره منذ ولد تتلألأ أنوار الهداية وآثار النجابة فى ناصيته، وقد جبل على العشق للجمال والشغف التام به والمحبة له، كان فى حجر مرضعته وهو ابن ستة أشهر فأخذته امرأة جميلة إلى حجرها فعشقها، فكان إذا فارقها بكى، واشتهر فى الناس تعشقه للمظاهر الجميلة وهو ابن خمس سنين، فلما بلغ تسع سنين رأى سيدنا إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام فشرفه بأنواع الكرامات، وكان وهو فى هذا السن كلما ذكر أبو بكر الصديق -رضى الله عنه- يحضر صورته ويراه بعينه وكذلك يرى الإمام الربانى، فاعتنى والده بتربيته وبالغ بتعليمه فنون العلوم وعلوم الفنون، فما بلغ فى السن ثمانية عشر سنة إلا وفاق، وبرع فى كل فن فجذبه الحق تعالى إلى خدمة حضرة السيد نور محمد -قدس الله سره- فتلقى عنه الطريقة العلية النقشبندية، وبتوجه واحد جرت لطائفه الخمسة: فلازم خدمته مع كمال الصدق والاشتغال بالرياضات الشاقة، والخلوة فى الصحاري والبراري والاقتصار على التغذي بورق الأشجار، والاكتفاء من اللباس على ساتر العورة مدة أربع سنين. ونظر يوماً فى المرآة فرأى صورة شيخه بدل صورته. ثم لما توفى حضرة السيد -قدس الله سره- جعل يختلف إلى قبره الأنور ويستفيد منه، ويستفيض مدة سنتين ثم أذن له بالروحانية أن يرجع إلى مرشد

حى، فرجع إلى المرشد الكامل والولي الواصل سعد الله المعروف بشاه كلشن وقطب الإرشاد الشيخ محمد الزبير، فاعتذرا له بعد إحالة تربيته لهما، فحضر عند حضرة العارف الكامل الشيخ محمد أفضل -أحد خلفاء سيدنا حجة الله نجل الإمام المعصوم- ومن خواص الإمام الكبير الشيخ عبد الأحد المعروف بدليل الرحمن، نجل الشيخ محمد سعيد خازن الرحمة -قدس الله سرهم- فقرأ عليه كتب الحديث النبوي فكان فى أثناء الدرس يحصل له تمام الاستغراق فى النسبة المحمدية، ويشاهد كمال الالتفات من حضرته النبوية ببركة صحبة الشيخ وحضوره، فصار له شيخ الحديث والصحبة حيث فاز منه بفوائد جمة فى الظاهر والباطن، فلما تم له فى خدمة هؤلاء المشايخ الكرام عشرين سنة صحب حضرة المربى الأوحد الشيخ حافظ سعد الله، وهو من كمل خلفاء سيدنا الشيخ محمد صديق، فلازمه اثنى عشر عاماً وحصل له قوة عظيمة فى عرض النسبة واتساع الباطن و لم يتوجه له فى هذه المدة إلا توجهاً واحداً لكبر سنة وضعفه فقد كان عمره وقتئذ نيفاً وثمانية سنة، ثم صحب شيخ الشيوخ حضرة الشيخ محمد عابد السنامى الصديقي أجل خلفاء الشيخ عبد الأحد المومي إليه قدس سره، وأتم السلوك الأحمدى على يده وهذا العزيز تتصل سلسلته بسيدنا الشيخ محمد سيد خازن الرحمة أحد أنجال المجدد المار ذكره قدس الله سره، فلذلك صار حضرة المظهر جامعاً لفيض الطريقين المعصومى والسعيد، فكان يكتب فى سلسلة النقشبندية اسم حضرة سيد نور محمد ومشايخه المعصومية وفى السلاسل الآخر القادرية والسهروردية والجشتية اسم الشيخ محمد عابد المشار إليه ومشايخه السعيدية وكان يقول: حصلت الولايات الثلاثة وكيفياهما وعلومها وإرادالها من

حضرة السيد نور محمد ونلت الكمالات الثلاثة والحقائق السبعة، وغيرها من حضرة الشيخ محمد عابد فى مدة سبع سنين ثم رقانى سنة كاملة من أولها إلى آخرها بالسير المرادي، فصارت لى قوة عجيبة فى حالات كل مقام وشرفنى بخلافة الطريقة القادرية والجشتية والسهروردية، وخصنى بضمانته ورقانى من الولاية الإبراهيمية إلى الولاية الخاصة المحمدية، فرأيت حالتئذ رسول الله ﷺ تلقائي ثم رأيته جالساً فى محلى وأنا فى مجلسه ثم رأيته فى المحلين ثم رأيت نفسي جالساً فى المحلين. وقال رضى الله عنه: كنت مرة عند حضرة الشيخ محمد عابد قدس سره: فقال: إن الشمسين تقابلتا كمالاً بحيث لا تتميزان من كثرة أنوارهما، ولو التفتتا إلى تربية الطالبين لأنارتا العالمين، وقبل مرة ركبتى من فرط تواضعه، وقال لى: ليس فى أصحابى مثلك ولكثرة حبك لله ورسوله تنال الطريقة بتوجهك عزاً عظيماً، ولقبك عند الله شمس الدين حبيب الله، وأحال إلى تربية بعض أصحابه، ووضع حضرة السيد نور محمد -قدس سره- مرة نعلى قدامى، وقال لى: أبشر بالقبول التام عند الله تعالى وكان الشيخ محمد أفضل -قدس سره- يقوم تعظيماً لى، ويقول: إنى أعظم كمالات نسبتك. وكان الشيخ حافظ سعد الله -قدس سره- يقول لى: أنت محل نظري. وقال الشيخ العلامة ولى الله المحدث الشهير قدس سره: الدنيا فى نظري كالكف، وليس فى الدنيا الآن أحد مثل حضرة المظهر قدس سره. ولما انتقل مشايخه الأربعة المشار إليهم زيَّن مسند الإرشاد بجلوسه المبارك وروج الطريقة العلية بوجوده المسعود، فشدت إليه الرجال الرحال، وبقى فى دست الهداية أكثر من ثلاثين سنة على أتم حال، من الاستقامة على اتباع السنة السنية، وإحياء آثار الطريقة الأحمدية،

والزهد والورع وعدم الركون إلى الدنيا وأهلها، وكان يختار الفقر على الغنـــا، ويحب الكفاف لنفسه ولأصحابه ويدعو الله لهم بذلك، ولم يقبل من غني شيئاً من الدنيا بل كان يأخذ أحياناً من خلص مريديه. وكان -قدس الله سره- دائم الخمول والعزلة ما بنى رباطاً قط ولا بيتاً أبداً مع شدة إلحاح أغنياء وقته عليــه.
وكان له محبة عظيمة في المشايخ لا سيما الإمام الرباني، وكثيراً ما كان يقول: ما وجدت شيئاً إلا بمحبة المشايخ، وقال قدس الله سره: اختيار الطريقة لغلبة حب الله تعالى، وقد يوهب المريد ذلك بمحض فضله سبحانه، وإلا فــدوام الــذكر بشرائطه فرض، ولا تنفتح عين القلب إلا بكثرة الذكر، فـــإن ورد حـــال أو استغراق خلال الذكر وجبت المحافظة عليها، فإذا ذهبت يشرع في الذكر مـــع التضرع التام ويلازم ذلك مدة حتى يحصل له دوام الاستغراق وهو المطلــوب.
وقال قدس الله سره: حاصل هذه التكلفات كلها تهذيب الأخلاق على وفـــق مكارم أخلاقه ﷺ إذ قال «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**». وقال: العمل بالعزيمة في هذا الزمان صعب جداً لفساد المعاملات وعدم إمكان تطبيقها على قواعـــد الشريعة، فالأخذ بظاهر الفتوى مع اجتناب البدعة غنية عظيمة وله -نفعنـــا الله به- كرامات عظيمة وتصرفات جسيمة وكشوفات صـــحيحة عـــن الأمـــور الكونية، وأحوال أهل القبور والحقائق الإلهية مما لا يمكن حصره، وقد جمعهـــا سيدنا العارف بالله تعالى الشيخ عبد الله الدهلوي رئيس خلفائه العظام -قدس الله سره- في كتاب مخصوص رأيته وطالعته وهو باللغة الفارسية، فمن كراماته العالية: أنه سافر مرة مع نفر من أصحابه بغير زاد ولا راحلة، فكانوا إذا نزلـــوا منزلا تأتيهم الموائد من الغيب فأمطرت السماء يوماً مطراً شديداً وهبت ريـــح

عاصفة فاشتد عليهم البرد، فتأذوا منه فقال قدس الله سره: اللهم حوالينـــا ولا علينا، فانجلى عنهم السحاب، وجعل يمطر حواليهم ببركة دعائه. وكان له جار يحبه فاحتضر فغلبته الشفقة، فقال قدس الله سره: يارب لا طاقة لى على فراقـــه فاشفه شفاء عاجلاً، فكأنما نشط فى الحال من عقال. وكان فى جواره رجل يبيع الأفيون فى دكان له، فقال يوماً لأصحابه: قد كدرت ظلمة الأفيـــون صـــفائي فتبادر أصحابه إلى تلك الدكان فهدموها بعنف فلمـــا بلغـــه، قـــال: الآن زاد تكدري بسبب هذا الاحتساب إذ من أجلنا جرى هذا الأمر المخالف للشرع، فإنه كان الأولى بحقنا أن ندعوه برفق للتوبة من هذا العمل، فإن أبى نمنعه بشدة ثم أمرهم بإحضاره إلى حضرته فبعد فحص طويل أحضر، فأظهر له تمام اللطف واعتذر إليه مما فرط من أصحابه، وطلب منه العفو عن تلك الجراءة وأنعم عليه، فلما رأى الرجل منه ذلك تاب إلى الله فى الحال وصار من مخلصى جنابه. وقال قدس الله سره: زرت مرة الشيخ الحافظ محمد محسن قدس الله سره فحصلت لى غيبة فرأيت جسده المبارك بحاله وأكفانه كلها صحيحة لم يؤثر التراب فيها إلا بطرف من جهة أسفل قدميه، فسألته عن ذلك فقال: كنت أتيت بحجر عن غير إذن صاحبه ووضعته مكان الوضوء ناوياً أنه متى جاء صـــاحبه أعيـــده إليـــه، فوضعت قدمي عند الوضوء عليه فأثر التراب من شؤم هذا العمل فى قدمى كما ترى، قال: والحق أنه بقدر ما تترقى القدم فى التقوى تترقى فى الولاية. وغضب مرة من رجل، فقال قدس الله سره: إنى رأيت كل المشايخ إلى حضرة الصـــديق الأكبر -رضى الله عنه- قد أعرضوا عنه، فمات الرجل ثالث يوم من غضـــبه. وجاءه أحد أصحابه، فقال: يا سيدي قد حبس أخى فى البلدة الفلانية فادع الله

في خلاصه، فقال قدس الله سره: أخوك ما هو محبوس وإنما صدر منه مخاصمة، وخلي عنه وقد كتب إليك كتاباً يصل إليك فكان كما أخبر بلا تفاوت. ورأى شخص في منامه ميتا له يعذب في قبره، فسأله أن يدعو له بالمغفرة فدعا له وبشره بأن الله تعالى قد غفر له، فرأى الميت في منامه، فقال له: إني نجوت من عذاب الله تعالى بدعاء حضرة المظهر -قدس الله سره- وكان كثيراً ما يبشر أصحابه ببشائر عالية، فأنكر بعض القاصرين ذلك فكوشف بإنكارهم، فقال: لهم إن لم تصدقوني، فاختاروا حكماً من الأولياء المتقدمين فيحضر ويصدقني، فقالوا: الحكم الأعظم هو رسول الله ﷺ، فقال: مرحباً، فتوجهوا ثم قرأ الفاتحة وراقب هو والمنكرون فرأوا في المراقبة رسول الله ﷺ وهو يقول لهم: بشائر المظهر صحيحة، وزجر المنكرين عليه، وقال سيدنا الشيخ محمد أفضل قدس الله سره: أعطى حضرة المظهر مقام القطبية فهو في هذا الوقت مدار الطريقة العلية.

ومن مكتوباته العرفانية ما معربه: سئل قدس الله سره عن قول بعض الأكابر إذا لم ير الصوفي نفسه أقبح من كافر الأفرنج، فهو أقبح من كافر الأفرنج فكيف يستقيم معنى هذا الكلام مع أن الصوفي لا يكون إلا مؤمناً، أو عالماً متقياً، مدركاً حال صحوه وإفاقته لأوصافه وأخلاقه مناط تفضيل فرد على آخر من أفراد النوع الواحد إنما هو هذه الأوصاف والأخلاق لا ذات الشخص وحقيقته، فالصوفي مع علمه باتصاف الكافر بالكفر والمعاصي واتصافه هو بالإيمان وغيره من الفضائل، كيف يمكنه أن يرى نفسه أقبح؟ ولو تكلف ذلك لزم عليه أن يعتقد أن تلك الفضائل أقبح من تلك الرذائل، وهذا الاعتقاد بديهي الفساد شرعاً وعقلاً؟ فقال قدس الله سره: يا سيدي إن مذهب ساداتنا المجددية

أن حقائق الممكنات مركبة من أعدام إضافية وظلال صفات حقيقة، يعنى أن هذا الأعدام بمقتضى تقابلها مع الأسماء والصفات حصل لها ثبوت فى العلم الإلهى وصارت الأنورا مرايا الأسماء والصفات ومبادئ تعينات العالم، والذى فى الخارج وهو ظل لها أعنى ظلاً خارجاً حقيقياً موجوداً بوجود ظلى بصنع الله تعالى، فبناء على تركبها من العدم صارت مصدر آثار الخير والشر، فمن جهة العدم الذاتى كسب الشر ومن جهة الوجود الظلى كسب الخير، ولا يخفى أن الإنسان إذا نظر إلى مرآة مملوءة من أنوار الشمس، فمن أول وهلة يقع بصره على أنوار الشمس لا على المرآة لاختفائها واستتارها فى الأنوار، وإذا نظرت هذه المرآة إلى نفسها ترى من أول نظرة تعينها المرآتى لا الأنوار، لأن نظرها لم يتعلق بالظاهر فيها، فالصوفى إذا وقع بصره على ظاهر الأشياء الشريفة والخسيسة إنما يرى جهة الوجود الظاهر فيها الذى هو مصدر الخير، وإذا نظر إلى نفسه يقع بصره على جهة العدم الذاتى له الذى هو منشأ الشر، ويراها عارية عن الخير والكمال مطلقاً، وأن الخير والكمال مستعار ومكتسب من جهة الوجود لا من نفسه، فلا جرم يتحقق أن نفسه أقبح من كافر الأفرنج، ومن كل خسيس، فعلم من هذا أن مقصود القائل بذلك القول أن الصوفى الكامل هو الذى لا ينسب الخير والكمال لنفسه أصلاً، ويعلم أنه مستعار وهذا هو معنى الفناء التام وحاصل الشهود الصحيح، وإن نظر الصوفى إلى جهة الوجود والأنوار المستعارة وغاب عن نظره مرتبة عدمه الذاتى يتطاول فى الدعوى، فيقول: أنا الشمس، وهذا سر قول حسين ابن منصور رحمه الله: أنا الحق: فإنه وإن كان معذوراً فى ذلك نظراً لغلبة السكر عليه بحيث لم يمكنه الفرق بين

جهتى العدم والوجود، لكنه مخطئ فى هذه الرؤية وقد وقع فى هذا المقـــام مثـــل هذه الأغلاط من كثير من السالكين إلا من عصمه الله تعالى ببركة حبيبه صلى الله عليه وسلم. ومنها: فى الجمع بين كلامى المجدد -رضى الله عنه- فى حقائق الممكنات، قال قدس الله سره: كتب لى أنه كشف لسيدنا المجـــدد فى حقـــائق الممكنات أن فى مرتبة الواحدية التى هي عبارة عن تفصيل الكمالات الإلهية ظهر فى مقابلة كل صفة كمال ثبوت وتميز عدمها الإضافى فى خزانة العلـــم الإلهـــى ففى مقابلة صفة العلم عدم العلم المعبر عنه بالجهل، وفى مقابلة صفة القدرة عدم القدرة المعبر عنه بالعجز وقس على هذا، فصارت هذه الأعدام المتميزة بســـبب هذه المحاذاة والمقابلة مجالى ومرايا أنوار تلك الصفات ومبادي تعينـــات العـــالم وحقائق الممكنات، فهذه الأعدام بمنزلة المرايا لتلك الحقائق وتلـــك العكـــوس والظلال بمنزلة الصور الحالة فيها، وبناء على هذا الامتـــزاج صـــارت أعيـــان الممكنات الخارجة التى هى على طبق تلك الحقائق مصدراً للآثار، وقابلة لكـــل من الوجود والعدم وبهذا الوجه صارت مصدراً للخير والشر. وأنه كشف لـــه أيضاً أن مبادئ تعينات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الصفات التى هى أصول الظلال المذكورة وواجبة الوجود، فيلزم أن لا يكون للعدم دخـــل فى حقـــائق حضرتهم مع أنهم من الممكنات وحقيقة الممكن كما حققه -رضى الله عنه- لا تكون بدون امتزاج بالعدم، فكيف وجه المطابقة؟ والجواب يا سيدي، أنه حيث تقررت المقابلة والمحاذاة بين الأعدام المتميزة ووجودات الصـــفات المقدســـة فى مرتبة العلم الإلهى كانت الأعدام مجالى الصفات والصفات أيضاً مرايـــا تلـــك الأعدام غير أن الأمر فى هذا المقام بالعكس، فالصفات هنا بمنزلة المادة والأعدام

بمترلة الصور الحالة فيها فوقعت جهة العدم فى هذه الصورة ضعيفة وجهة الوجود قوية، وبهذا الوجه كانت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومين ولم يكونوا مصدر شر، وأما وجودهم الخارجي فهو قابل لكل من العدم والوجود. وهذا القدر من دخل العدم فى حقائق حضرتهم لأجل ثبوت الإمكان، كان والسلام. غلب عليه الشوق إلى الرفيق الأعلى قبل أيام من وفاته، وأظهر كمال الملل من توجه خاطره إلى أهل هذه الدار الفانية، وكثر استغراقه كل لحظة فى مشهوده تعالى، وزاد فى العبادة على وظائفه المعتادة فى تلك الأيام، وازدحم السالكون على أبوابه يدخلون الطريقة أفواجاً فكان يوجد فى حضوره كل وقت أكثر من مائة رجل، فعين للقاء الناس وقتين فقط، وقد بلغت أنواره وبركات توجهاته الشريفة تمام الترقى. وطلب أحد أصحابه ملانسيم الإذن منه بالسفر إلى وطنه، فقال له: لقاؤنا معكم بعد الآن غير معلوم، فأثرت هذه الإشارة إلى قرب انتقاله فى القلوب، وأفاضت الدموع من العيون، وكتب إلى أحد خلفائه الملا عبد الرزاق أنى تجاوزت الثمانين، وقد دنا الأجل فتذكرنى بخير الدعاء، وكذلك حرر لغيره من الأعزاء بما يفيد وقوع هذا الأمر المحتوم. وقال قدس الله سره يوماً مظهراً لنعم الله تعالى الموجبة للشكر عليه: إنى لم يبقى فى قلبى أمر رجوت الحصول عليه إلا وقد نلته بتفضلات الله تعالى شرفنى بالإسلام الحقيقي ووهبنى حظاً وافراً من العلم والاستقامة على العمل الصالح، وكل ما يلزم فى مشيخة الطريقة من التصرف والكرامات والكشف إلا الشهادة الظاهرية التى لها فى مقام القرب الإلهى درجة عالية، فإن أكثر مشايخي قد شربوا كأس الشهادة، وأما الفقير فإنى كثير العجز والضعف فلا قوة لى على الجهاد

فحصول هذه المرتبة فى الظاهر متعسر، والعجب ممن لا يحب المــوت، المــوت موجب للقاء الله تعالى، الموت سبب لزيارة فخر العالم ﷺ، الموت يوصـــل إلى مشاهدة الأولياء، الموت يجلب السرور بملاقاة الأعزاء، وإنى لمشتاق لزيارة أرواح كبراء الدين الطيبة، ومتوقع كثيراً للتشرف بلقاء حضرة المصطفى وخليل الرحمن عليهما الصلاة والسلام وزيارة أمير المؤمنين الصديق الأكبر والإمام حسن المجتبى وسيد الطائفة الجنيد وحضرة شاه نقشبند وحضرة المجدد -رضى الله عنهم- فإن لقلبي محبة خاصة بخدمة هؤلاء الأكابر. اهــ. فجلى الله تعالى له عروس هــذا الرجاء على منصة الإجابة والإجراء، وبلغه درجة الشهادة حتى جمع بين شهادة الظاهر وشهادة الباطن التى هى فى اصطلاح الصوفية عبارة عن مرتبة الفناء بالله تعالى، وارتقى فى درجات القرب إلى أعلى عليين، وذلك أنه بعد ما مضى قطع من ليلة الأربعاء سابع عشر محرم سنة خمس وتسعين ومائة وألف. صفق جماعة على باب حضرته، فأخبره الخادم: بأن نفراً أتوا لزيارتكم فأمره أن يدخلــهم، فدخل ثلاثة أشخاص من المغل أي المجوس، فقام من مضجعه ووقــف معهــم، فقال له المغل: أنت ميرزاجان جانان، قال: نعم، قال له رفيقاه أيضاً: بلى هــو ميرزاجان جانان، فأخرج خنجراً وطعنه به أصابت خاصرته قريب قلبه، فنظرا لكبر سنه وعجزه لم يتحمل ذلك ووقع على التراب، فلما كان وقت الفجــر أرسل له الحاكم بخف خان طبيباً أفرنجياً، وأمره أن يقول له: إن مرتكب هــذه الجناية العظيمة لم يعلم، ومتى تحقق يجري قصاصه. فرد الطبيب، وأرسل إليه أنه إن قضى الله بشفاء هذه الجراحة تشفى على كل حال، فلا حاجة إلى طبيــب آخر، وإن علم مرتكب هذا الأمر فهو فى حل منى واعفوا عنه أنتم أيضاً، فبقى

ثلاثة أيام وهو يزداد ضعفاً حتى صار لا يسمع صوته، ثم فى صبح اليوم الثالث وهو يوم الجمعة، قال: لى إنه قد فاتنى إحدى عشر صلاة وجسدي كله مضرج بالدم، ولا أقدر أن أرفع رأسي وقد قالوا: إذا عجز المريض عن أن يرفع رأسه لا يكلف لأداء الصلاة بالإيماء بطرفه وحاجبه، ويجوز له تأخيرها، فماذا تعلمون فى هذه المسألة؟ فقلت له: الحكم كما ذكرتم. فلما انتصف النهار رفع يديه وهو يقرأ الفاتحة كما قرأها سيدنا شاه نقشبند فى مثل هذا الوقت، فلما كان وقت العصر، قال لى: كم بقى من النهار؟ فقلت: أربع ساعات: فقال: إذاً المغرب بعيد، فلما كان المغرب من ليلة عاشوراء تنفس الصعداء مرتين أو ثلاثاً، ثم لحق بالرفيق الأعلى -رضى الله تعالى عنه وجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء آمين- وقد استخرج الأدباء لوفاته تواريخ كثيرة، أحسنها تاريخان: الأول: قوله تعالى **﴿فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ﴾** [النساء: ٦٩]، والثانى قوله ﷺ فى حق أحد الصحابة رضى الله تعالى عنهم: «**عاش حميداً مات شهيداً**»، ورأى أحد السادات بعد انتقاله فى منامه أن القرآن المجيد قد ارتفع نصفه إلى السماء ووقع فى الدين المتين فتور، قال سيدنا الشيخ عبد الله الدهلوى -قدس سره- فعبرتما بأنها مصدقة لقول الشيخ -قدس سره- يتوقف العروج إلى مقامات الطريقة بعدنا ومهما ترقى أهل هذا الطريق لا يصلون إلى مقام الولاية، فإنه بعد وفاته بستة عشر سنة رأيت مريدي خلفائه، وسمعت عن أحوال أصحاب هذه الطريقة الموجودين فى البلاد البعيدة أنهم يحسبون الوصول إلى أحوال وكيفيات الولاية القلبية غنيمة، والوصول إلى أحوال المقامات العالية بعيد جداً عن الإدراك بل حتى يرون الوصول إلى الولاية القلبية متعسراً، والله أعلم والحق أن وجوده

المبارك كان آية من آيات الله تعالى وعلى طبق اسمه الكريم، فإن جان جانان هو روح الأرواح -أرشد الله ببركته الوفاء- وتكمل منهم فئة عظيمة ومن أعظمهم نفعاً، وأكثرهم جمعاً، شيخ هذه السلسلة الغراء، وأكبر من سرى إليه سر هذه النسبة العلياء،

سيدنا الشيخ عبد الله الدهلوي رضي الله عنه

هو شاه العارفين، ومليك المرشدين الكاملين، مظهر علوم الدين، ومظهر سر الهداية واليقين، المحقق بمقام التلوين، فى التمكين. شيخ مشايخ الديار الهندية ووارث المعارف والأسرار المجددية، سباح بحار التوحيد، سياح قفار التجريد. قطب الطرائق وغوث الخلائق، ومعدن الحقائق. نال -قدس الله سره- من العلوم الإلهية ما نال، ومن المقامات العلية ما لا يخطر ببال. وذلك أن هذا العزيز، بعد ما بلغ سن التمييز، أكب على تحصيل الفضائل، والتحلى بأحسن الشمائل، حتى صعد بهمته إلى سماء علوم الرسوم، فتناول من ثرياها أعظم النجوم، إلى أن أصبح فى كل علم إماماً، فزاد إقداماً على الترقى فى المعالى واهتماماً، فصعد النظر إلى قمر المعارف فرأى نوره مستمداً من شمس أستاذه العارف، فقصد على جنائب العزم جنابه، ويمم بالهمم الكبار رحابه، فأقبلت به نسمة القبول، على حرم مراحم الوصول، إلى ذلك المقام المأمول، مقام المرشد العظيم، فحنا عليه بقلبه السليم، حنوا المرضعات على الفطيم، وجعل يمده بمدده الروحانى، ويربيه بنفيس نفسه الرحمانى، ويرقيه إلى مدارج الأخيار، ويقيه أغيار الأغيان، وأغيان الأغيار، حتى إذا جذبه إلى مقام حق اليقين، وانتهى به إلى

سدرة منتهى المقربين، عاد إلى عالم الشهادة، وقد خلع عليه خلع السيادة، وأصبح من غيث إحسانه غوث زمانه وعهد إليه بعده بإرشاد المسترشدين عنده، فوفى عهده، وصدق وعده، وكان خير خلف، لأشرف سلف. قام بتأييد الشريعة المحمدية، وتجديد معالم السنة السنية، وأداء حقوق الحقائق، وإحياء جميع الطرائق: القادرية، والسهروردية، والكبروية، والجشتية، والنقشبندية، رافعاً لواءها بين الخلائق، فأقبلت القلوب تستظل بظله، ولبت الألباب نداء فضله، وانتهت إليه رتبة الإرشاد، ورحلت إليه الأبدال والأوتاد، فنال ببركته كل مريد أقصى المراد. ولد قدس سره عام ثمان وخمسين ومائة وألف في قصبة بتالة ضلع بنجاب وجاء تاريخ ولادته (مظهر جود) وهو من آل البيت الكرام، وكان والده الشريف الشاه عبد اللطيف عالماً عارفاً صالحاً زاهداً كبير الشأن قادري الطريقة، تلقاها عن العارف الكبير الفائز بصحبة الخضر عليه السلام، الشاه ناصر الدين القادري -قدس سره- واشتغل بالرياضات الشاقة والمجاهدات التامة، وكثيراً ما كان يخرج إلى الصحراء فيذكر الله تعالى، ويتغذي بالنبات بقي مرة أربعين يوماً لم يكتحل طرفه بنوم، ولم يذق الطعام إلا قليلاً ليلاً، ومع ذلك لم ينو الصيام مقاومة لرعونة نفسه، وكان له انتساب أيضاً للطريقة الجشتية والشعارية. ورأى في منامه حال ولادة الشيخ -قدس سره- سيدنا عليا كرم الله وجهه، فقال له: سم ولدك باسمي، فلما ولد سماه علياً إلا أنه لما بلغ قدس سره سن التمييز سمى نفسه تأدبا غلام علي ورأت أمه في المنام رجلاً جليلاً يقول لها: سميه عبد القادر، قال مترجمه الشيخ عبد الغني المعصومي: ويمكن أن يكون هذا العزيز هو الغوث الجيلاني -رضي الله عنه- وسيأتي أن رسول الله ﷺ سماه في

المنام عبد الله. وكان قدس سره فى الذكاء آية باهرة حفظ القرآن المجيد فى شهر واحد، وأكب على تحصيل العلوم معقولها ومنقولها حتى أصبح عالم عصره، ولما كان ولده فى خدمة شيخه مولانا ناصر الدين -قدس سره- أرسل إليه يطلبه من الوطن ليتلقى الطريق القادري عنه، ففى ليلة وصوله توفى الشيخ، فقال له والده: كنا طلبناك لتأخذ عنه الطريق فما قدر الله ذلك، فالآن أى محل تنسمت منه عرف الإرشاد فاقصده، فلقى أكابر مشايخ الطريقة الجشتية وقتئذ فى دهلى الشيخ ضياء ميردرد ابن الشيخ ناصر ومولانا فخر الدين، والشاه نانو، والشاه غلام، وغيرهم من السادات. ولازم حضورهم حتى إذا بلغ سنه اثنين وعشرين سنة أتى من نفسه إلى خانقاه حضرة ميرزاجان جانان قدس سره، وسأله الدخول فى الطريق المجددي، فقال له: عليك بالمحل الذى فيه الذوق والشوق، وأما هذا المحل فما فيه إلى لحس الحجر بلا ملح، فقال له: هذا أقصى مرادي، فقال له بارك الله بك ثم تقبله.

وكتب هو فى بيان أحواله قدس الله سره، فقال: إنى بعد تحصيل علم الحديث والتفسير، تشرفت فى أعتاب حضرة الشهيد قدس سره فبايعنى على الطريقة العلية القادرية بيده المباركة، ولقننى الطريقة العلية النقشبندية فتشرفت بالحضور فى حلق الذكر والمراقبة عنده خمسة عشر سنة حتى تفضل على هذا الحقير بالإجازة المطلقة فى الإرشاد العام، وقد ترددت أول الأمر فى أنه، هل يرضى الشيخ عبد القادر الجيلانى -رضى الله عنه- أن اشتغل فى الطريقة النقشبندية أو لا؟ فرأيته فى واقعة جالساً فى مكان وحضرة الشاه نقشبند فى مكان تلقاءه، فخطر لى حينئذ أن أحضر عند شاه نقشبند، فقال الغوث الجيلانى

في الحال: المقصود هو الله تعالى فاذهب فلا مضايقة، وكان لي جهة تعيش فتركتها فاشتدت عزي الفاقة علي، فاعتصمت بالتوكل واتخذته سجية، ولم يكن يومئذ عندي غير خلق حصير افترشها ولبنة أتوسدها، فبلغ بي الضعف أقصاه فلفرط ما نالني أغلقت باب حجرتي، وقلت: هذا قبري حتى يأتي الله بالفتح أو بأمر من عنده، فما لبثت أن فتح الله تعالى على يد من لا أعرفه فمكثت في زاوية القناعة خمسين سنة. اهـ.

قيل: لما أغلق باب الحجرة وقال ما قال، أدركته العناية الإلهية فجاءه شخص، وقال له: افتح الباب، فقال: لا أفتح، فقال له: إن لي معك شغلاً فافتح لي، فلم يفعل، فألقى إليه من خصاص الباب جملة من الدراهم الهندية المعروفة بالروبية وذهب، فمن ذلك اليوم لم تنقطع الفتوحات عنه، ولما توفي حضرة الشهيد قام مقامه في مسند تربية المريدين وإرشاد الطالبين فأكب الناس عليه، وشدوا الرحال إليه من أماكن بعيدة من الروم والشام والعراق والحجاز وخراسان وما وراء النهر، بل من أقصى أرض الخطا إلى غاية أرض المغرب، بعضهم بأمر رسول الله ﷺ كحضرة مولانا خالد، والشيخ أحمد الكردي، والسيد إسمعيل المدني، وبعضهم بإشارة السادات كالشيخ محمد جان، والبعض برؤيتهم له في المنام. وكان موصوفاً بأعلى مراتب الأخلاق الحميدة، فمن السخاء: بحيث كان يوجد في رباطه دائماً، ولا ينقص عن مائتي مريد إلا قليلاً، وكان يقدم لهم كفايتهم على أتم وجه ولم يدخر لغد قط، ومن الحياء والتواضع: بأنه لم يضطجع ماداً رجليه أبداً، ولم ينظر وجهه في المرآة، وإذا دخل إلى داره كلب ليطعم شيئاً يقول: إلهي، من أنا حتى أكون واسطة بينك

وبين أحبابك؟ فأسألك بحرمة مخلوقك هذا، وكل من قصدني إلا ما رحمتني وقربتني إليك، ومن التمسك بالنسبة المطهرة: ما لا يدرك شأوه، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ما لا يهاب معه الأمراء والملوك كما يعلم ذلك من مطالعة مكتوباته. حتى أنه لما حضر السيد إسمعيل المدني بأمر رسول الله ﷺ إلى رحابه، وأحضر معه بعض آثار نبوية بإشارة منه عليه السلام أن يضعها في الجامع الذي في دهلي فوضعها عرض ذلك إلى حضرة الشيخ فقال له: إنه وإن تكن بركات فخر العالم ﷺ في ذلك المكان محسوسة، ولكن لا يخلو من ظلمة الكفر ففتشوا ذلك المكان فإذا هو فيه صور بعض الأكابر فرفعوا الأمر إلى السلطان وأزالوا التصاوير منه. وحضر لأعتابه نواب شمشير بهادر رئيس ملك نبديل كهند وعلى رأسه قلنسوة النصاري، فلما رآه الشيخ تغيظ منه وأغلظ له القول ومنعه من الجلوس عنده، فقال له الرئيس إذا كنت تعتقدون بهذا المقدار فلا أحضر بعد، فقال له: لا أعادك الله إلى مجلسنا، فقام وهو غضبان ثم لم يبرح أن تحول إلى ناحية من الرباط ونزع القلنسوة ودفعها إلى خادمه، ثم حضر خاشعاً وتلقى الطريق عن الشيخ قدس سره، ومن التجرد والزهد: أنه عرض عليه السلطان مراراً أن يعين لرباطه ما يفي بنفقته فلم يقبل، وكذلك عرض عليه نواب الأمير خان والى بلدة توك وسرونج، فأمر الشاه رءوف أحمد أن يكتب إليه: أنا لا نبذل وجه القناعة والفقر وكيف والرزق مقدر؟ وكثيراً ما كان يقول قد قبض على أذمتنا الوعد الإلهي، في قوله تعالى: ﴿**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾ [الذاريات: ٢٢] فقد أخبرنا تعالى بأنه كفانا مهمات الدين والدنيا. اهـ. فكانت نفقات الرباط من وجه الغيب، وكان قليل النوم جداً

فإذا قام إلى التهجد أيقظ النوام ثم يتهجد ويجلس للمراقبة، ويتلو من كلام الله تعالى ما شاء. وكان ورده كل يوم عشرة أجزاء، ثم يصلى الصبح جماعة فى وقت الغلس، ثم يلتفت إلى حلقة الذكر والمراقبة إلى وقت الإشراق. وكان رباطه لا يستوعب المريدين لكثرتهم؛ فلذلك كان يكرر الأذكار لطائفة بعد طائفة ثم يجلس لقراءة الحديث والتفسير إلى قرب الزوال، فيتناول الغداء وكان إذا أرسل إليه أحد الأغنياء طعاماً نفيساً لا يأكله بل يكره أن يأكل منه المريدون، وإنما يهديه لجيرانه ومن كان حاضراً عنده من أهل البلدة، وربما ترك أوانى الطعام فى مكانها يأخذها من شاء فيأكلها. نعم، لو أرسل إليه شخص دراهم و لم يكن مظنة شبهة يخرج أولا زكاتها، على مذهب الإمام الأعظم من جواز إخراج زكاة المال إذا بلغ النصاب قبل الحول لأن صدقة الفرض أفضل من النفل، ثم يعمل فيما بقى حلواء وغيرها، ويرسل بها إلى فقراء الشاه نقشبند، وفقراء والده ويؤدي ما كان عليه من دين فى نفقة رباطه، ويعطى من قصده من ذوى الحاجة، وربما يأخذ الشخص من هذه الدراهم شيئاً فى حضوره فيطلع عليه ويعرض بوجهه عنه، ولا يتعرض له. وقد سرق شخص له كتباً ثم أتاه منها بكتاب يبيعه إياه فأثنى عليه ونقده الثمن، فقال له أحد أصحابه: يا سيدي هذا من خزانتكم وعليه علامة فتأذى منه وأسكته، وقال: هلا يكتب الكاتب أكثر من كتاب واحد. ثم بعد تناول الغذاء يقيل قليلاً ويشتغل بمطالعة الكتب الدينية والحقائق وغيرهما والتحارير الضرورية، ثم إذا صلى الظهر قرأ درسي حديث وتفسير إلى العصر فيصلى، ثم يقرأ حديثاً وتصوفاً كـ ((مكتوبات الإمام الربانى))، و((عوارف المعارف))، و((رسالة القشيري))، ثم يجلس فى حلقة الذكر

والتوجه العام إلى الغروب، وبعد صلاة المغرب يتوجه لخــواص الســالكين، ثم يتناول العشاء، حتى إذا صلى العشاء أحيا عامة ليلة بالذكر والمراقبة، فإذا غلبــه النوم اضطجع فى مصلاة وربما نام وهو جالس، ولم يعلم أنه مد رجليه لفــرط حيائه كما تقدم. وكان لا يجلس إلا محتبياً كما نقل عن النبى ﷺ وكبار الأولياء كالغوث الجيلانى حتى توفى على هذه الحالة. وكان حريصاً على إخفاء الصدقة، فإذا فتح عليه بشىء يقسمه على الفقراء وهم فى المراقبة لئلا يشعر أحد منــهم بالآخر. وكان يلبس الخشن من الثياب ولو أهدى إليه ثوب نفيس باعه واشترى عدة أثواب وتصدق بها، وهكذا فى غير ذلك. ويقول: لأن يكتسى جماعة خير من واحد، وورد فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنه: «**أنها أخرجت يوماً إزاراً ورداء خشنين، وقالت: قبض رسول الله ﷺ فى هذين**»، وكان شــديد الشفقة على المسلمين يكثر من الدعاء لهم، وأكثر ما يكون فى جوف الليــل. وكان له جار يسمى حكيم قدرة الله يصرف أكثر أوقاته فى مغيبته، فحبس يوماً فسعى كل السعى فى خلاصه ولم يذكر ذلك له. وكان مجلسه مجلس ســفيان الثوري، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تنتهك المحارم، مبرأ عن حديث الدنيا: فلا يذكر فيه الأمراء ولا الفقراء، وقد استغاب بعض الحاضرين فى مجلسه شخصاً، فزجره، وقال: أنا أحق بما قلته منه. ونال شخص فى حضوره من سلطان الهند، وكان صائماً فقال: واأسفاه لقد فسد صومى، فقيل له: أنتم ما ذكرتم أحــداً بسوء، فقال: نعم ولكن سمعت، والذاكر والسامع فى الإثم سواء. وكان عاشقاً لرسول الله ﷺ فانياً فيه بحيث إذا سمع اسمه الكريم اضطرب وغاب. وقد أحضر له خادم قدامه يوماً ماء للتبرك، وقال له: أنت منظور رسول الله ﷺ فارتعد عند

سماع هذا الكلام، ثم قام فقبل الخادم وقال له: من أنا حتى أكون منظور رسول الله وبالغ فى إكرامه، وكان شديد الحرص على اتباعه ﷺ فى أقواله وأفعاله قوى التمسك بالسنة دءوباً على مطالعة حديثه حتى توفى، وسنن الترمذي على صدره. ولم يبلغه أنه ﷺ فعل شيئاً إلا وتأسى به حتى أتى مرة بجبهة معز فطبخت له، وأكل منها اقتداء به. وكان له فى القرآن المجيد ذوق عظيم كثير التلاوة له كثير المحبة لسماعه. وكان يحب سماعه من أحد خلفائه العظام الشيخ أبى سعيد المعصومى ويتأثر تأثراً بليغاً، فإذا ازداد من السماع اضمحل وتلاشى له، وقال: حسبى لا طاقة لى بأكثر. ويحب سماع أشعار القوم والمثنوى، ويحصل له من ذلك وجد غير أنه كان لثباته وكمال تمكنه لا يظهر عليه. ويقول: رقص أبو الحسين النوري يوماً والجنيد جالس، قال: إنما يستجيب الذين يسمعون فقال الجنيد: وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب. فالجنيد كان فى غاية الثبات. قال المترجم: قد تظهر فى الطريقة المجددية أحياناً نسبة الطريقة الجشتية الموروثة عن حضرة المجدد، وقد نقل عنه مع كمال تمكنه حالات ذوق وشوق لذلك. أهـ. وبلغ من نزاهة الطبع أنه لو دخل عليه شخص يشرب التنباك يتأذى منه ويأمر بالمجمرة فيطيب المحل. وكانت تفوح رائحة زكية فى مجلسه فيخرج من عنده ويقول: هذه روحانية النبى ﷺ أو أحد السادات قد ظهرت. قال رضى الله عنه: يكون فى كمالات الوصول الوصل العريان، وليس للسالك فيه غير اليأس والحرمان، إذ كلما يكون الوصول يغنى الحصول. وقال رضى الله عنه: الطريقة النقشبندية عبارة عن أربعة. أشياء: عدم الخطرات، ودوام الحضور، والجذبات، والواردات. وقال رضى الله عنه: طالب الذوق والشوق لم يطلب

الحق تعالى. وقال: ينبغي للطالب أن يميز كل وقت ماذا يرد عليه من العبارات، كل وارد على حدة، فيعلم أي كيفية حصلت له من الصلاة، وأي نسبة ظهرت من التلاوة، وما الذى ناله من الذوق فى درس الحديث الشريف والذكر الجهري، وكذلك ماذا حصل له من الظلمة فى الطعام المشبوه، وعلى هذا القياس فى بقية الأغبار. وقال رضى الله عنه: من الطعام ما فيه رضاء للنفس، ومنه ما فيه أداء لحقها: فما فيه رضاؤها الغذاء النفيس الكثير، وما فيه حقها هو ما تقوي به على أداء الفرائض والسنة. وقال: كما أن طلب الحلال فرض على المؤمنين، كذلك ترك الحلال فرض على العارفين. وقال: الصوفى هو التارك للدنيا والآخرة وراء ظهره، والمتوجه إلى الله تعالى. وقال: الخطرات تضر فى الولاية لا فى كمالات النبوة، فإن عمر -رضى الله عنه- يقول: إنى لأجهز الجيش وأنا فى الصلاة، فلا تمنع خطرات القلب مشاهدة الشمس. وقال: مشرب السادات الجشتية الذين سكروا من خمرة الذوق والمحبة السماع والطرب إرادة أن يلون الشوق أرواحهم ألواناً، ويرفعون النقاب عن وجه محبوبهم، ومشربنا معشر المتوسلين بالسلسلة النقشبندية المرتشفين كأس المودة الحديث والصلاة رغبة أن تتنوع الأذواق على قلوبنا أنواعاً. وقال: لا يخفى أن رسول الله ﷺ هو الجامع لجميع الكمالات غير أنه كان ظهور كماله فى كل وقت فى أفراد الأمة بما يناسب استعداد ذلك الوقت، فالكمال الذى نشأ عن جسده الشريف من الجهاد والعبادة والصبر على المشاق من الجوع وغيره ظهر للصحابة رضوان الله عليهم، والكمال الذى نشأ عن قلبه المقدس من الاستغراق والفناء والذوق والشوق والتواجد وأسرار التوحيد الوجودي ظهر على لسان حضرة الجنيد

قدس الله سره لأولياء الأمة، والكمال الذى نشأ عن لطيفة نفسه المطمئنة من الاضمحلال والاستهلاك فى نسبة الباطن ظهر لأكابر النقشبندية من زمن مولانا شاه نقشبند -قدس الله سره- والكمال الذى نشأ عن اسمه الكريم محمد ظهر فى زمن حضرة المجدد -قدس الله سره- وقال: فى لفظ الفقير حروف تشير إلى أحوال فالفاء للفاقة، والقاف للقناعة، والياء لليأس مما سوى الحق تعالى، والراء للرياضة فإذا اتصف الفقير بها نال فضل الحق وقربه ويمنه ورحمته وإلا ابتلى بالفضيحة، وقهر الحق واليأس من قربه والرد من بابه. وقال: ليلة الجوع عندنا ليلة المعراج. وقال: لابد فى هذا الطريق من أربعة أشياء: دين سالم ويقين سالم، ويد مكسورة، ورجل مكسورة. وقال: لما كانت الأنوار والبركات تفيض عند الدعاء تعسرت معرفة علامة أثر الإجابة، والذى أراه على أن انشراح الصدر هو علامة عليها. وقال البيعة على ثلاثة أوجه: بيعة لأجل التوسل إلى المشايخ الكرام، وبيعة لأجل التوبة من المعاصى، وبيعة لأجل كسب النسبة. وقال: الخطرات على أربعة أقسام: شيطانية، وهى من اليسار، ونفسانية وهى من الفوق يعنى الدماغ، وملكية وهى من اليمين، وحقانية وهى من فوق الفوق. وقال: كل الكمالات الممكنة فى الإنسان دون النبوة ظهرت فى حضرة المجدد. وقال: الرجال على أربعة أنواع: النوع الأول: ليسوا برجال وهم طالبو الدنيا، والثانى: رجال وهم طلاب الآخرة، والثالث: شبان الرجال وهم طالبو الآخرة والمولى، والرابع: أفرادهم طالبو المولى. وقال: الأولياء ثلاثة: أرباب كشف، وأرباب إدراك، وأرباب جهل. وقال: الفائزون بمقام حضرة المجدد قليلون ولو توجه إلى جميع الأولياء الوجودية لأوصلهم إلى جادة الوحدة الشهودية. وقال:

من أحب لقاءنا لبس لباسنا، واختار طورنا. وقال: أرواح عامة المؤمنين يقبضها ملك الموت، وأما قبض أرواح خاصة الخاصة، فلا دخل للملائكة فيه. قال المترجم: ولعله مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ** ﴾ [السجدة: ١١]، وقوله: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا**﴾ [الزمر:٤٢] العقل النوراني: هو الذى يستدل على المقصود بلا واسطة، والظلماني: هو الذي يحتاج فى طريقه إلى مصباح هداية المرشد. وقال: ينبغى للطالب أن لا يغفل لحظة واحدة عن ذكر مطلوبه، وقال: حب الدنيا رأس كل خطيئة، ورأس الخطايا الكفر. وقال: زوال العين هو أن لا يقدر السالك على قول: أنا، كما قال سيدنا الشيخ عبيد الله أحرار: قول أنا الحق سهل وزوال أنا هو الصعب. وقال: ينبغي للسالك أن يترك فى ابتداء القلب النوافل ويكتفى بالفرائض والسنة المؤكدة. وقال: الطريقة المجددية تستمد من أربعة أبحر النسبة: النقشبندية، والقادرية، والجشتية، والسهروردية لكن الأولى هى الغالبة.

وله قدس الله سره رسائل متعددة نافعة جداً، كشف فيها للطالبين مسائل مهمة فى الحقائق والمعارف ومكتوبات شريفة مشتملة على نصائح ومواعظ جمة، منها: أنه قال: إن التخلق بالأخلاق الحسنة واجب على كل أحد وهي: الحلم، والتواضع، والشفقة، والنصيحة، والموافقة للأصحاب، والإحسان والمداراة، والإيثار، والخدمة، والألفة، والبشاشة، والكرم، والمروءة، والتودد والمودة، والجود، والعفو، والصفح، والسخاء، والحياء، والوفاء بالعهد، والسكينة، والوقار، والثناء، والدعاء إلى الله تعالى دائماً، وحسن الظن، وتصغير النفس، واحتقار ما عندك، واستعظام ما عند غيرك. وأما المقامات: فأولها

الانتباه، ثم التوبة، ثم الإنابة، ثم الورع، ثم محاسبة النفس، ثم الإرادة، ثم الزهد، ثم الفقر، ثم الصدق، ثم الصبر، ثم الرضا، ثم الإخلاص، ثم التوكل، وأما الأحوال: فمن ذلك المراقبة، ثم القرب، ثم الرجاء، ثم الخوف، ثم الحياء، وهو: حصر القلب عن الانبساط، ثم الشوق، ثم الأنس، ثم الطمأنينة، ثم اليقين، ثم المشاهدة وهي آخر الأحوال وإليها الإشارة بقوله ﷺ: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

ومن ذلك ما كتبه فى إجازته للشيخ أبي سعيد المعصومي والشيخ بشارة الله ولغرابة أسلوبها نقلتها بتمامها، فقال بعد الحمد والصلاة: من العلوم أن المقامات والاصطلاحات التي هى فى طريقة الإمام الربانى، مجدد الألف الثانى مقررة ينبغى أن تشاهد فى كل درجة منها كيفيات وأحوال وأنواع وأسرار تلك الدرجة، وإلا فاختيار الطريقة عبث فلم إضاعة العمر؟ وإن لم تكن المقامات العشر التي أولها التوبة وآخرها الرضا لازمة للباطن، فما الفائدة من هذه الطريقة؟ فإنه يحصل فى سير لطائف عالم الأمر كيفيات كثيرة. ففى سير لطيفة القلب المفيدة لمراقبة الأحدية الصرفة بعد مراقبة المعية يحصل الفناء، والاستغراق، وقطع، العلائق والآمال، وغيرها. وفى سير لطيفة النفس المفيدة لمراقبة الأقربية والمحبة يحصل الاستهلاك، والاضمحلال، وفناء أنا وغيره. وفى سير عالم الخلق ينهل الفيض الأهلى أعلى العناصر الثلاثة ما عدا عنصر التراب وتوجد المناسبة لتجليات اسم الباطن، والملأ الأعلى، وتهذيب اللطيفة القلبية. ويصير الإحسان فى الكمالات الثلاثة بالصفاء ولطافة نسبة الباطن، وتحصل فى الحقائق السبعة وسعة الأنوار وبداهة الأمور النظرية، وزيارة حضرات الأنبياء عليهم الصلاة

والسلام، وثبوت أذواق المحبة الذاتية. فإن أدرك سالك هذه الطريقة هذه العلوم والمعارف فهو مبارك، وإلا فقد اكتسب العجب والأنانية. فويل له وكان شيء يحصل فى الصحبة من هذه الحالات فهو حسن، وإلا فهو تحقير للطريقة. ويلحق المشايخ من ذلك الشخص عار، والمريدين عجب، وترذيل للطريــق ودعــوى الانتظام فى سلك المشايخ -هداهم الله سبحانه إلى رضائه واشتياق لقائه. آمين- وإذ قد وصل ولله الحمد صاحباي حضرة المولى بشارة الله، وحضرة الحافظ أبو سعيد -سلمهم الله تعالى وجعلهم سرجاً لإشاعة أشعة الطريقة لهذا المقامــات- والمرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتفضل على بقية أصحابى الأعزاء وأحبــابي وعلى هذا الذليل المقصر بالتوفيق للاستقامة، واتباع الســنة، ومحبــة المشــايخ والترك، والانزواء، واليأس من الخلق، والترقى لهذه الحالات. فإنى مع تمام الخجل أكتب، لأن المرشدين يكتبون فى الإجازات هاتين الكلمتين، فأقول: يد هــذين العزيزين التى هى أحسن من يدي هي يدي. وسعة خدمتهم التى هــى أقــوى ذريعة للسعادة والنجاة بيعتى بارك الله بهما، بشرط: أن يعرضوا عن أهل الدنيا ويلازموا بقدم مكسورة باب الحق مع صدق الوعد الكريم المطلق جل ســلطانه فإنه أركان طريقي وتربية توجهات حياتى، اللهم وفقــنى وإيــاهم لمرضــاتك ومرضات حبيبك ﷺ، واجعل آخرتنا خيراً من الأولى، قال قــدس الله ســره: رأيت فى المنام المير روح الله أحد مخلصى حضرة جان جانان الشهيد قــدس الله سره يقول لى: إن رسول الله ﷺ جالس فى انتظارك، فأسرعت من فرط الشوق للتمثل فى خدمته فعانقنى ﷺ، فوجدت نفسي على هيئته ثم تحولــت إلى هيئــة حضرة المير كلال قدس سره. ونمت ليلة قبل صلاة العشاء، فإذا به ﷺ قد حضر

ونهاني عن ذلك وتوعدني. وزارني ﷺ مرة ثم ذهب فحزنت لفراقه وجعلت أحثو التراب على وجهي، فوجدت ظلمة من هذا الفعل المنكر. ورأيته مرة في المنام، فقلت له يا رسول الله: أنت قلت: «**من رآني فقد رأى الحق**» فقال: نعم. وكنت مثابراً على قراءة أذكار وإهداء ثوابها لمقامه المقدس فتركتها مرة، فرأيته ﷺ بالهيئة التي وردت في شمائل الترمذي قدس سره، فعاتبني على ذلك. واعتراني مرة خوف شديد من النار، فرأيته ﷺ قد شرف منزلي، وقال لي: من يحبنا لا يدخل النار. ورأيته ﷺ مرة، فقال لي: أنت اسمك عبد الله وعبد المهيمن. ورأيته مرة فسماني: العبد الصالح. وقلت مرة: يا رسول الله، فقال لي: لبيك. وسمعت في سري: الخطاب الإلهي ثلاث مرات مرة وأنا في المدرسة، ومرتين في الخانقاه. ورأيت مرة أن في صورة وجهي قدر أصبعين من صورة وجه سلطان المشايخ يعني نظام الدين أوليا -قدس سره- و لم يتشوه بذلك. ورأيت أن شخصاً قد أتاني بقميص المشار إليه، وقال لي: هذا شيخكم، فقلت له: بل شيخي ميزاجان جانان، فكرر على ذلك، ثم قال سلطان المشايخ: شيخكم في الصحبة. ورأيت أن حضرة الشاه نقشبند -قدس الله سره العزيز- قد حضر ودخل معي في قميصي. ورأيت رجلاً جليلاً جاء وجلس إلي، فسألته عن اسمه، فقال: بهاء الدين. ورأيت شخصاً قد أتاني بخلعة، وقال لي: إن الغوث الأعظم قد أهداها لك عناية بك. قال: المترجم، وكان حضرة مولانا خالد وقتئذ ثم، فذكرها له، فقال له: هذه تكن خلعة القطبية فقال -قدس الله سره- مع التواضع التام: إني لم أبلغ هذا المقام. اهـ. ورأيت حضرة المجدد -قدس الله سره- مرة، فقال لي: أنت خليفتي. وكنت يوماً في خلوتي ففاحت رائحة زكية جداً عطرت المكان،

فلم أنظر إلى فوق وإذا بروح معطرة منورة قد أحاط بها نور مثل نور الشمس قد حلت فوق رأسي فتحيرت بمعرفة ذلك ثم خطر لى أن هذا التجمل خاص بروح سيد العالم ﷺ، أو روح الغوث الأعظم. وذهبت لزيارة حضرة الشيخ محمد الباقى بالله -قدس سره- فلما جلست رأيته قد قام وطفق يتوجه إلى فدخل وقت الظهر فقمت مسرعاً ثم تحسرت على قيامي حسرة لا توصف. وزرت يوماً حضرة الشيخ قطب الدين قدس سره فلما وقفت عند مقامه، قلت: شيء لله، شيء لله. فرأيت حوضاً مملوءاً ماء، والماء ينسفح من جوانبه، وألقى إلى أن صدرك قد ملء من النسبة المجددية ليس لغيرها فيه محل. وزرت مرة حضرة سلطان المشايخ، فلما توجهت للاستفاضة منه، قال لى: إنك قد نلت الكمالات الأحمدية، فقلت: أحب أن تتفضلوا على بنسبتكم، وتوجهت إليه فوجدت صورته عين صورتى، وصورتى عين صورته، فانصرفت محظوظاً للغاية. وحضرت تذكار وفاة الشيخ محمد الزبير قدس سره، فرأيته قد حضر، وهو يقول: عليكم بكثرة العبادة، فإنها فى هذه الطريق لازمة حتى يفتح لكم باب من التصرف، فقلت له: بماذا نلتم هذه المترلة؟ فقال بكثرة التعبد. ورأيت سيدة النساء -يعنى جدته فاطمة الزهراء عليها السلام- قد أتت مترلى، وقالت: إنى بعثت لأجل زيارتك. وأكلت يوماً طعاماً مشبوهاً، فرأيت حضرة الشهيد -رضى الله عنه- يستقيئ ويقول: لا ينبغي الأكل من كل مكان. وألقى إلى مرة: إنا أعطيناك منصب القيومية، وأعطيناك طريقة جديدة. وقلت يوماً: شيء لله يا شيخ عبد القادر، فقيل لى قل: يا أرحم الراحمين شيء لله. ألقى إلى أن سلطان المشايخ قد أرسل خلفاءه إلى دكهن، فأرسل أنت إلى كابل وبخاري. وطلبت

مرة توسيع منزلي، فألقى إلى أنه لا أهل لك ولا عيال فأى حاجة لذلك. وطلبت مرة من جارى مكانه، فألقى إلى لم تكلف جارك للخروج. وأخذت مرة بالتهيء للحج، فألقى إلى أن بقاءك ههنا أحسن لا يخفى على سالكي الطريق الإلهى. وطالبى الفيض اللامتناهى أن أعظم الكرامات وخوارق العادات محبة الله تعالى واتباع رسوله ﷺ. وقد كان له -قدس الله سره- فى هذين المقامين المرتبة العليا. ومن أعظم كراماته: تصرفه فى باطن المريدين وإلقاء الفيوضات والأسرار فى صدورهم، وما صدر عنه من ذلك لا يسعه التحرير وتضيق عنه حوصلة التقرير، فكم أوصل إلى مقام التكميل من الرجال مئين، فصاروا من أهل الواردات والجذبات والتمكين، ونال بتوجهاته الأحمدية المقات الإلهية والأحوال العالية أمم لا تحصى.

وأما تصرفاته وكشوفاته وحل المشكلات وقضاء الحاجات، فإنها إلهاماته وخوارقه مقتبسة من نور معجزاته ﷺ. وكثيراً ما رآه فى المنام جماعة أنه يلقنهم الطريق فحضروا إلى أعتابه وبلغوا المقامات العالية وعادوا إلى أماكنهم، وكان ينقل كل واحد من المريدين مع كثرتهم المفرطة من مقام إلى مقام، ويرقيه من حال إلى حال، ويوصله بقوة توجهاته فى أيام قليلة إلى مالا ينال بسنين كثيرة. أما من تاب على يده من العصاة فصاروا من أهل الاستقامة، ومن أسلم من الكفار فجم غفير. من ذلك أنه حضر مجلسه غلام من البراهمة المجوس جميل الصورة، فوقع عليه بصر الشيخ قدس سره فنزع فى الحال ربقة الكفر من رقبته ونطق بالشهادتين وحلى جيده بعقد الإسلام وذهب. ومرض خادم أعتابه المولوى الشيخ كرامة الله -قدس سره- بذات الجنب، فوضع يده المباركة عليه

وتوجه بهمته العلية فبرئ فى الحال ونظر مرة إلى سفينة وهى جارية، فوقفت من فورها. وكان أحد أصحابه الكرام الشيخ أحمد يار -قدس سره- مسافراً فى تجارة له، فرأى منصرفه من سفره حضرة الشيخ -قدس الله سره- قد دنا من دابته، وقال له: أسرع واسبق القافلة، فإن فى الطريق قطاعاً يريدون أخذ القافلة، ثم غاب قال: فأسرعت حتى سبقت السيارة فجاء القطاع فنهبوا القافلة ونجوت، ولم أزل حتى دخلت داري سالماً. وذكر حضرة زلف شاه -قدس الله سره- أنه أتى قاصداً زيارة حضرة الشيخ نور الله مرقده من مكان سحيق، فضل عن السبيل فرأى رجلاً مهاباً فأرشده قال: فقلت له: من أنت؟ قال: أنا ذلك الرجل الذى تريد زيارته. ووقع لى ذلك مرتين. وذكر الشيخ أحمد يار المومئ إليه أن حضرة الشيخ -قدس الله سره- توجه يوماً لتعزية امرأة صالحة من مريديه ببنت لها كبيرة وهو فى خدمته، فقال: هلا عوضكم الله عنها بغلام، فقالت: له بلا توقف يا سيدي إنى عجوز عقيم، وبعلى شيخ كبير، والولادة فى هذه الحالة مخالفة للعادة قال: إن الله تبارك وتعالى لقادر ثم خرجنا من دارها، فدخل سيدنا إلى مسجد فى جوارها، فتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله تعالى لها، ثم التفت إلى، وقال: إنى دعوت الله تعالى وظهر لى أثر الإجابة فيأتيها غلام، فكان كما أخبر -قدس الله سره- فلم تلبث أن ولدت غلاماً وعاش سنين عديدة ولله الحمد. ومرضت امرأة من أقارب المير أكبر على أحد أصحابه الكرام -قدس الله سره- فالتمس من حضرته -قدس الله سره- أن يدعو الله تعالى لها بتخفيف مرضها، فلم يفعل فألح عليه، فقال له: لا تبقى هذه المرأة أكثر من خمسة عشر يوماً، فبقدرة الله تعالى توفيت يوم الخامس عشر، لكن كان يتوجه المير على لها برفع

المرض خلال ذلك فلم يفد، فلما حضر الشيخ جنازتها، قال: إن بركات توجه المير ظاهرة عليها. وعاد قدس الله سره يوماً الحكيم نامدارخان فوجده في حالة النزع، وقد أغمضت عيناه وذهب شعوره، فسأله أهله أن يتوجه إلى الله بدفع مرضه، فنظر إليه -قدس الله سره- فعاد إليه إدراكه وفتح عينيه وكلمه برهة بكلام كثير، ثم قام، فلما وضع قدمه المبارك في باب داره قضى الله الحكيم نحبه رحمه الله تعالى. وحبس عم ميان أحمد يار -أحد أصحابه الكرام- على مال للسلطان، فجاء إليه وهو يبكي وذكر له ذلك، فقال له قدس الله سره: أرسل أحداً يخرجه من الحبس، فقال: كيف ذلك وقد أحيطت القلعة بالمحافظين من العساكر؟ قال: ماذا عليك؟ اذهب بأمري أحضره، قال: فذهبنا، وأخرجناه من الحبس، ولم يعترضنا من الحرس أحد، وأتى رجل من بخاري إلى الهند على طريق كابل فعبر في بحر الأنك فغرق له جمل عليه أمتعته وتجارته فنذر لحضرته أن أخرج الله له ماله رغيفين فأنقذ الله له ذلك من الغرق، فلما تشرف برحابه عرض له ذلك، فقال له قدس الله سره: وهل وفيت بنذرك؟ قال: نعم ومرض ولد المولوي الإمام الفضل رحمه الله تعالى مرضاً شديداً، فرأى في منامه أن حضرة الشيخ -قدس الله سره- أتى إليه وسقاه شراباً فأصبح وقد شفي من مرضة، فقدم هدية جسيمة لجنابه العالي فقبلها، وقال: هذه ثمرة سعينا في الليل: وأتى إليه شخص فقال له: يا سيدي قد فقد ولدي منذ شهرين فادع الله أن يرده علي، فقال له: إن الولد في دارك فتحير الرجل، وقال له: إنه الآن جئت من الدار، فقال قدس الله سره له: هو في الدار، فامتثالاً لأمره ذهب إلى الدار، فوجد الولد. ثم لما تولى الحكيم ركن الدين خان الوزارة العظمى أرسل إليه

يوصيه بأحد أعزائه، فلم يحتفل بوصيته فتغير خاطره الشريف عليه فعـــزل، و لم يتول بعد قط. وتغير خاطره الكريم على والى دهلى فعزل حالاً. وقدم نفر مـــن خلفائه من سفر فقبل أن يصلوا، قالوا: لبعضهم إذا وصلنا وتشرفنا بتقبيل قدمه المطهر، فماذا نؤمل منه؟ فقال أحدهم: أنا أريد سجادة، وقال الآخر: تاجـــاً، وقال غيره غير ذلك، فلما تمثلوا فى أعتابه أعطى كل واحد ما تمناه. وكان لـــه سقا، فمرض واشتد مرضه حتى قارب النزع، فحمله أحد أصدقائه وأتى به إليه وقت السحر فتوجه إليه فشفى، وقال المولوى كرامـــة الله -أحـــد أصـــحابه الكرام- قدس الله سره: لازمت خدمة حضرة الشيخ -قدس الله سره- مـــدة ورأيت العجائب والغرائب، فمن ذلك: أنى قمت من بين الجماعة مـــرة بعـــد صلاة الفجر وهو زمن المراقبة والذكر، فأخذت كتابى، وذهبت لأقرأ درســـى فنظر إلى شزراً، وقال: اجلس واشتغل، ففرط منى أن قلت له: إنمـــا قصـــدتكم لأنال النسبة بلا محنة، وإلا لأمكننى تحصيلها فى كل مكان، فقال لى: اجلـــس فبحق بهاء الدين لألقين إليك النسبة بلا محنة، وتوجه إلى فى الحال فغبت عـــن نفسي وسقطت، وكأنه أخرج قلبي من صدري، ثم بعد زمن أفقت، فإذا به قد فرغ من الذكر، وقد أصابتنى الشمس، وكان خواص أصحابه حينئذ حاضرين كالشاه أبي سعيد -قدس سره- فخجلت منهم، فقالوا: ما الذى اعتراك؟ فقلت لهم: غلبنى النوم فتبسموا. ووقع فى دهلى قحط، فخرج -قدس الله ســـره- إلى صحن مسجده فجلس فيه وكان شديد الحرارة من الشمس، وقال: يـــارب لا أبرح جالساً حتى تسقينا فمطر الناس من ساعتهم. وسألته امرأة أن يعطيها مـــا تطعم مريضاً فأعطاها خبزاً وقطعة لحم، فلما وصلت إلى دارها انقلب اللحـــم

حلواء ومات مريضها، ثم صار ذلك علامة على موت مريض يرسل به إليـــه. وطلب من جارة له وكانت رافضية مكاناً لتوسعة الرباط، فما رضيت بـــالبيع وأطالت اللسان فى شأنه، فرفع طرفه إلى السماء وقال: يارب سمعت كلامهـــا، فلم يلبث أن وقع فى أقاربها وذريتها الموت حتى لم يبق إلا واحد منهم، فوهبت ذلك المكان لحضرته. وجلس رجل مبتدع عند قبر حضرة الشيخ محمد البـــاقى بالله -رضى الله عنه- فمنع فما امتنع، فقال له الشيخ: بحق بهـــاء الـــدين أن لا تقدر على الجلوس فأخذه الحمى النافض فى الحال، فقام مضطراً ومات فى اليـــوم الثالث إلى غير ذلك. ومن أراد الزيادة فعليه بكتاب «الجواهر العلوية» لمولانـــا الشاه رءوف أحمد المعصومي فإن فيه العجب العجاب. كان قـــدس الله ســـره يقول: إنى أحب الشهادة فى سبيل الله تعالى، ولكن أتذكر ما حصل للنـــاس فى الشهادة شيخنا ميرزاجان جانان -رضى الله عنه- من البلاء إذ قحطوا ثـــلاث سنين، ومات بذلك خلق كثير، ووقع قتل وحروب لا تعد، فاترك سؤالها وقد غلب عليه البواسير آخر مرضه، وكان الشيخ أبو سعيد وقتئذ فى مدينة لكهنـــؤ فأرسل إليه فى برهة يسيرة كتباً كثيرة يحثه على الحضور ليكون قائماً مقامـــه، وأن يستخلف مكانه نجله الشيخ أحمد السعيد أحد خلفاء حضرة مرشد المكرم، فترك أهله وأتى مخفاً، فلما تشرف بلقائه قال له: كان مرادي إذا لقيتكم أبكى كثيراً، ولكن أتيتنى فى وقت لا يمكننى فيه ذلك ثم التفت بكليته إليه وأوصى له بخلافة الإرشاد العام، وكان من عادته المستمرة أنه إذا حصل له شائبة مـــرض أوصى قلماً، وأكد لساناً بمداومة الذكر، وتحسين الأخلاق، وتقويـــة النســـبة الشريفة، ومجاملة المعاملة مع الجميع والإعراض عن الاعتراض بلـــو ولم علـــى

مجاري القضاء، وملازمة الاتحاد مع الإخوان، والتفرغ للعبادة بالفقر والقناعة والرضا والتسليم والتوكل فجدد هذه المرة تلك العادة المستمرة، وقال: إذا قضى الأمر، فاحملوني إلى المكان الذى فيه الآثار النبوية التى فى جامع دهلى، واطلبوا لى من صاحبها الشفاعة، فلما كان وقت الإشراق من يوم الاثنين ثانى عشر صفر أمر بحضور أبى سعيد من داره سريعاً، فنظر إليه ثم وضع رأسه فى صدره وهو جالس على هيئة الاحتباء وقتئذ فالتحق بالرفيق الأعلى، فغسل بأمواه الأنوار، وكفن بأثواب الأسرار، وحمل على أطراف الأصابع إلى المسجد الجامع، وقد انقضت لأجله المجامع، وهرعت لرباطه الناس حتى غصت بالمشيعين الجواد والشوارع، فصلى عليه الإمام أبو سعيد ووضعوه تبركاً عند الآثار النبوية ثم أتوا به الخانقاه، فدفنوه فى الجانب الأيمن من البقعة المباركة التى ضمت مرشده الشهيد، وكان لمشهده فى دهلى يوم مشهور، وطفقت أدباء الهند تعمل الخاطر لإنشاء ندبه ورثائه بأنفس القصائد، وأبدع التواريخ كلها بالفارسية إلا تاريخين أحدهما: نور الله مضجعه، وثانيهما: فى روح وريحان وجنات النعيم، وله - قدس الله سره- خلفاء حنفاء، هم علماء الأولياء، وأولياء العلماء، ملئوا الخافقين إرشاداً، والثقلين إمداداً، من أجلهم وأعظمهم من سرى إلهي سر هذه النسبة المكنونة قطب العارفين.

سيدنا ومولانا أبو البهاء ضياء الدين الشيخ خالد قدس سره

هو العالم كل العالم الذى فاق علماء الآفاق، وشهد بفضله العالم على الإطلاق. والعارف كل مطلع أنوار بدور الطريقة، الذى لا يعتريه سرار.

والمطلع على أسرار الحقيقة وحقيقة الأسرار. والمرشد كل المرشد من سرى سره فى الأنام سريان الأرواح فى الأجسام. أحيى بهمته القوية من النفوس الغوية ما أحيى، وبكلماته الولاية ما لو لم تختم الدعوى النبوية لكان وحياً. ونشر من العلوم الشرعية ما طوى ذكر السلف، وأظهر من المعارف الأهلية ما خفى على كثير من الأولياء عرف ذلك من عرف. فهو عالم الأولياء الكاملين، وولى العلماء العالمين، انتهى إليه فى المعقول والمنقول علم الفروع والأصول، وأما بعد صيت إرشاده وامتداد بركة إمداده، فهو ظاهر فى الربع العامر ظهور البدور، فتبارك من جعله قطب دائرة الهداية وغوث إدراج النهاية فى البداية، وجدد به القرن الثالث عشر ومنحه الإقبال والقبول بين البشر، فلا غرو أن افتخرت الأرض بوجود سعوده وسعود وجوده، وادخرت السماء جبالاً من ثواب نفعه وتقواه وجوده. ولد -قدس الله سره- سنة ثلاثة وتسعين ومائة وألف فى قصبة قره داغ وهى من أكبر أعمال بابان على خمسة أميال من السليمانية ذات مدارس كثيرة وحدائق بهجة وأمواه غزيرة، وبابان صقع بنى كرد بن عمرو بن عامر المنسوب إلى قحطان، وظهرت منذ بدا إشارات أنه قطب أولياء الزمان. نشأ -قدس الله سره- فى هذه القصبة فى حجر والده الجليل سليل الولى الكامل بير ميكائيل شش انكشت أى: ذي الأصابع الست، العثمانى نسبة إلى أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان -رضى الله عنه- ووالدته السيدة الطاهرة يتصل نسبها بالولى الكبير بير خضر الفاطمي الشهير نسبا وحالاً فى بلاد الأكراد، وقرأ فى بعض مدارسها القرآن والمحرر للإمام الرافعى فى مذهب الشافعى، ومتن الزنجانى فى الصرف، وقليلاً من النحو، وبرع بالنثر والنظم قبل بلوغ الحلم

متخذاً الزهد شعاره، والتجرد دثاره، والجوع مطيته، وعدم الهجوع وسيلته، والانقطاع سميراً والهمة سراجاً منيراً، ثم رحل الرحل العديدة إلى البلاد البعيدة، وحصل فى العلوم فنون الفهوم، ثم عاد إلىنواحى وطنه فقرأ على العالمين الكبيرين والفاضلين النحريرين السيد الشيخ عبد الكريم وأخيه السيد الشيخ عبد الرحيم البرزنجي وعلى المحقق الصالح الملا محمد صالح، والعلامة ملا إبراهيم البياري، والفهامة الشيخ عبد الله الخرباني، ثم ذهب إلى أنحاء كوى وحرير فقرأ الجلال على تهذيب المنطق بحواشيه على الإمام اللوذعي والمحرر الألمعى الملا عبد الرحيم الزياري المعروف بملا زاده وغيره عن غيره، ثم انقلب إلى السليمانية فقرأ فيها وفى نواحيها الشمسية والمطول والحكمة والكلام، وغير ذلك على علمائها الأعلام، وقدم بغداد فقرأ مختصر المنتهى فى الأصول ورجع إلى محله المأهول. حدثني الوالد الماجد عن الجد الأمجد عنه -قدس الله سره- أنه لما قدم بغداد أول مرة وزاره عظماء العلماء، رأوا من علمه الزاخر ما يحسد عليه الأوائل الأواخر، وكان يومئذ يشرب الدخان حتى إذا خرجوا من عنده بالغوا بمدحه وحمده غير أنهم انتقدوا ذلك عليه، فلما بلغه صنع طعاماً ثم دعاهم إليه، فقبل أن توضع المائدة، قال لهم: هلم نتذاكر فى فائدة، وأخذ يبحث فى أن الأصل فى الأشياء الحظر أو الإباحة حتى توصل إلى الدخان، فما برح يناظرهم فيه حتى ألزمهم القول بحله بالبرهان، فلما سلموا ذلك أتى بمعدات التبغ وكسرها هنالك، وقال قدس الله سره: حيث تبين لكم فى الشرع أمره، فاشهدوا أنى أبطلته، وإنما فعلت ما فعلته لئلا يمر فى اعتقادكم أنى ما تركته إلا لانتقادكم، ثم لم يمسه قط ومن فهم غير ذلك فهو غلط. وكان حيث حل من المدارس هو الأتقى الأورع

السابق فى ميادين التحقيق كل فارس، لا يسئل عن مسألة من علوم الرسوم إلا ويجيب بأحسن جواب، ولا يختبر بغويصة من تحفة ابن حجر أو تفسير البيضاوى إلا ويكشف عن خرائد الفوائد النقاب، وهو يستفيد ويفيد ويقرر ويحرر فيجيد إلى إنصاف وذكاء خارق، وقوة حافظة بذهن حاذق، وإذا دقق فى درسه على ما أراد، يعجز أساتذته عن إرضاء ذهنه الحاد، وطالما ألقى السؤال واستشكل الإشكال فلم يكن للمجيب عنه إلا هو فى الحال، هذا مع تصاغره لدى أشياخه وأقرانه، وتجاهله عن كثير من المسائل مع إتقانه، حتى أنه كان يقرأ من الكتب الصعبة ما لم يصل إذ ذاك إلى قراءته بتحقيق يتحير فيه أهل مادته، فاشتهر خارق علمه، وطار فى الأقطار صيت تقواه وذكائه وفهمه، فرغب الأمير المحسان إبراهيم باشا والى بابان كذا فى أصفى الموارد، وفى المجد التالد أنه عبد الرحمن باشا، ولعل الراغب أكثر من واحد فى نصبه مدرساً قبل التكميل فى بعض المدارس، وأن يوظف له الوظائف، ويخصه بالنفائس، فلم يجده زاهداً فيما لديه من الحطام، واعتذر له بأنى الآن لست أهلاً لذلك المقام، ثم رحل بعدها على ستندج ونواحيها، وقرأ العلوم الحسابية والهندسية والاصطرلابية والفلكية على العالم المدقق قوشجى عصره، وجغمينى مصره الشيخ محمد قسيم الستندجي وكمل عليه المادة على جرى العادة. ورجع إلى الأوطان قاضى الأوطار، وصيته إلى أقصى الأقطار طار، فولى بعد الطاعون -الواقع فى السليمانية سنة ثلاثة عشر ومائتين وألف- تدريس مدرسة أجل أشياخه السيد الشيخ عبد الكريم البرزنجي وقد كان توفى فى الطاعون المذكور فشرع يدرس فى العلوم، ويحقق المسائل والفهوم، غير راكن إلى الدنيا ولا إلى أهلها مقبلاً على الله تعالى تبتلاً إليه

بأصناف العبادات فرضها ونفلها، لا يتردد إلى الحكام، ولا يحابي أحداً بتبليغ الأحكام، آمراً بالمعروف ناهيا عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، نافذ الكلمة محمود السيرة، أخذا بالعزائم حتى صار محسود صنفه عزيزاً في وصفه مع الصبر على الفقر والقناعة، واستغراق الأوقات بالإفادة والطاعة، إلى أن جذبه سنة عشرين ومائتين وألف شوق الحج إلى بيت الله الحرام، وتوق إلى زيارة روضة خير الأنام، فتجرد عن العلائق، وخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله الصادق، فرحل هذه الرحلة الحجازية من طريق الموصل وديار بكر والرها وحلب والشام، واجتمع بعلمائها الأعلام، وصحب في الشام ذهاباً وإياباً العالم الهمام شيخ القديم والحديث ومدرس الحديث الشيخ محمد الكزبري -رحمه الله تعالى- وسمع منه وأخذ عليه فقربه وقربه عينا وفاز بما لديه من علوم الإسناد وإجازات المسلسلة الجليلة المفاد، وصحب كذلك تلميذه الأخص الأصفى الشيخ مصطفى الكردي -رحمه الله تعالى- فأجازه كشيخه بأشياء منها: الطريقة العلية القادرية ثم خرج منها على جادة العزائم ممتعاً بأرغد عيش وأنعم حال دائم فوصل المدينة المنورة، ومدح الرسول ﷺ بقصائد فارسية بليغة محررة ومكث فيها قدر ما يمكث الحاج، وصار حمامة ذلك المسجد الوهاج. يقول قدس الله سره: وكنت أفتش على أحد من الصالحين لأتبرك ببعض نصائحه لعلى أعمل بها كل حين فلقيت شيخاً يمنياً متريضاً عالماً عاملاً صاحب استقامة وارتضا فاستنصحته استنصاح الجاهل المقصر من العالم المتبصر، فنصحني بأمور منها: أن لا تبادر في مكة بالإنكار على ما ترى ظاهره يخالف الشريعة، فلما وصلت إلى الحرم وأنا مصر على العمل بتلك النصيحة البديعة بكرت يوم الجمعة

إلى الحرم لأكون كمن قدم بدننة من النعم، فجلست إلى الكعبة الشريفة أقرأ الدلائل إذ رأيت رجلاً ذا لحية سوداء عليه زي العوام قد أسند ظهره إلى الشذوران ووجهه إلى من غير حائل، فحدثتني نفسي أن هذا الرجل، لا يتأدب مع الكعبة، ولم أظهر عيبه، فقال: لي يا هذا أما عرفت أن حرمة المؤمن عند الله تعالى أعظم من حرمة الكعبة؟ فلماذا تعترض على استدباري الكعبة وتوجهي إليك؟ أما سمعت نصيحة من في المدينة وتأكيده عليك؟ فلم أشك في أنه من أكابر الأولياء، وقد تستر بأمثال هذه الأطوار عن الخلق فانكببت على يديه وسألته العفو وأن يرشدني بدلالته إلى الحق، فقال لي: فتوحك لا يكون في هذه الديار، وأشار بيده إلى الديار الهندية، وقال: تأتيك إشارة من هناك فيكون فتوحك في تلك الأقطار، فأيست من تحصيل شيخ في الحرمين ويرشدني إلى المرام ورجعت بعد قضاء النسك إلى الشام. اهـ. فاجتمع ثانياً بعلمائها وحل في قلوبهم محل سويدائها، ثم أتى إلى وطنه بعد قضاء وطره بالبركات وباشر تدريسه بزيادة على زهده الأول، وعده الحسنات الأول سيئات، مستقيماً على أحسن الأحوال، متشوقاً إلى مرشد يسلك عنده طريق فحول الرجال، إلى أن أتى السليمانية نجم الهداية العرفانية مولانا ميرزا رحيم الله بك المعروف بمحمد درويش العظيم آبادي، أحد أجلاء خلفاء شيخه الأعظم القطب الدهلوي -قدس سرها- فاجتمع به وأظهر احتراقه واشتياقه لمرشد كامل يوصله إلى أربه، فقال له: إن لي شيخاً كاملاً مرشداً عالماً عاملاً، عارفاً بمنزل السائرين إلى ملك الملوك، خبيراً بدقائق الإرشاد والسلوك، نقشبندي الطريقة، محمدي بالأخلاق علما في علم الحقيقة فسر معي حتى نرحل إلى خدمته في جهان آباد، وقد سمعت

منه إشارة بوصول مثلك ثم إلى المراد، فانتقش القول في قلبه، وأخذ بمجامع لبه، وعزم على المسير بالتجريد تاركاً منصب التدريس بلا ترديد لمن يريد.

حب السلامة يثني عزم صاحبه   عن المعالي ويغري المرء بالكسل
لو كان في شرف المأوى بلوغ منىً   لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

فرحل سنة أربع وعشرين ومائتين، وألف الرحلة الأخرى الهندية من طريق الري، يطوي بأيدي العيس بساط البيد أسرع طي، فوصل طهران وبعض بلاد إيران، والتقى مع مجتهدهم إسمعيل الكاشي المتضلع بضبط المتون والشروح والحواشي، فجرى بينهما البحث الطويل بمحضر من جمهور طلبة إسماعيل فأفحمه إفحاماً أسكته، وأنطق طلبته بأن ليس لنا من دليل، ولما أفحمه غالطه بأشياء كلية، منها: أنه -قدس الله سره- قد كان وقف على ما في بعض تفاسير الشيعة من أن قوله تعالى: **﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾** [التوبة: ٤٣] نزلت عتاباً مع أبي بكر -رضي الله عنه- فقال الشيخ للكاشي: ما تقول في عصمة الأنبياء عليهم السلام؟ فقال الكاشي: كلهم معصومون، قال الشيخ: فما تقول في قوله تعالى **﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾** [التوبة: ٤٣]، والعفو يستلزم الذنب، فقال الكاشي: هذا عتاب مع أبي بكر لا مع النبي ﷺ، قال الشيخ: فإذا أخبر الله تعالى بأنه قد عفا عن أبي بكر؛ فأنتم معاشر الشيعة لم لا تعفون عنه فانبهت الكاشي وخجل خجلاً عظيماً. ثم دخل بسطام وخرقان وسمنان ونيسابور، وزار إمام الطرائق، البحر الطامي، الشيخ أبا يزيد البسطامي -قدس الله سره العزيز- ومدحه بمنظومة فارسية، وزار من في تلك البلاد من الأولياء الأمجاد حتى وصل إلى طوس، وزار بها مشهد السيد الجليل الأمانوس نور حدقة

البتول والمرتضى الإمام على الرضا ومدحه بقصيدة غراء فارسية أذعن لها الشعراء الطوسية، ولظهور البدع فيها عجل الارتحال والقيام إلى تربة شيخ مشايخ الجام شيخ الإسلام، الشيخ أحمد النامقى الجامى، فزاره ومدحه بمقطوعة فارسية بديعة، ثم دخل بلدة هراة من بلاد الأفغان، واجتمع مع علمائها بالجامع فجاروه فى ميدان الامتحان فوجدوه بحراً لا ساحل له، وأقر كل منهم بالفضل له، ولما رحل عنهم ودعوه بمسير أميال لما شهدوه فهي من بديع الحال فسار فى مفاوز يضل فيها القطا، ويخفق قلب الأسد مخافة خوارج الأفغان المقتحمين مهالك السطا.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت فى مرادها الأجسام

حتى وصل قندهار وكابل ودار العلم بشاور، فاجتمع بجم غفير من علمائها الأكابر، وامتحنوه من علم الكلام وغره بمسائل، رأوه فيها كالسيل الهائل، والغيث الهاطل، ثم إلى بلاد لاهور فسار منها إلى قصبة فيها العالم النحرير، والولى الوقور أخو شيخه فى الطريق والإنابة إلى مولاه الشيخ المعمر المولى ثناء الله النقشبندى، فطلب منه الإمداد ببركة دعائه، قال قدس الله سره: فبت فى تلك القصبة ليلة فرأيت فى المنام أنه قد جذبنى من خدى بأسنانه المباركة يجرنى إليه وأنا لا أنجر فلما أصبحت، قال لى: من غير أن أقص عليه الرؤيا سر على بركة الله تعالى إلى خدمة أخينا وسيدنا الشيخ عبد الله، مشيراً إلى أن فتوحى سيكون عند الشيخ المقصود، وهنالك تؤخذ المواثيق والعهود وتنجز الوعود، فعرفت أنه قد أعمل همته الباطنية العلية، ليجذبني إليه فلم يتيسر لقوة جاذبة شيخى المحول فتوحى عليه، فرحلت من تلك القصبة أقطع الأنجاد والوهاد إلى

أن وصلت دار السلطنة الهندية دهلي المعروفة بجهان آباد بعد مسير سنة كاملة، ولقد أدركتني نفحاته وإشاراته قبل وصولي بنحو أربعين مرحلة، وهو قد أخبر قبل ذلك بعض خواص أصحابه بوفودي إلى أعتاب قبابه. اهـ. وليلة دخوله بلدة جهان آباد أنشأ قصيدته العربية الرنانة من بحر الكامل يذكر فيها السفر وسائلا لمدح شيخه قدس الله سره الأنور، وسائلاً من الله القبول والشكر على نعمة الوصول شهرتها تغني عن ذكرها. وبعد وصوله تجرد ثانياً عن حوائج السفر، وأنفقها كلها على المستحقين ممن حضر، ثم أخذ الطريقة العلية النقشبندية من حضرة الشيخ قدس الله أسراره الزكية، واشتغل بخدمة الزاوية والذكر الملقن بفرط المجاهدة، فلم يمض عليه خمسة أشهر إلا وصار من أهل الحضور والمشاهدة وبشره شيخه ببشارات كشفية قد تحققت بالعيان، وحل منه محل إنسان العين من الإنسان مع كثرة تصاغره بالخدم وكسره لداعي النفس بالرياضة الشاقة، وتكليفها خطط العدم، وما تمت له سنة حتى صار الفرد الكامل، المصفى الواصل إلى المقام الأعلى، والمشهد الأنور، الأجلى مع الرسوخ في الدراية، والفناء والبقاء الأتمين والوصول إلى مقام الولاية الكبرى بلا مين، كما شهد له بذلك الشيخ -قدس سره- عند أصحابه، وفي مكاتيبه المرسلة إليه بخطه المبارك بعد رجوعه إلى العراق فعند ذلك خلفه الخلافة التامة، وأذن له بالإرشاد في الطرائق الخمسة العلية الأولى: النقشبندية بتلقيه لها عن رجال هذه السلسلة المسطرة الزكية، والثانية القادرية: بتلقيه لها أيضاً عن سيدنا الشيخ جان جانان المظهر، عن سيدنا الشيخ محمد عابد السنامي، عن سيدنا الشيخ عبد الأحد، عن والده سيدنا الشيخ محمد سعيد خازن الرحمة، عن والده سيدنا

الشيخ أحمد الفاروقى السهرندى المعروف بالإمام الربانى مجدد الألف الثانى، عن سيدنا الشاه سكندر عن سيدنا الشاه كمال الكيتهلي، عن سيدنا الشاه فضيل، عن سيدنا السيد كدار حمان الثانى، عن سيدنا شمس الدين عارف، عن سيدنا كدار حمان الأول عن سيدنا شمس الدين الصحرائي، عن سيدنا السيد شرف القتال، عن سيدنا السيد عبد الرزاق، عن سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلانى، عن سيدنا أبى سعيد المخزومى، عن سيدنا الشيخ أبى الحسن الهنكاري، عن سيدنا الشيخ أبى الفرج يوسف الطرطوسي، عن سيدنا الشيخ عبد الواحد بن عبد العزيز اليمنى، عن سيدنا أبى بكر الشبلى، عن سيدنا وسيد الطائفة الجنيد البغدادي، عن سيدنا السرى السقطى، عن سيدنا معروف الكرخى، عن سيدنا الإمام على الرضا، عن سيدنا الإمام موسى الكاظم، عن سيدنا الإمام جعفر الصادق، عن سيدنا الإمام محمد الباقر، عن سيدنا الإمام زين العابدين، عن سيدنا الإمام حسين عن سيدنا الإمام حسن، عن سيدنا الإمام على المرتضى، عن رسول الله ﷺ. والثالثة: السهروردية بتلقيه لها عن سيدنا جان جانان مظهر الشهيدي، عن سيدنا الشيخ محمد عابد، عن سيدنا الشيخ عبد الأحد، عن سيدنا الشيخ محمد سعيد عن سيدنا الإمام الربانى مجدد الألف الثانى الشيخ أحمد الفاروقى السهرندى عن سيدنا الشيخ عبد الأحد عن سيدنا الشيخ ركن الدين الكنكوهى، عن سيدنا الدرويش محمد بن قاسم الأردهى، عن سيدنا الشيخ بدهن البهرائجى، عن سيدنا الشيخ السيد أجمل، عن سيدنا الشيخ جلال الدين عن سيدنا الشيخ ركن الدين، عن سيدنا الشيخ صدر الدين، عن سيدنا الشيخ بهاء الدين زكريا الملتانى عن سيدنا الشيخ شهاب الدين السهروردي، عن سيدنا

الشيخ ضياء الدين أبي النجيب السهروردي، عن سيدنا الشيخ وجيه الدين عبد القادر السهروردي عن سيدنا الشيخ عبد الله عمويه، عن سيدنا الشيخ يار محمد عن سيدنا الشيخ أحمد الأسود الدينوري عن سيدنا الشيخ ممشاد الدينوري، عن سيدنا الطائفة الجنيد البغدادي، عن سيدنا السرى السقطى، عن سيدنا معروف الكرخى، عن سيدنا داود الطائى، عن سيدنا حبيب العجمي، عن سيدنا الحسن البصرى، عن سيدنا على المرتضى، عن رسول الله ﷺ. والرابعة: الكبروية: بتلقيه لها، عن سيدنا جان جانان المظهر، عن سيدنا نور محمد البدوانى، عن سيدنا سيف الدين، عن والده سيدنا الإمام المعصوم، عن والده سيدنا الإمام الربانى، عن والده سيدنا الشيخ عبد الأحد، عن سيدنا الشيخ ركن الدين، عن سيدنا الشيخ عبد القدوس الكنكوهي، عن سيدنا الدرويش محمد، عن سيدنا الشيخ بدهن، عن الشيخ أحمد الجوينوي، عن الشيخ حميد الدين السمرقندي، عن الشيخ شمس بن محمود، عن الشيخ أبي عطار، عن الشيخ أحمد، عن سيدنا بابا كمال، عن الشيخ نجم الدين الكردى، عن الشيخ عمار إلياس، عن الشيخ أبي النجيب السهروردي عن الشيخ أبي بكر الخير النساج، عن الشيخ أبي القاسم الكركانى، عن الشيخ أبي عثمان المغربى، عن الشيخ أبي على الكاتب، عن الشيخ أبي على الروذباري، عن الجنيد البغدادي، عن السري السقطي، عن معروف الكرخى، عن سيدنا الإمام جعفر الصادق، عن سيدنا القاسم بن محمد، عن سيدنا سلمان الفارسي، عن سيدنا أبي بكر الصديق، عن رسول الله ﷺ. والخامسة: الجشتية بتلقيه لها عن سيدنا جان جانان المظهر، عن الشيخ محمد عابد، عن الشيخ عبد الأحد، عن الشيخ محمد سعيد عن سيدنا

الإمام الربانى عن والده الشيخ عبد الأحد عن الشيخ ركن الدين، عن الشيخ عبد القدوس، عن الشيخ محمد عارف، عن الشيخ أحمد عارف عن الشيخ عبد الحق الردولوي، عن الشيخ جلال الدين البانى بتى، عن الشيخ شمس الدين الترك البانى بتى، عن الشيخ علاء الدين بن على صابر، عن شيخ الإسلام الشيخ فريد الدين كنج شكر، عن الشيخ قطب الدين بختيار الكاكى، عن الشيخ معين الدين حسن السجزى الجشتى، عن الشيخ عثمان الهارونى، عن الشيخ شريف الزندي عن الشيخ مورود الجشتى، عن الشيخ ناصر الدين يوسف الجشتى، عن الشيخ أبى محمد الجشتى، عن الشيخ أبى أحمد أبدال الجشتى، عن الشيخ أبى إسحاق الشامى، عن الشيخ ممشاد علو الدينوري، عن الشيخ هبيرة البصري، عن الشيخ حذيفة المرعشى، عن الشيخ إبراهيم بن أدهم، عن سيدنا فضيل ابن عياض عن سيدنا عبد الواحد بن زيد عن سيدنا الحسن البصري، عن سيدنا على المرتضى عن رسول الله ﷺ. وأجاز له رواية جميع ما يجوز له، روايته من حديث وتفسير، وتصوف، وأحزاب، وأوراد، واجتمع بإشارة من الشيخ بالعالم المحدث الواعظ الصوفى، صاحب التآليف النفيسة فى التفسير، ومترجم التحفة الإثنى عشرية التى ليس لها فى الرد على الروافض نظير، الشيخ المعمر المولى عبد العزيز الحنفى النقشبندي، نجل العالم العامل المسند المحدث الفاضل صاحب كتاب القول الجميل فى سواء السبيل، الشيخ ولى الله ابن العارف الشهير الشيخ عبد الرحيم النقشبندي الحنفى أحد أصحاب المرشد الكامل السيد عبد الله خليفة الشيخ الكامل آدم البنوري خليفة الإمام الربانى –قدس الله تعالى سره– فأجاز له رواية الكتب الستة، وبعض الأحزاب، وكتب له إجازة لطيفة، وصفه فيها، بقوله:

صاحب الهمة العلية فى طلب الحق، ثم أرسله الشيخ -قدس الله سره- بأمر مؤكد لم يمكنه التخلف عنه إلى بلاده، ليرشد المسترشدين ويربى السالكين بأتقن إرشاده وشيعه بنفسه نحو أربعة أميال عن جهان آباد فسار فى طريق البر والبحر خمسين يوماً لا يغتذي بغير الحضور والذكر حتى خرج من بندر مسقط من نواحي شيرازويزد وأصفهان يعلن الحق أينما كان، وكثيراً ما تجمع بعض الرافض لضربه وقتله بعد عجزهم عن أجوبة أدلة عقله ونقله، فهجم عليه بسيفه البتار، فنكصوا على أعقابهم وولوا الأدبار، ثم أتى همدان، وسنندج، فوصل السليمانية سنة ست وعشرين ومائتين وألف، فاستقبله أعيان وطنه بكمال الاحتفال والاحتفاء، وقدم فى تلك السنة بإشارة من شيخه بلدة الزوراء ليزور الأولياء، أيام وزارة المرحوم سعيد باشا ابن سليمان باشا فى زاوية الغوث الأعظم سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلي -رضى الله عنه- وابتدأ هناك بإرشاد الناس على أحكم أساس، فمكث نحو خمسة أشهر، ثم رجع إلى وطنه بشعار الصوفية الأكابر مرشداً فى علمي الباطن والظاهر، ولما اطردت سنة الله فى الذين خلوا من قبل أن يجعل حساداً لكل من تفرد بالفضل، وكلما كان الكمال والمحبوبية الإلهية أسد كان الإنكار والحسد أشد، هاج عليه بعض معاصريه ومواطنيه بالحسد والعدوان والبهتان، ووشوا عليه عند حاكم كردستان، بأشياء تنبو عن سماعها الآذان، وهو برئ منها كلها بشهادة البداهة والعيان.

قل لقوم حسدوه سؤددا … كم رأينا من شريف حسدا

فتسامى للمعالى وهووا … تحت رايات علاه سجدا

فلم يقابل صنيعهم الشنيع إلا بالدعاء لهم وحسن الصنيع، فلم تخب نـــارهم وما زاد إلا شرهم وشرارهم.

كل العداوات قد ترجـــى إزالتـــها   إلا عداوة من عاداك عن حســـد

فخلاهم وشأنهم فى السليمانية، ورحل إلى بغداد سنة ألف ومائتين وثمانيـــة وعشرين مرة ثانية، ونزل فى المدرسة الإحسائية الأصفهانية، وعمرهـــا بعـــد الخراب بالعلوم والأذكار آناء الليل وأطراف النهار، فألف أحد المعروفين مـــن المنكرين الذى تولى البهتان كبراً وغروراً رسالة ملئت منكراً من القـــول وزوراً وأرسلها مع سعاة الفساد إلى سعيد باشا والى بغداد متخذين الجراءة فيها علـــى تكفيره لتنفيره منه سبباً، كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كـــذباً فلما قرأ الوزير الرسالة المذكورة ألقاها من يده، وقال: إن لم يكن حضرة الشيخ خالد مسلماً فمن المسلم؟ سبحان الله! ما صاحب هذه الرسالة إلا مجنـــون، أو أعمى الله تعالى بصيرته من شدة حسده. نعوذ بالله، نعوذ بالله، وأمـــر بعـــض العلماء برد ذلك الافتراء، فانتدب له عمدة علماء الملة الشيخ محمد أمين أفندي مفتى الحلة بتأليف رسالة طعن بأسنة أدلتها أعجازهم، فولتـــهم الأدبـــار ثم لا ينصرون، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون. وختمت بأختام علماء بغداد وأرسلت إلى المنكرين فسلقتهم بألسنة حداد، فانطفأت نـــارهم وانطمســـت آثارهم.

من كان فوق محل الشمس موضعه   فليس يرفعـــه شـــىء ولا يضـــع

ورجع بعد هذه الأمور إلى السليمانية، محفوفاً بالكمــالات الإحســانية، ثم اعترف المعترض بافترائه وتشفع إليه قدس الله سره مع جملة من أحبائه، فقبل به شفاعتهم، وكتب له ما أوجب مسرتهم. ونظير ذلك، ما كتب بعض مشــايخ حلب إلى ساكن الجنان السلطان الغازى محمود خان يحذره على مملكته من قوة شوكته بما حشد من العدد والعدد، فكاد أن يسبق السيف العذل، ويبلغ الكتاب الأجل لولا أن ألهمه الله عز وجل، فأشار فى ذلك الإمام الهمــام مكــى زاده مصطفى عاصم أفندى شيخ الإسلام، فقال له: يا أمير المؤمنين! قال الله تعــالى **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًــا بِجَهَالَــةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾** [الحجرات: ٦]، فأرى أن ترسل لاستكشاف حاله معتمداً وليتلطف ولا يشعرن به أحداً، فأنفذ إليه رجلين قد تحلية درويشين جليلين فلما وصلا إليه، وقد أخفيا الأمر وأظهر الله عليه، أحسن لهما الوفادة، وأكرمهما فوق العادة ودعاهما إلى طعامه قدس الله سره، وأطلعهما بوسيلة تأخر الطعام وتسليتهما برؤية كيفية بيوت الشام على مساكن داره حجرة حجــرة فلما لم يجدا فيهن سوى أثاث الإقامة علما أن ذلك منه أكبر كرامــة، فقــبلا قدميه، وأوضحا الأمر إليه وأخذا عنه الطريقة العليــة، وأبيــا أن يرجعــا إلى القسطنطينية فقال: بل الأولى أن تعودا فتفيدا حضرة السلطان ما أرسلتما إليه، ومن شاء أن يرجع بعد فلا جناح عليه، فلما رفع الرجلان صــحة الأمــر إلى السلطان حمد الله عز وجل وشكر شيخ الإسلام، على ما فعل ثم عاد أحدهما إلى خدمته، وتوفى بدمشق ودفن فى تربته ثم لما رجع كما تقدم إلى السليمانية ومعه الخلفاء الحنفاء من فحول علماء بغداد وغيرهم، وعليهم أبهة الأنوار الفهوانيــة،

ورأى أميرها محمود باشا ابن عبد الرحمن باشا طاب ثراهما ما جبل الشيخ قدس سره عليه من إقبال العباد من كل البلاد إليه، والتجائهم إلى مقامه، واغتـــذائهم بأنعامه الروحانى والجثماني بنى له زاوية ومسداً ليكونا للعلوم والمعارف مصدراً وموردا، وتحرى أوجه الحل للنفقة فى ذلك ورتب الرواتب الكافية لكل طالب مواظب بها، وناسك سالك، فأبى الشيخ ما أجراه فألح عليه حتى أرضاه، فشرع بالإرشاد كما أرشد فى بغداد، فأقبلت إليه أهل الهمم كالعالم الربـــانى الشـــيخ اسمعيل الشيروانى، والفاضل الكامل الشيخ أحمد الأغربوزى، وغيرهم من أقصى البلاد أمداً ومن أقربها من لا يحصون عدداً، فطفق يربى سالكهم ويرشد ناسكهم ويدرس كافة العلوم ويحيى رسوم الأولياء، وأولياء الرسوم لا يشغله الخلق عـــن الحق ولا الجمع عن الفرق، حتى أصبح بابه محط رحال الأفاضل، ومخيم أهـــل الحاجات والمسائل. وقد مدحه أدباء عصره وقتئذ بقصائد فرائد عربية وفارسية ومؤلفات بديعة الأسلوب تأخذ بمجامع القلوب ثم إنه -قدس الله سره- عاد إلى بغداد ثالث مرة، ونزل فى المدرسة الإحسائية التى جددت لحضـــرته الضـــيائية فأخذ ينشر ما طوى من العلوم الدينية، ويطوى ما نشر من الرسوم الدنية، ويحيى ما فنى من السنة السنية، ويظهر ما خفى من المعارف اللدنية، إلى إفاضة أنـــوار وإفادة أسرار، فانقاد إليه علماؤها وعظماؤها ووزراؤها وأمراؤها، وأصـــبحت به بغداد ملتقى البحرين، ومطلع القمرين، وشاع فضله شرقاً وغرباً، ففرت إليه الناس عجماً وعرباً، فطفق يربيهم بنفسه الأنفس، ويمدهم بإمداد نظره الأقدس، حتى إذا تكمل أحدهم بعث به إلى أهل الأقطار، ليحيى موات قلوبهم بفيضـــه المدرار. ولقد أقدم الشيخ أحمد الخطيب الإربيلى قدس سره إلى دمشق الشـــام،

وكان عالماً عاملاً متفنناً ومنشئاً شاعراً محسناً ومرشداً كاملاً متقناً ذا كرامات مشهودة، ومقامات محمودة. وله رسالة فى الطريق تشهد برسوخ قدمه وعلو قدره وهممه، فلما وصلها ولقى أهلها، ونشر بينهم أعلام الإرشاد ألقوا إليه بحذافيرهم مقاليد الانقياد، بحيث لم يبق حاضر ولا باد إلا وأخذ الطريق عنه أو طلب الإمداد والبركة منه، أولهم: مفتيها الهمام، خاتمة الأكابر الأعلام حسين أفندى المرادي -رحمه الله تعالى- فامتلأت به دمشق نوراً، وأصبح علم علمه وعمله منصوراً، فكتب إلى الشيخ -قدس الله سره- شرح فتح البارى، وحبب الشام وأهلها إليه فانشرح صدره الكريم لهذا الشرح فى الحال، وتوجه إلى الله تعالى فى ذلك فورد الإذن الإلهى بالارتحال، فتفضل الحق تعالى على أهل الشام وأنعم، إذ هبت عليهم قبول إقبال هذا القطب المعظم، واختارها مطلع أنواره ومهبط أسراره، فأبقى أهله فى مدينة السلام، وحضر مع السيارة من طريق الدير إلى الشام فدخلها سنة ثمان وثلاثين بخدمه وحشمه، وجملة من العلماء الخلفاء والمريدين، ونزل فى خلوة السادة الغزيين التى فى جامع بنى أمية، فلم يأل جهداً بالقيام بخدمته حتى زوجه السيد إسمعيل أفندى بشقيقته السيدة عائشة التقية، ثم أمر بإحضار أهله من الزوراء وأرسل الشيخ اسمعيل الأنارانى يستقبلهم إلى حلب الشهباء فذهب ينشر خلال الطريق أسراراً، وينثر على كل فريق فى البلاد أنواراً حتى وصل إلى حلب، وقد حلب من القلوب بإرشاده ما حلب وجذب من الأرواح إلى الطريق ما جذب، إلى أن قدم إليها الحرم المحترم. وقد توفى معهم فى أرقة سيدى شهاب الدين نجل الحضرة فرجع بهم الشيخ اسمعيل إلى الشام فتهلل وجهه بوصولهم من مدينة السلام بسلام. ثم اشترى داراً رفيعة

فى محلة القنوات وتحول إليها، ووقف بعضها مسجداً وأقام فيه الصلوات الخمس بالجماعات، فغصت أبوابه بالزحام وهرع إلى خدمته الخاص والعام، وصارت رحابه مهبط جباه السالكين، وأعتابه معترك شفاه الناسكين، والوزراء عند قبابه وقوفاً، والفضلاء على محبته عكوفاً، يدخلون فى طريقته أفواجاً، فيفيض عليهم من بحار أنواره أمواجاً. ثم سرى هذا البحر براً إلى المسجد الأقصى وسار فى ركابه سراة فضلاء لا تحصى، فما أقبل على مترله إلا وأنزله أهلها من التجلة مترلة، وهو يفيض عليهم من إكرامه أنهاراً، ومن كراماته ما يجعل الليل نهاراً حتى إذا دنا من القدس الشريف خرج خليفته الإمام الفاضل السيد الشيخ عبد الله الفردى بموكب منيف، لم يتخلف عنه أحد من أهل البلد، وتلقوا حضرته بالتعظيم، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم، فترل بمن معه منازل الوحى ومواطنه، وأصبغ الله عليهم نعمة ظاهرة وباطنة، وقابل أهلها ببركات توجهاته وتوجهات بركاته، تقدم إليه بعض الواقفين بين يدي بأن يدخل كنيسة القمامة، فأبى ذلك عليه، فقال له: إن الشيخ عبد الرحمن الكزبرى قد دخل، فقال: عجباً له مما فعل إذ هو من المحدثين وقد سمع قول النبى المختار: «**من دخل كنيسة فكأنما دخل بيتاً من نار**» ثم أمر بالرحيل إلى مدينة الخليل والد الأنبياء العظام عليهم الصلاة والسلام، فاستقبله الكبير والصغير، وأجله المأمور والأمير، وتمثلوا بين يديه وسلموا نفوسهم إليه فأفرغ عليهم من إحسانه ما أفرغ، وسوغهم من عرفانه ما سوغ. وبه إليه أنه لما دخل مسجد خليل الرحمن جعل يلتجئ إلى الجدران، فقيل له فى ذلك ،فقال: كل ما تحت المسجد غار إلا ما كان محاذياً للجدار، ولا غرو فإن آداب الأولياء أولياء الآداب. ثم انقلب -قدس الله سره- إلى أهله مسروراً

كالشمس ضياء والقمر نوراً. وبه إليه رضوان الله عليه أنه نام ليلة عن القيام فرأى السموءل اليهودى فى المنام فلما أفاق ذكر ذلك لبعض عشيره، فسأله عنه: فقال فى تعبيره إنه إشارة إلى أن السموءل كان يضرب به المثل فى حفظ الأمانة وهو يهودى الديانة، فكيف ينبغى لمن تشرف بالإسلام النوم عن محافظة أمانة الحق تعالى، وهو القيام؟ ثم إنه خرج مع ركب الشام حاجاً إلى بيت الله الحرام عام أحد وأربعين وفى خدمته الجم الغفير من فضلاء الخلفاء والمريدين مؤيداً من الله عز وجل بالإقبال والقبول أينما حل، فأقبل عليه العلماء والأولياء من أهل الحرمين المحترمين، وعرفه أهل عرفة، وأجمعوا على محبته، واجتمعوا على قبول طريقته، فكم جبر بنظره إلاكسير كسيراً، وأجرى فى سبيل الله خيراً كثيراً، يبشره بأن له من الله فضلاً كبيراً. واستدار جمهور العارفين بقطبه، وطاف بالبيت بل طاف البيت به، ورجع هذا البر من طريق البر وكان مع الركب من كتب فى حقه من أهل حلب إلى ساكن الجنان السلطان الغازى محمود خان فتوسل أمر الحج إلى الحضرة -قدس الله سره- أن يعفو عنه فقبل توسله، ولكن بشرط أن يكتب بخطه أن ما ذكره فى حقه لا أصل له، فاستسهل الأمير هذا الأمر الخطير، وكلف الحلبى، فأبى وأخفق سعى الأمير ثم لم يزل محمولاً على أجنحة الاحترام حتى وصل إلى دمشق الشام، فقوبل بغاية الإجلال ونهاية الاحتفاء والاحتفال، ودخلها بموكب منير عديم النظير، محفوفاً بالعلماء والوزراء والأغنياء والفقراء للتبرك به والتماس دعائه والمباركة له والمشاركة فى هنائه مستبشرين بكرامة سلامته وسلامة كرامته فكان يوماً مشهوداً وموسماً معدوداً وعاد إلى ما اعتاد من الإقبال على نفع المسلمين، وإحياء شعائر الدين، وبث

علوم الظاهر والباطن، وتعميم نفحاته إلى جميع المواطن، حتى دخل العشر الأخير من شهر رمضان فطفق يتذاكر مع الإخوان الذهاب إلى القدس، وأظهر تمام الاهتمام والأنس، ووعدهم إلى خروج ركب الحج من الشام، ففرحوا ولم يدركوا ما أضمر في النفس.

أراد للقدس ترحالا فكان إلى حظيرة القدس حقاً ذلك السفر

فظهر الطاعون في شوال، فسألوه انجاز الوعد، فقال: ما نحن فيه من مصابرة الطاعون خير ثواباً مما ترغبون. وذكر أحاديث وأخباراً في فضل شهيده وجزاء الفار منه ووعيده، وكثيراً ما كان ينشد:

لـه مَلَكٌ ينادي كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب

وقال له رجل: ادع الله لي أن ينجيني منه فدعا له، فقال: يا سيدي ولكم أيضاً، فقال: إني لأستحي من ربي أن لا أحب لقاءه، وقال: ما جئت إلى الشام إلا لأن نموت في هذه الأرض المقدسة، وهذه الشهادة إن تمت فهي السعادة الأبدية فما نشب أن طعن قرة عين المريدين نجله سيدي بهاء الدين، وتوفي ليلة الجمعة في اليوم الثامن والعشرين من شوال، فما زاد على أن قال الحمد لله رب العالمين هذا مغناطيسنا وسنتبعه كلنا، ودفن في سفح قاسيون المشهور في مكان موات بعيد عن القبور، وكان سنة خمس سنين وأياماً وقد أتقن اللغة الفارسية والعربية والكردية، وأكثر القرآن، ثم تبعه يوم الاثنين تاسع شهر ذى القعدة الحرام أخوه سيدي عبد الرحمن، وكان أكبر منه بأكثر من عام فشيعه هو والأخوان إلى ذلك المكان. وأمر وقتئذ أن يحفر قبره الأنور، وعين محله ومحل

قبور حرمه الأطهر والخلفاء، وأن يحوط عليها بجدار ويبنى ثم صهريج فى مسيل الماء، وقال: أظن أنه سيبنى هنا تكية الفقراء، ثم نزل فأرسل إلى خلفائه وأحبائه، وأشهدهم أنه كان منذ سنتين من تاريخه وقف كل كتاب يخصه، ثم أتى لزيارته مساء يوم الثلاثاء نخبة المحققين السيد الشيخ محمد أمين عابدين، فقال لـــه: إنى رأيت فى المنام منذ ليلتين، أن سيدنا عثمان ذا النورين -رضى الله عنه- ميــت وأنا واقف أصلى عليه فقال له أنا من أولاده، يشير إلى أن هذه الرؤيا تومئ إليه، ثم صلى المغرب أقبل على خلفائه وعترته، وأشهدهم أنه أوصى بثلــث مالــه وجعل نظار كتبه السابقين على التعاقب أوصياء عليه، وعلى أنجاله، وأنه أقــام الشيخ العلامة إسماعيل الأنارانى فى دست الإرشاد مقامه آمراً ناهياً على جميــع خلفائه الأمجاد من خالفه فهو مطرود من طريقته وقال قدس الله سره لهم: اتفقوا ولا تختلفوا، ولا تخالفوا رأى إسمعيل. وقال: أنا ما مت حيث تركــت لكــم الشيخ إسماعيل. وقال: أنا أضمن لكل من لازم خدمته، وامتثال أمره أن ينال ما لا يحيط به عقل العقلاء، ويقصر عنه علم العلماء. وأمر أن لا يبكى عليـــه، ولا يعد شمائله، وأن يذبح من أحبه له أضحية، وأن يهدى لروحه الزكية القـــرآن والأدعية، وأن تقضى عنه جميع صلواته من بلوغه إلى حين وفاته، وأن لا يـــبنى على ضريحه، ولا يكتب عليه إلا هذا قبر الغريب خالد لتوضيحه، ثم بعد العشاء من ليلة الأربعاء دخل إلى الحرم، فجمع أهله وأوصاهن واستبرأ الذمة من كـــل حق عليه لهن، وأخبرهن أنه يقبض ليلة الجمعة. ولازلن فى حديث معــه حـــتى مضى من الليل خمس ساعات قام فتوضأ وصلى ركيعات، ثم قـــال قـــدس الله سره: إنى طعنت الآن فلا يدخل على أحد إلا مرة، ثم اضطجع على هيئة السنة

لا يسمع منه تأوه، ولا توجع إلى صبيحة يوم الخميس فدخل الخلفـاء عليـه، وسأله الشيخ إسماعيل عن مزاجه فأومأ بيده الشريفة إليه أن يقصر الكـلام ولا يطيل المقام، ثم قدم له الماء فلم يقبل وأشار إليه أنى أعرضت عن الدنيا، وأقبلت على الله عز وجل وبقى يذكر الله تعالى حتى سمع مؤذنه الملا عمر يقول فى أذان المغرب: الله أكبر، ففتح عينيه وقال: الله حق، الله حق، الله حق: **﴿يَـا أَيَّتُهَـا الـنَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾** [الفجر، ٢٧: ٢٩] ثم لحق بالرفيق الأعلى فى دار السلام ليلة الجمعة رابع عشرة ذى القعدة الحرام، سنة اثنين وأربعين ومائتين وألف وسنة خمسون سنة سـوى شهر ونصف، فحمل ليلتئذ إلى مدرسته فغسل وكفن بمباشرة كل من الشـيخ إسماعيل والشيخ محمد الناصح، والشيخ عبد الفتاح، والشيخ محمد الصالح طبق وصيته، ثم أحيوا تلك الليلة بقراءة القرآن حوله، فلما أسفر النـهار حمـل إلى جامع يلبغا على أنامل الأخيار،

خرجوا بـه ولكـل بـاكٍ حولـه   صعقات موسى حين دك الطـور

فأشار الشيخ إسماعيل للعلامة الجليل الشيخ محمد أمين عابدين بالصلاة عليه ولما لم يستوعب الجامع المتهيئين للصلاة عليه أعادوا الصلاة عليه -قدس سره- عند المقام، ولحده من تولى غسله وتكفينه، ودفن حيث أمر وأشار -أفاض الله عليه وعلينا به غيث جوده المدرار.

وله كرامات كثيرة منها: أنه نظر إلى بعض النصارى وهو يمشى فى الطريق فصاح النصرانى صيحة عالية وتبع حضرة الشيخ إلى الزاوية وأسـلم، وسـلكه

الطريق على يديه حتى صار من أهل الحضور، ومنها: أن رجلاً من المنكرين اجتمع عليه بعض الجهلة فعمل بهم حلقة كحلقة الختم استهزاء به وبطريقته، ثم تقدم ذلك الرجل على وجه الاستهزاء للتوجه إلى جماعته فجن لوقته، وخرج هائماً على وجهه فجاء به أهله إلى الشيخ يتضرعون إليه، فأمر بعض خلفائه بالتوجه إليه فوقع بخاطره أنه هل يفيق أم لا؟ فقال الشيخ: مكاشفة توجه إليه ولا تشك أن يفيق فبمجرد توجه ذلك الخليفة، رجع الرجل إلى صحته كأن لم يكن به آفة. ومنها: أن الطائفة البرزنجية أجمعوا على قتل هذا المرشد وانحط رأيهم أن يكون ذلك يوم الجمعة على باب المسجد الذي يصلى فيه، فلما كان هذا اليوم حضر مع خلفائه إلى الصلاة، فلما قضيت الصلاة خرج الخلفاء، فرأوا زهاء مائتين من الأعداء وقوفاً بالأسلحة، فما زالوا منتظرينه حتى خرج آخر الناس على سكينة تامة وثبات وافر، فلما توسطهم نظر إليهم بعين الهيبة قائلاً بالمد كلمه الله فمنهم من سقط فى الحال، ومنهم من صاح وانجذب، ثم مشى مع جماعة حتى وصل إلى زاوية ولم ينلهم مكروه. ومنها: أنه أخبر قبل أيام آله وعياله أنه يتوفى ليلة الجمعة فكان كما قاله. ومنها: ما نقله سيد الخلفاء العلماء الشيخ إسماعيل الأنارانى -قدس الله سره- النورانى عنه أنه قال عظم الله أجره: رأى الشيخ الأكبر -رضى الله عنه- رسول الله ﷺ فى الواقعة مرة فجعلها فى إكليل الفتوحات المكية درة وإنى رأيته ﷺ فى نحو مائة واقعة ولم أتكلم. ومنها: أنه لما بلغ فى الهند من الولاية مبلغ أرباب النهاية وأمره الشيخ أن يعود إلى الوطن ليحيى من العلوم ما ظهر منها وما بطن، حملته همته الكبرى أن يسير خمسين يوماً بحراً وبراً، ولم يتغذ فيهن بغير الذكر والفكر كما ذكرنا عند سفره

فى هذا السفر، وذلك لغلبة اللذة والسرور بالمشاهدة الأهلية والحضور، وبعد ذلك عوجل بالمال قليلاً قليلاً ثم عولج بتدريج الغذاء زمناً طويلاً حتى عادت له القوى وطوى عنه وهن ما طوى. ومنها: أنه لما شيع جنازة نجله سيدنا عبد الرحمن إلى الجبل، وأمر أن يهيىء له ضريح فى ذلك المحل أخبر أنه سيبنى أحد أحبائه تكية لفقرائه عند ضريحه الأنور فكان كما أخبر، إذ أمر ساكن الجنان السلطان الغازى عبد المجيد خان سنة ثمان وخمسين ببناء قبة عظيمة على روضة وتكية محتوية على مسجد وحجرات نفيسة لخدمته، وأدر عليها من سحائب الرواتب الغامرة ما تكفل أن تكون إلى هذا العام عامرة.

إن الذى قلت بعضٌ من مناقبه مازدت إلا لعلى زدت نقصانا

ومنها: أنه لما رفع إلى حضرته الضيائية أن حالت أفندى المشهور المنتسب إلى الطريقة المولوية الجلالية قد وشى عليه عند ساكن الجنان السلطان الغازى محمود خان، قال: قد حولت أمره إلى إمامه قطب العارفين مولانا جلال الدين الرومى -قدس الله سره- المبين بجلبه إلى جنابه الأنيق ومجازاته بما يليق، فبعد عدة أيام ظهر سر هذا الكلام وهو أن حضرة السلطان غضب على حالت أفندى الأفاك، ونفاه إلى قونية التى فيها مقام حضرة مولانا جلال الدين ثم أمر به فخنق هناك. ومنها: أن من جالسه وتابعه ولزم الأدب ظاهراً وباطناً معه انتفع من لحظة وفاز بالجوهر المكنون فى لفظه، وملئ من الأنوار والأسرار، ووجد تأثير ذلك فى الحال، وزهد قلبه عن حب الدنيا والجاه والمال، واستيقظ من غفلته متفكراً فى المآل، ورغب عن الأهل والعيال، وهذه الخاصية لا توجد إلا عند الكمل من الرجال، وله قدس سره خلفاء حنفاء أولياء أصفياء علماء عظماء سائحون

عابدون لا يدرك كثرهم العادون. أقتصر منهم على ذكر أقدم الخلفاء. وأقوم الصلحاء شيخ هذه السلسلة المبجلة ونسخة أذواق هذه السلسلة مولانا وسيدنا سراج الملة والدين.

الشيخ عثمان الكردى العراقي الطويلى قدس سره العلى

وهو سلطان دولة العارفين. وقبلة توجه أسرار المرشدين. فضلاً عن المسترشدين. أستاذ الأساتذة. وحامل لواء السادة الجهابذة. وبحر لكنه ما حوى غير الدرر. وشمس إلا أنه لم يستفد من نوره إلا كل قمر. ولئن كان للإرشاد فلك فهو قطبه الذى عليه يدور: وشمسه الذى فيه تسير. فكم جذب بأول نظرة من نظراته روافض ونصارى من حضيض الرفض والنصرانية إلى أوج الإسلام. وكم أخذ بأوائل توجهاته نفوساً طالما عكفت على نسيان خالقها حتى أوصلهم إلى الجمع التام. كنت إذا رأيته جالساً وسط أهل إرادته. خلت أن نقشبند بعث وعاد يبث أنوار طريقته. وكيف لا و لم يكن إرشادة إلى الله تعالى فى الأكثر إلا بلسان الحال. وأنى هو من لسان المقال. وماذا أقول فى عارف كان مراد الحق لا مريده ومخطوب الحضرة لا خاطبها. ومطلوب العناية لا طالبها . أفردت مناقبه بالتصانيفَ الكبار غير أنها باللغة الفارسية. وهى بين أهلها شهيرة غير خفية. وسأورد لك منها نبذة تكون كالعنوان لما غاب منها، وأرشفك رشحة من هاتيك البحار التى لا منتهى لمباديها فضلاً عن غاياها.

ولد -قدس سره- أواخر القرن الثانى عشر سنة خمس وتسعين ومائة وألف بطويلة بوزن مدينة وهى بلدة على مرحلتين من السليمانية، وبها نشأ فى حجر

والده، وكان أبوه رئيساً بتلك الناحية آمراً ناهياً مطاعاً مقبول الكلمة نافذ الحكم، وكان للشيخ أخوة يشتغلون بما يناسب منصب أبيهم أما الشيخ، فمنذ ترعرع شاباً حبب إليه الخمول، وزين له التجرد، فكان يختلف إلى بغداد كثيراً متجرداً وأكثر ما يكون عند قبر الشيخ عبد القادر -قدس سره- ولكونه -رضى الله عنه- فطر على هذا الحال من التقشف وعدم المبالاة بالدنيا وكمال الإعراض عن زخارفها كان أبوه لا يكترث بشأنه ولا يبالى به، وكان على هذا الحال حتى قدم مولانا خالد السليمانية. حاملاً أعباء الخلافة النقشبندية. فذهب بالإشارة الإلهية فى أيامه الأولى إلى بلدة والده طويلة، فاستقبله وأنزله مترلته، ثم سأله أن يحضر له أولاده، فلما مثلوا بين يديه قدس سره العزيز قال له: لم يبق لك من الولد غير هؤلاء؟ قال: ولد خامل لا حاجة لك إلى رؤيته، فقال: أليس هو عثمان؟ قال: بلى، قال: ما جئت إلا لأجل تربيته واستحثه الشيخ على أن يحضره فاستقدمه أبوه، وكان إذ ذاك ببغداد وسلمه لحضرة الشيخ فتقبله قبولاً حسناً وتحول به من طويلة إلى بيارة، وأمره أن يتفرغ فى مسجد من مساجدها للذكر والفكر فأقبل بكنه همته على امتثال أمره. وجعل الأستاذ يلحظه آناً فآناً بعين سره. حتى أتم الله على يده بدره. وأكمل بفضل عنايته أمره. وكانت بدايته -رضى الله عنه- على قدر نهايته، وكانت نهاية النهايات. ترك الكل وراء ظهره ولم يبال بمنصب أبيه. ولم يلتفت إلى ما بيديه من الأموال. فاكتفى من اللباس بما يقى الحر والبرد وتحرى من الأطعمة الحلال. وهو كما لا يخفى عزيز، فكان يطيل الجوع حتى إذا اشتد به دفع ضرورته، بالحشائش والنباتات التى لم يستنبتها الآدميون، وأمسك لسانه إلا عما أوجبه الشرع أن يطلقه فيه، وكان

إذا رآه الرائى يظن به عجزاً عن الكلام خلقياً. أو خرساً فطرياً. وجعل يستغرق ليلة ونهاره فى الاشتغال الخالدية النقشبندية حتى كانت كل أوقاته أربعينيات. ولم يسمح لنفسه ولا طرفة بالغفلات. وأخذت يد العناية الإلهية. بيمين الهمة الخالدية. تحرق له حجب الظلمات. وتكشف له عن ملكوت الأرض والسموات. حتى لقد سمعت عن بعض الثقات الذين تشرفوا بصحبته. وكانوا من السابقين لخدمة سدته. قال: سمعت الشيخ يقول: كنت وأنا مشتغل بالنفى والإثبات، ينكشف لى مما تحت الثرى إلى العرش الأعلى عند النطق بكلمة لا؟ فأنظر إليه بنظر الفناء واجعله داخلاً تحت النفى، ولا تسأل عما يتجلى عند الإثبات، ولم يثنى شىء عن طلبه عز وجل، وقال: لاشيخ أيضاً لى كذا وكذا سنة كلما وصلت فى التشهد فى الصلاة إلى قولى، وأشهد أن محمداً رسول الله أرى شخصه المبارك ﷺ، وأسمعه يقول: صدقت صدقت. ولا عجب فمن أحرقت بدايته، أشرقت نهايته. ولا سيما وهو من رجال طريق بدايتها نهاية غيرها هذا ولم يزل دائباً مجداً حتى أفرغت عليه حلل التكميل، وأمره الأستاذ -رضى الله عنه- أن يوجه همته العلية إلى إنقاذ المريدين، وأجازه بالإرشاد والتوجه إجازة عامة فتقبل بكمال الأدب والضراعة إجازته ثم لم تصرفه إجازة إلى الخلق بل كان معها مقبلاً على شأنه غير مضيع لآنه متهماً لنفسه بالقصور. عن بلوغ تلك القصور. وظاناً أن مثله ليس أهلاً للجرى مع فرسان هذا الشأن حتى ورد عليه إذن إلهى لا يستطيع معه القرار إلا إلى تعليم الخلق من أنفسهم إلى الله الفرار. ولما تشرف الإرشاد باستوائه على عرشه جعل -رضى الله عنه- يتفرس فى الناس، فكل من رآه أهلاً للدخول فى هاتيك الحضرات تذكره فى

خلوته ليلاً فلا وربك لا يصبح هذا الشخص إلا وهو مراد. ولا يمسى إلا وقد ألقى إلى حضرة الشيخ القياد. فيفرغ عليه هو حلل الجذبة. ولا يزال يدنيه حتى يجمعه وربه. فيالله كم أحيى من موات نفوس أبيه. بما سقاها من كؤوس السلاف الخالدية. ومتى رأى للمريد إخلاصاً خيره بين أن يرجع لأهله ويسافر فى وطنه لربه وبين أن يقيم معه على أن يصبر على أكل النباتات. وترك المشتبهات فضلاً عن المحظورات. فكان بيمن همته. وقوة نظرته. يصبر المريد معه على خشونة العيش وتحمل المشاق. فى مرضاة الحق. فلما قضى والده نحبه تحول بمريديه إلى طويلة مسقط رأسه، وبنى على طرفها خانقاه عظيمة متسعة احتاط فى وجه بنائها على عادته، فعكف فيها بالمريدين على الذكر والفكر، وأقبلت الناس من أطراف العراق تفد إليه وهو يربى الكل بنظراته، وتزايد الإمداد حتى كنت ترى عنده كل يوم ألف وارد وألف صادر، ثم لم يزده إقبال الخلق عليه إلا إقبالاً على خالقه وزهداً فى دنياه، أستغفر الله، ومن قدر الدنيا حتى يزهد فيها مثل هذا العارف؟ بل كان كل يوم من أيامه مغبوطاً، وبعناية الحق على ممر الآنات ملحوظاً، ثم ما برح جارياً على موجب: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ [النحل: ١٢٥]، وسائراً على مقتضى: «**ياداود إذا رأيت لى طالباً فكن له خادماً**» حتى فتح الله به آذاناً صماً، وعيوناً عمياً، وقلوباً غلفاً بحكم الوراثة والتبعية لخاتم الرسل ﷺ، وحتى فتح للعلوم اللدنية منفذاً فى قلوب الأميين من أتباعه فضلاً عن علمائهم، وكان له -قدس سره- أرسخ قدم فى مقام المراقبة، ولهذا كان يغلب عليه السكون وأطراق الرأس، فإذا رفع رأسه إلى الحاضرين صاح أكثرهم من كثرة ما يلقى على بواطنهم من

الأنوار وقت ذلك الرفع، وجمله الله تعالىٰ بجلال عظيم فلـم يكـن يسـتطاع الجلوس بين يديه بل أكثر الحاضرين وقوف بين مستغرق مع السكوت وغائب مع الجذبة. وكان كثير ممن يفد على الشيخ لتعلم الطريقة العلية تفـاض عليـه الجذبة بمجرد وقوع بصره على حضرة الشيخ قدس سره فيلبث فيها زمناً طويلاً قبل التلقين. ولما انتشر صيته في الآفاق، وطار شذا إرشاده في العراق، جرت فيه سنة الله تعالى التي خلت في الصديقين من قبله فوشى به أهـل الغبـاوة مـن المنكرين، ووصفوه بما لا يليق عند علامة العراق الشيخ عبد النبى الروانـدزى نسبة إلى رواندز براء فواو مفتوحتين فألف فنون ساكنة فدال مكسورة فـزاى قرية على ثلاثة مراحل تقريباً من طويلة، وكان عالماً مشهوراً تقصده طلبة العلم للتلقى عنه كل من كل مكان، مقبول الكلمة عند الحكام، معظماً وقوراً فكان إذا فقد طالب علم من درسه يسأل عنه، فيقول له من لا دين لـه مـن أهـل الحسد: إنه ذهب إلى ضال مضل من شيوخ العراق، يعنون حضرة الأسـتاذ -قدس سره- فبعث الشيخ المذكور إلى الوالي أن يرسل له عسكراً ليذهب بهم إلى القبض على الشيخ وحسن له ذلك جداً، فلبى طلبه وأرسل إليه العسكر فقام بهم إلى طويلة ومعه بعض الطلبة حتى إذا كان بقر بها قال للعسكر: على رسـلكم حتى أذهب أولا فأتعرف حاله، فإن احتجت إليكم أرسلت فذهب ومعه الطلبة، فلما وصلوا إلى الشيخ فإذا الناس وقوف بين يديه كما وصفنا والشيخ مطـرق برأسه فسلم على الشيخ، فلم يزد على أن رد عليه السلام، ونظـر إلى الطلبـة فأمرهم بالجلوس وجعل يحدثهم كما هى عادته مع الوافدين عليـه بشـئونهم الماضية وأحوالهم المستقبلة فسعدوا فى الحال بمحبته، فقضى الشيخ عبد النبى مما

رأى عجباً و لم يزدد بذلك على الشيخ إلا غضباً، فلما كان وقت المغرب تركه الشيخ، ودخل مترله فجلس مبهوتاً متحيراً ثم جئ بالطعام للمريدين، فـأعطوه كأحدهم فرمى به من شدة غضبه وقام يذهب ويجئ بجنب عين هناك يتوضـأ منها حتى كاد وقت المغرب يذهب، فنظر إليه خليفة من خلفاء الشيخ يسـمى الشيخ على الكبير، وكان أمياً وقال له: مالك هكذا كالحمار الذى لا صاحب له فجعل يستعيد منه هذه الكلمة ويقول: إنى أشعر عند سماعها بظلمات تنفصل عنى وأنوار تدخل فى باطنى، فجعل يعيدها له ويقول: له أنا جاهل أمى وأنـت عالم كبير، فهات ما استندت عليه فى الإنكار على الشيخ حتى أريك الحق مـن الباطل استندت إلى قول ابن حجر، فى صحيفة كذا من كتاب كـذا لكنـك غفلت عن قوله فى الصحيفة الفلانية كذا وكذا، فأخذه العجب من علمه مـع أميته، وجعل سحاب الغين ينقشع عن عين بصيرته، حتى أصبح وهو من كبار المخلصين لحضرة الشيخ -قدس سره- فأحال الطلبة إلى غيره من المدرسـين، وأرسل للعسكر أن انصرفوا فإنا كنا مخطئين. وأقام هو لتعلم الطريقة وسلوكها، وحظى من الشيخ بكمال الالتفات و لم يبرح من طويلة حتى أتم الله عليه ببركة الشيخ نعمة الوصول وصار ابن الراشدين المرشدين، ذوى الخلفـاء الكـثيرة، والكرامات الشهيرة ولحضرة الأستاذ كرامات لا تحصى، منها: ما سبق، ومنها ما نقل عن بعض أصحابه: أنه ترافع إليه -رضى الله عنه- شخصان يشـتكى أحدهما من الآخر، فقال الشيخ للظالم منهما بشدة وزجر: أخف فسـقط فى الحال ميتاً. ومنها: ما حدثنى به بعض ثقات الأكراد أنه قال: رأيـت ببلـدنا غريبين ترى سيما الصلاح عليهما، فاستضفتهما، فأجابانى فسألتهما بعد القرى

من أين؟ وإلى أين؟ فأخبراني أنهما مسكوفياً الجنس أكرمهما الله بالإسلام، وهما يقصدان الحج، فسألتهما عن سبب إسلامهما، فذكرا أنهما كانا ببستان لهما في أرض المسكوف فإذا شيخ ذو لحية كثة عليه هيبة ووقار، فلما نظراه ارتاعا منه وفرا ثم عاداً في اليوم الثالث، فإذا الشيخ الذى رأياه فعادوا الفرار، ثم رجعا بعد ثلاثة أيام، فوجداه كذلك، وقال لهما: أنا عثمان الطويلي هلم معى إلى طويلة بمكان كذا ووصفها لنا فأردنا أن نتبعه، فلم نره فلم يقر لنا قرار حتى وصلنا إلى الشيخ، فلما رآنا سألنا من أين؟ فقلنا: أنت تعلم بحالنا، فقال: نعم ثم علمنا الإسلام وشرائعه، وأمرنا بالحج في هذا العام، وها نحن متوجهان كما أمرنا قدس سره. ومنها: ما ذاع وشاع أنه لا يوافيه أحد ممن نأى أو قرب إلا ناداه باسمه، واسم أبيه قبل أن يسأله عنهما، وذكر له ما مضى من أحواله على ما هو عليه، وأخبره بما يقع له في المستقبل فيكون كما أخبر. توفي -قدس سره- ببلده سنة ثلاثة وثمانين ومائتين وألف وسنة ثمان وثمانون سنة. وله خلفاء كثيرون كلهم على عرش المعرفة مستوون أجلهم قدراً. وأظهرهم سراً ولده القطب الأرشد. والغوث الأمجد.

مولانا وشيخنا الأستاذ الأكبر الشيخ عمر قدس سره

وهو رحمة عظمى أهدتها يد العناية إلى العالم فتلقاها بالقبول. ودرة كبرى تزين بها تاج أهل المعرفة والوصول. عارف تبوء من المعرفة أعلى غرفها. وولي فاز من الولاية بأبهج طرفها. إنسان عين الإرشاد المحمدي. ومهبط صيب الإمداد الأحمدى. سيد ألقت إليه سلطنة الأولياء مقاليدها. وجهبذ ما أحق

قطبية الأصفياء أن تجعله واسطة عقد جيدها. وكيف لا وقد كانـــت النظـــرة الأولى من نظراته تحيل فى الحال أردأ معدن ذهباً صرفا. وتقلب من حينها أشد القلوب سواداً فتجعله أشد بياضاً من اللبن أو أصفى. إلى همم تزول لها الجبـــال الراسيات وأنفاس تنهل بها أمطار الرحمات. ولا غرو فهو علم هداية ما أرفعه. وبحر كرامات ما أوسعه. فكم تشرف على يديه بمعانقة مخدرات المعارف من لم يكونوا لها قبل أكفاء. وكم أخرج بيمن همته من ظلمات الكفر من صاروا بعد فى الناس أضواء. كم أفاض نوَر الحضور على قلوب ما عرفت إلا الغفـــلات. وكم أجلس على عرش المحبة الذاتية أنفساً طال زقادها-على أرض الجفـــوات. وبالجملة فهو فرع ربا على كثير من أصوله السابقين. وثمرة اجتمع فيها ما تغرق من محاسن ثمار البساتين.

لـــــيس علـــــى الله بمســـــتنكر　　　أن يجمـــع العـــالم فى واحـــد

فلله هو من زجاجة عكست على العالم شعاع سبحات الـــذات الأقـــدس، وأوصلت إلى مشام الأرواح شذا ذلك الحمى الأرفع الأنفس. اشـــترك بيـــان الخطباء وبنان الكتاب فى العجز عن إحصاء بعض مناقبه، وكيف لا وقد كـــان باطنه الشريف مخزن أسرار الحق ومهبط مواهبه وماذا تدرك العقول من مخطوب العناية الإلهية؟ ومخطوف يد الجذبات الذاتية. لكن لا بأس من الإلماع إلى بعض مآثره. والإشارة إلى قليل من مفاخره. فإن بناء كتابنا هذا على الاختصار. ولد قدس سره بطويلة بلدة والده -رضى الله عنهما- سنة خمس وخمسين ومـــائتين وألف ونشأ فى حجر والده يتقلب على مهد الولاية، ويرتضع ثـــدى المعرفـــة وكانت أمارات العناية عليه فى صغره لائحة. وأشراط الولاية فيه قبـــل بلوغـــه

واضحة. آتاه الله من الذكاء ما حصل به العلوم فى مدة قليلة حتى كان فيها بارعاً وفطر الله قلبه على الجمعية والحضور، فكانت أكثر أوقات فراغه تمضى على الجمعية. ولما رأى والده كمال استعداده أقبل عليه بيمن همته يربيه التربية الروحانية، ولا تسأل عن تربية الأصل بفرعه، ثم أمره أن يتحول إلى قرية بيارة ويقيم بها ويشتغل فيها بالذكر والمجاهدات وهى على ساعة من طويلة، فأقام -رضى الله عنه- فيها حسبما أشار إليه والده العارف -قدس الله سره- وهو يستخرج نضار نفسه المباركة بنار المجاهدات المحرقة. فكان يختلف إلى طويلة مراراً عديدة يحمل الحطب على ظهره المبارك للمريدين من بيارة إلى طويلة. وكان ذلك يشق على خدمة العتبة العلية العثمانية، فيخبرون الأستاذ والده بذلك فيقول: دعوه إن ذلك ينفعه وإن المرء لا يخدم حتى يكون خادماً. ومن أراد أن يرتفع فليتواضع. وما زال مشمراً ساعده فى الذكر والفكر حتى كان يوضع الثلج على ظهره فيذوب فى الحال من شدة حرارة ذكره. واستمرت مطايا العناية الإلهية تقطع به مفاوز الطريق. ورسل الكفالة الربانية تنشله من أوحال التعويق. وسقاة الهمم النقشبندية يديرون عليه أحلى رحيق. حتى سبق أهل السبق وفاز بالقدح المعلى. من بين طلاب الجناب الأعلى. ولما رأى والده العارف -قدس الله سره- وصوله إلى نهاية النهاية وبلوغه إلى الغاية التى ما فوقها غاية أجاز له بالإرشاد والتوجه إجازة عامة مطلقة، وأمره أن يوجه شمس همته إلى أرض قلوب أهل الاستعداد فلم يطق ذلك فى حياة والده -رضى الله عنه- واستمر دائباً على الاستغراق فى الأحدية. وذائباً فى نسبة الاستهلاك بالحضرة القدوسية. وغلب عليه التواضع فكان لا يسمح لأحد بتقبيل يمينه المباركة،

وكان إذا حضر لزيارة والده ربما وقف على قدميه من الصبح إلى الظهر لا تسكن عبراته، والشيخ يسارقه النظر ويمده من نور الله بما لا تحيط به الفكر. وكانت له من ذلك فى حياة والده خوارق عجيبة وتصرفات غريبة. لكنه لم ينسبها إلى نفسه بل يحيلها على همة والده ونفسه. فلما لحق والده بالرفيق الأعلى، أجمع الخلفاء على أن يقيموه مقامه فأبى، وسلم مسند الإرشاد لأخيه الأكبر العارف الشيخ محمد بهاء الدين فلبث أياماً قليلة ثم لحق بوالده -رضوان الله عليهما- فتقدم إليه الخلفاء ثانياً بالتضرع والإلحاح فى أن يقوم مقام والده العزيز، فقبل على الكره منه واختار بيارة موطناً لإرشاده ولم يذهب إلى طويلة رعاية لكمال الأدب مع والده الماجد قدس سرهما. ولما سعد العالم بالتفات همته العلية فاضت بركاته فى العراق. وسارت كراماته سير الشمس فى الآفاق. فكان لا يقع بصره على رافضى إلا رفض الرفض ورجع إلى الاعتدال، وصرخ صراخ الجذبة فى الحال. ولا يقابله فى طريقه نصرانى إلا أسعد بشرف الإسلام لوقته قبل أن يفاتحه بكلام، أو يبدأه بخطاب حتى لم يسمع فى العراق بمثله عارفاً هدى الله على يديه هذا العدد من الخلق. وسافر -رضى الله عنه- مرة وكنت فى شرف صحبته فى تلك السفرة التى سافرها فمر بنا على بلدة أكثر أهلها روافض، فنزل وأمرنا بالنزول قريباً منها فغلب الخوف علينا من شر أهل هذه البلدة فإنهم لا محالة يعرفوننا بالأذان، فلما كان وقت المغرب أمر حضرة الأستاذ بالأذان جهراً ولا تستطاع مخالفته، فأذن المؤذن، وصلينا وجلس الشيخ كعادته مراقباً مطرقاً مغمضاً عينيه، فبينما نحن كذلك إذا أقبل بعض روافض أهل البلدة يريد الشيخ بعصا فى يده، فرفع رأسه وأشار إلينا أن دعوه، فما زال يمشى حتى إذا كان بين

يدى الشيخ -رضى الله عنه- أخذ منه العصا، فأعطاها له بدون توقف، ثم حل الأستاذ منديلاً كان فى وسطه وفتله بيده الكريمة، وقال: أبسط كفك أضـــربك بهذا المنديل عشراً وأبسط كفى فتضربنى به مثلها ففعلا، وجعلنا نعجب من هذا الأمر، ثم قال الشيخ: خذه فاضرب به من لقيت، فما ولى وجهه عن الشـــيخ حتى سمعناه يصيح صياح الجذبة، ولا أصبحنا حتى خرج الروافض إلا قليلاً إلى حضرة الأستاذ بين صارخ وباك وتائب يتضرعون إلى الشيخ فى الترول عندهم، فأجاب طلبهم وأسس هناك خانقاه عظيمة، وما فارقهم حتى جعل فيهم معلماً للشريعة والطريقة واستقام أمرهم حتى الآن.

ومن عجائب أحواله وكلها عجائب، أنه سافر مرة إلى بغداد وكنت متشرفاً بصحبته ومعه عدد كثير من الخلفاء والمريدين، فكان لا يمر ببلد إلا اهتدى فيها من شاء الله ممن لا أحصيهم كثرة، فلما كان قريبا من بغداد أمر من معـــه أن يذهبوا فى صحبة مولانا الشيخ محمد القراداغى أحد خلفاء والده إلى خانقـــاه مولانا خالد التى ببغداد، وأمرهم أن يكتموا خبر قدومه، وقـــال: إنى أريـــد أن أستريح من العالم مرة، ولا تبرحوا عن الخانقاه حتى أبعث إليكم. وأمر خـــازن نفقته أن يعطينى الدراهم، وأمرنى أن أكون فى خدمته فقط فـــالتزموا إشـــارته، وفزت بحمد الله فى تلك المدة بخدمته، وشاهدت منه فيها ما لا أحصـــى مـــن العجائب، منها: أن الشيخ كان مرة فى المراقبة فى قبة الشيخ عبد القادر، فذهبت فى ناحية من نواحيها، فإذا رجل مستقبل القبلة أعجبنى ما رأيت عليه من سيما الصلاح والتقوى رأيته مشتغلاً بالذكر اللسانى، وعليه هيئة الحضور مع الله تعالى لا يتكلم مع أحد، والناس يقبلون يده وينصرفون، فسألت بعض الناس عن اسمه

ومدة إقامته هنا وخلاصة أمره، فقالوا: إنه يقال له الشيخ خالد، وهو ههنا من نحو سبع سنين مقيم على ما ترى من الذكر لا يقوم إلا للصلاة أو الوضوء ولا يتوضأ فى كل ثلاثة أيام إلا مرة ليلاً ثم يعود إلى حاله، وقد سخر الله له بعض أهل الخير يبعث إليه عند الغروب كل يوم رغيفاً وشيئاً من اللبن، فربما لا يأكل منه، ويطوى وربما يتناول منه لقيمات، هذا ديدنه منذ جاء إلى الآن، فأخذنى عجب عظيم وهجس فى نفسى من غير استقرار، أى العارفين أجل شيخنا أم هذا؟ فما لبثت أن أخذتنى سنة من النوم فرأيت غرفة ما رأى الراءون أحسن منها، وفيها سرير عال عليه أسد عظيم مهيب جداً، ورأيت تحت السرير فأراً صغيراً يذهب ويجئ لا يجد له منفذاً، فامتلأت عجباً منه، وجعلت أقول مالك ولمحل الأسود، وأين مقامك من هذا الأسد، ثم التفت خارج الغرفة، فرأيت حضرة أخينا فى الله عز وجل وأحد أجلاء خلفاء شيخنا السيد ظاهراً واقفاً خارجها على غاية من الأدب والحشمة، وكان بينى وبينه صداقة تامة، فجعلت أناديه لأريه هذا الفأر وأمره العجيب، وجعل هو لا يلتفت إلى فتأثرت من إعراضه عنى مع كمال صداقتى معه، ثم التفت إلى مغضباً، وقال: ألا تدرى من هذا الأسد؟ إنه حضرة أستاذنا -قدس سره- وهذا الفأر الذى تراه هو ذلك الرجل الذى أعجبت بصلاحه، وهجس فى نفسك من شأنه ما هجس، ثم انتبهت وقد أخذنى حياء عظيم من هذا الخاطر، ثم لما قام الأستاذ من جلسته هذه نظر إلى، وقال: ماذا رأيت اليوم؟ فسكت حياء وخجلاً، فلما رأى كمال تأثرى وشدة سكوتى، قال: أنا ذلك الفأر والشيخ خالد هو ذلك الأسد، فبهرنى مكاشفته وتواضعه. ثم قال -رضى الله عنه- ليرينى الحق حقاً: منذ

خرجنا من بيارة كم تاب من فاسق؟ وكم رجع إلى الله تعالى من رافضى على يدينا؟ ولله المنة. أما هذا فعمله إن كان مقبولاً ليس قاصراً إلا على نفسه، وأين الهادون المسترشدون من المهديين فقط؟ ومنها: أنى رأيته أكثر من ثلاثين يوماً لا يتغذى بغير المراقبة والذكر، وكان فيها يصلى العشاء ثم يقعد على ركبتيه مستغرقاً فى النسبة العلية لا يرفع رأسه إلا لصلاة الفجر، فإذا صلاّه قعد كذلك إلى الضحوة الكبرى، ثم يقوم فيتوضأ، فإذا ركع ركعتى الوضوء عاد إلى حاله الأولى، وكان يتحرى الصف الأول فى الصلاة، فإذا صلى فى الجماعة جلس جلسته لا يقوم منها إلا لصلاة أخرى هكذا كان ديدنه فى هذه المدة، وما كان يتكلم إلا قليلاً يرفع رأسه أحياناً، فيقول: اذهب إلى مكان كذا تجد شخصاً صفته كذا فأعطه من الدراهم كذا فأذهب وأجئ وهو كما هو فى المراقبة. ولم يزل يأمرنى بالصرف حتى نفد ما عندي من النفقة. وكان كلما أوشك أن يعرفه أهل المسجد الذى أقام به تحول منه إلى غيره. فلما كان فى آخر المدة التى أراد اختفاءها رفع رأسه بعد الظهر من المراقبة. ووصف لى مسجداً، وقال: اذهب إليه فناد منه الشيخ محمداً سعيداً فذهبت كما أمر، فلما رأيته إذا هو من العلماء المشهورين فبلغته رسالة الشيخ فقال: مالى ولشيوخ الطريقة وسمعت منه ما لا أحب، فلما رجعت إلى الشيخ رفع رأسه. وقال: لطيب قلبك فسيأتى إن شاء الله تعالى فلما كان بعد المغرب رقى الأستاذ إلى سطح ذلك المسجد، وقال: انتظر من ذهبت إليه ههنا، فما لبث أن جاء ومعه بعض الطلبة، فصعدت بهم إلى الأستاذ، فسلموا عليه فلم يزدهم على رد السلام شيئاً، وكنت أرى الغيظ فى وجوههم عدم احتفاء الشيخ بهم حتى إذا صلوا العشاء أمرهم بالانصراف،

ثم جاءوا كذلك فى الليلة الثانية، فلما صلوا العشاء أسر الأستاذ إلى الشيخ محمد أن يأتيه فى الليلة التالية وحده ففعل، وفيها أفاض، الشيخ عليه ما أفاض فكـــان قائماً على قدميه يبكى حتى طلع الفجر ثم انصرف، وكأنما نادى مناد فى البلدة بحضور الأستاذ فذهب الأستاذ من يومه ذلك إلى مسجد الشيخ محمد ســعيد، واجتمع عليه لتعلم الطريقة من أهل العلم وغيرهم خلق كثير، وأجازه الشـــيخ بأعمال الختم، وحضر الأستاذ الختم بنفسه فى هذه الليلـــة ولم يتوجـــه إلا إلى شخص واحد، فحصل لهذا الشخص أثر عظيم وجذب قوى، فلما أوقد السراج حصل لأكثرهم عجب وإخلاص تام فى حضرة الأستاذ، فسألتهم عن ســـبب تعجبهم، فقالوا: إن هذا الشخص الذى حصل له ما ترى كان فى الظاهر سنياً وفى حقيقة الأمر رافضياً. هذا، وما زالت شمس إرشاد الأستاذ تزهو يوماً فيوماً وتتواتر به الأمداد على كافة الطبقات وقتاً فوقتا ويؤيده الحق ببوارق خـــوارق العادات حيناً فحيناً حتى أصبح كعبة العارفين. ومحط رحال الواصلين. ومتوجه آمال القاصدين. ورجع خلفاء والده كلهم إليه فى الإصدار والإيراد. وسخر الله عز وجل له رقاب العباد. وملوك البلاد. وعاد العراق أنضر ما كانت فى زمـــن والده. بل أصبحت الآفاق أنور ما تكون بعوائد فوائده. وقصد بالرحلة من كل مكان. وتوافد لزيارة سدته العلية أعيان العلماء وعلماء الأعيان. وهو يمد كـــلا على حسبه. ويمنحه ما يليق به. وبالجملة فقد كان وارثاً محمدياً. وغوثاً فـــرداً صمدانياً. يكتب بالمكتوب إلى بعض خلفائه فى الجهات، فيفزع أهل تلك الجهة إلى استنساخه يطلبه الأديب لفصاحة عبارته، والعالم لغزارة مادته، والصـــوفى لدقة إشارته، وغالب الناس لاستجلاب بركته. وكان -رضى الله عنه- علـــى

غاية من الكرم وسماحة النفس وكمال الإيثار كنا فى سفرة معه فى أيام شـديدة البرد فمر بفقير يرتعد من شدة البرد، فطرح عليه عباءته، ومر بـآخر كـذلك فألقى عليه جبته، ثم مر بثالث كذلك فخلع له القباء وألقاه عليه و لم يكن يدخر شيئاً لنفسه. ترد عليه الهدايا الكثيرة من الجهات. فيفرقها بين المريدين وغيرهـم من ذوى الحاجات. ومن خوارقه ما كان سبباً لصحبتى لحضـرته، وذلـك أنى رأيت ذاته المباركة، وأنا ببلدي مدينة أربل ليالى متوالية قبل أن أعرفه يذكر لى اسمه الشريف، وبلده وطريقته ويستحثنى على الحضور لتعلمها، فأصبحت وقد اعترانى بذاته هيام. وبطريقته حب تام. وكان أبى قادرى المشرب، فلما رأى ما بى أنكر أمرى، وجعلت جذباته القوية تأخذ بباطنى حتى تيسـير لى الوصـول لحضرته. وتشرفت بسعادة صحبته. ولقد رأيت فيها من أسرار الشـيخ مـالا يسطر فى كتاب، ولا يدخل تحت حيطة عبارة معبر، وكان كثيراً مـا يحـدث المريدين بما يرونه أثناء الذكر والمراقبة من التجليات والأحوال والخواطر قبل أن يقصوا عليه منها شيئاً ويوقفهم على غثها وثمنيها، ويحثهم على رفع الهمة، وأن لا يرضوا بشيء دون الله عز وجل.

هذا وله مناقب لا تحصى. وفضائل لا تستقصى. أدام الله علينا متواصل وابل إمدادته. وجمعنا به مع الذين أنعم الله عليهم من أهل خصوصياته. توفى -قدس الله سره الأقدس- سنة ثمان وثلاثمائة وألف ببيارة وبها ضريحه المبـارك مهـبط الأنوار ومورد الرحمات، ورثاه الأدباء بقصائد فارسية وعربية، ولـولا خشـية الإطالة لأوردنا لك بعضها.

وإذ قد تيسر بفضل الله تعالى الفراغ من الكلام على عيون الأولياء من مشايخ هذه السلسلة العلية، فلنختم الكتاب بكلام مجمل فى بيان طريقتهم العلية وإثبات الأركان التى استندوا إليها، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

اعلم يا أخى أرشدنا الله وإياك إلى كمال معرفته أن أهم أصول هذه الطريقة العلية: التوبة والذكر الخفى، والمراقبة ورابطة الشيخ الكامل، وسأذكرها لك على الترتيب بفضل الله تعالى فى فصول.

فصل فى التوبة

اعلم يا أخى، أن القلب كما يتصف بالمراقبة والمشاهدة ونحوهما كما تقدم لك فيما مر من كلام رجال سلسلة الطريقة العلية، يتصف بالختم والقفل والران والربط، لقوله تعالى: ﴿**خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ**﴾ [البقرة: ٧]، وقوله: ﴿**أَمْ عَلَى قُلُوب أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد: ٢٤]، وقوله: ﴿ **كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم**﴾ [المطففين:١٤]، وقوله: ﴿**لَوْلاَ أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا**﴾ [القصص:١٠]، فالختم على قلوب حتى لا تسمع قول الحق من صفة قلوب المنافقين، والقفل عليها حتى تعرض عن الدين المتين من صفة قلوب الكافرين، والربط عليها من صفة قلوب العارفين، وتغطيتها بالرين من صفة قلوب المؤمنين العاصين، فإن المؤمن كلما أذنب ذنباً نزلت نقطة سوداء على قلبه فتغطى مقدارها من نوره إلى أن تعمه الظلمات، فلا يبقى إلا نور الإيمان كامناً فحينئذ يقع فى المعاصى ولا يبالى بها أصلاً فإذا أراد الله تعالى هدايته ألهمه التوبة، فهى ملاك كل أمر لأنها تقطع ما قبلها كما أن الإسلام يقطع ما قبله، ولها شروط ثلاثة: الأول: الندم على ما

فات من مخالفة الملك المتعال الثانى: العزم على أن لا يعود إلى قبيح الأفعال، الثالث: القيام فى الحال على أحسن الأحوال. وهى على ثلاثة أقسام أولها التوبة وأوسطها: الإنابة، وآخرها: الأوبة، فمن تاب خوف العقوبة ورجاء المثوبة فهو صاحب التوبة، ومن تاب خوفاً من السقوط من نظر الحق وطلباً للوصول إلى مقام الجمع ثم الفرق فهو صاحب الإنابة، ومن تاب حفظاً وقياماً بالعبودية لا رغبة فى الثواب ولا خوفاً من العقاب، فهو صاحب الأوبة. فالتوبة صفة عامة المؤمنين العاصين، والإنابة صفة خواص السالكين فى طريق المراقبين، والأوبة صفة أهل المعرفة من المرسلين والصديقين، قال تعالى: **﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾** [ص: ٣٠]، وقال: **﴿وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾** [ق: ٣٣]، وقال: **﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [النور: ٣١]، وفى هذه الآية إشارة خاصة وإشارة عامة، فأما العامة: فقد عم العصاة والطائعين بلفظ الإيمان وسماهم المؤمنين لئلا تتمزق قلوبهم من خوف القطيعة، وأما الخاصة: فقد أمر الطائعين بالتوبة لئلا يعجبوا بطاعتهم فيصير عجبهم حجبهم، فتساوى فى هذا الأمر الطائع والعاصى. فالتوبة فى حق خواص الخواص: هى التوبة عن الوقوف مع التجليات. وتوبة الخواص: هى التوبة عن غفلة القلوب عن حضرة المحبوب. وتوبة العوام: هى التوبة عن مقارفة الذنوب، وبها ينمحى الرين عن القلب ولكن يبقى أثره فالذكر يصقله حتى يصير كالقنديل، فبوجود الأنوار فى القلب تطبع فى مرآته الأخلاق الحميدة ويمتد نظره إلى الحضرة القدسية، لأن القلب له مرآة ذات وجهين وجه صقيل ووجه كثيف، فالصقيل مقابل لعالم الملك وهو عالم الشهادة فكل شيء قابله انطبع فيه فيتقلب القلب من الخير إلى الشر

وبالعكس، والكثيف مقابل لعالم الملكوت وهو عالم الغيب، فإذا غلبت أنـــواره على ظلمته وطاعته على معصيته بدوام التوبة والذكر مال إلىٰ عالم الملكـــوت فيشتغل بالسلوك وقطع مقامات النفس، فكلما قطع مقاماً انجلى جزء من الوجه الكثيف حتى تضىء كلها فحينئذ ينظر السالك بالعينين فيغترف من العالمين، وما فيهما من الدرر، فيصير جسمه لطيفاً بين الأجسام، لأن العارفين رضـــوان الله عليهم لما تحققوا أن الجسم لا يليق للتجلى من حضرة الحق اللطيـــف لطفـــوا أجسامهم الكثيفة بأنواع الرياضات والمجاهدات وترك الشهوات، ومخالفة النفس حتى تلطفت أجسامهم الكثيفة فصارت مضاهية للأجسام اللطيفة، فإذا صرف العبد همته إلى الله عز وجل وتاب بإخلاص تام ومحبة صادقة قلب الله قلبـــه إلى الخير وصرفه عن الشر فيكون انقلابه إلى الحق، وهو صرف وجه الهمـــة مـــن العدوة الدنيا وهى الظواهر إلى العدوة القصوى وهى الحقائق وبواطن الأمـــور، ويكون القلب قابلاً للتجليات الأهلية.

فصل فى فضل الذكر

اعلم أن فضل الذكر أشهر من أن يذكر. وأكثر من أن يحصر. وهو بعـــد التوبة من أعظم أركان الطريق وأهمها وآكدها، لأن المقصود من الطريق تخليص القلب من التعلق بما سوى الله تعالى، وهو أعظمها فى ذلك لأن كثرته توجـــب استيلاء محبة المذكور على القلب بحيث لا يبقى معها محبـــة الســـوى، وجميـــع الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة تنشأ عنها، ولكنه عمدة فى الوصول إليه عز وجل وقع الحث عليه فى القرآن المجيد والسنة المطهرة وكلام الأئمة أكثر مـــن

غيره من القربات، قال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ [البقرة: ١٥٢] أى استحضروا جلالى وعظمتى فى قلوبكم أذكركم بالألطاف والإحسان، وقال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ**﴾ [النساء: ١٠٣] أى داوموا على الذكر فى جميع الأحوال، وقال تعالى فى وصف أولى الألباب: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ**﴾ [آل عمران: ١٩١]، وقال تعالى فى وصف المؤمنين الصالحين: ﴿**وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً**﴾ [الجمعة: ١٠]، وختم أوصاف أهل الإيمان بقوله تعالى: ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ**﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ**﴾ [الأنفال: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿**وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ**﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال تعالى: ﴿ **وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً**﴾ [المزمل: ٨]، وقال تعالى: ﴿**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾ [الإنسان: ٢٥] إلى غير ذلك من الآيات، وقال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم، قالوا: بلى. قال ذكر الله**» رواه أحمد بإسناد حسن والترمذى والحاكم، وقال: صحيح الإسناد. وعن أبى سعيد الخدرى سئل رسول الله ﷺ أى العباد أفضل درجة عند الله يوم القيام قال: ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾ [الأحزاب: ٣٥] قال أبو سعيد: قلت: يا رسول الله، ومن الغازى فى سبيل الله؟ قال: «**لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً لكان**

الذاكرون الله أفضل درجة» رواه الترمذى. وقال رسول الله ﷺ: «**من عجز منكم عن الليل أن يكابده، وبخل بالمال أن ينفقه، وجبن عن العدو أن يجاهده فليكثر ذكر الله** » رواه الطبرانى والبزار. وقال: «**ما عمل آدمى عملاً أنجى له من العذاب من ذكر الله تعالى**» رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح، وقال رسول الله ﷺ: «**ليذكرن الله أقوام فى الدنيا على الفرش الممهدة يدخلهم الدرجات العلى**» رواه ابن حبان فى صحيحه. وقال ﷺ: «**أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون**» رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه والحاكم، وقال صحيح الإسناد. وعن معاذ رضى الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: أى المجاهدين أعظم أجراً؟ قال: «**أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً**» قال فأى الصالحين أعظم أجراً؟ قال: «**أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً**» ثم ذكر السائل الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك ورسول الله ﷺ يقول: «**أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً**»، فقال أبو بكر لعمر: يا أبا حفص ذهب الذاكرون بكل خير، فقال رسول الله ﷺ: «**أجل**». رواه أحمد والطبرانى. وروى الطبرانى بإسناد جيد عن أم أنس رضى الله عنها أنها قالت: يا رسول الله أوصنى قال: «**اهجرى المعاصى فإنها أفضل الهجرة، وحافظى على الفرائض فإنها أفضل الجهاد، وأكثرى من ذكر الله فإنك لا تأتين الله بشىء أحب إليه من كثرة ذكره**». وروى البيهقي بأسانيد أحدها جيد وغيره عن معاذ بن جبل قال قال ﷺ: «**ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها**». وروى البيهقى عن عائشة رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها بخير إلا تحسر عليها يوم القيامة**». وفى

صحيح البخارى مرفوعاً: «**ومن أكثر ذكر الله أحبه الله**». وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل يوم القيامة سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم**» فقيل ومن أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: «**أهل مجالس الذكر**» رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه والبيهقى وغيرهم - وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم. قد بدلت سيئاتكم حسنات**» رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى. وعن عبد الله بن عمر قال قلت: يا رسول الله ما غنيمة مجالس الذكر قال: «**غنيمة مجالس الذكر الجنة**». رواه أحمد بإسناد حسن، وعن عمرة ابن عبسة -رضى الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقولك «**عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل**» قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «**هم جماع من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله فينتقون أطايب الكلام كما ينتقى آكل التمر أطايبه**» رواه الطبرانى بإسناد لا بأس به، جُمَّاع بضم الجيم وتشديد الميم أى أخلاط من قبائل شتى ومواضع مختلفة ونوازع، جمع نازع وهو الغريب ومعناه أنهم لم يجتمعوا لقرابة بينهم ولا نسب ولا معرفة، وإنما اجتمعوا لذكر الله لا غير. ومعنى كونهم عن يمين الرحمن عز وجل أنهم حلوا من رحمته تعالى أعلاها، ونزلوا من منازل إكرامه أسناها فهو كناية كما يرشدك إلى ذلك باقى الحديث، وأما قوله ﷺ: «**وكلتا يديه يمين**» فاعلم أنه لم يرد ظاهره قطعاً، وإنما أريد به معنى لائق بتتريه

الله تعالى وينبغى أن تكل علم هذا المعنى إلى الله عز وجل وإلى رسوله. والأحاديث الواردة فى فضل الذكر كثيرة وفيما ذكرناه كفاية. وأما كلمات الأكابر فكثيرة، منها: ما قال الحسن البصرى التابعى الأجل «الذكر ذكران: ذكر الله عز وجل بين نفسك، وبين الله عز وجل» قال شارح «الإحياء»: وهو المعبر عنه بذكر القلب والروح «ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل»، وقال بعض العلماء: إن الله عز وجل يقول: أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته، وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه. وقال الفضيل: بلغنا أن الله عز وجل، قال: عبدى اذكرنى بعد الصبح ساعة، وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما. وقد روى رفع هذا الأثر إلى النبى ﷺ لربه عز وجل: «**إلهى! إذا رأيتنى أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلى دونهم فإنها نعمة تنعم بها علىّ**».

فصل فى حقيقة الذكر وأقسامه

وبيان أن القسم الذى اختاره ساداتنا النقشبندية أفضل أنواع الذكر بل أفضل العبادات على الإطلاق بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة

اعلم أن من نطق باسم شىء أو أخطره فى قلب واستحضره فى سره يقال أنه ذكره، ويقال للنطق باسمه أو إحضاره فى نفسه ذكر إلا أن إطلاق الذكر على حضور الشىء فى النفس، وخطوره بالقلب إطلاق حقيقى، وأما على النطق بالاسم لسانا فبطريق المجاز المشهور، ويدلك على أن الخطور يسمى ذكراً قوله

ﷺ فميا يرويه البخارى فى الصحيح ومسلم وغيرهما فى حق من فاتته صلاة نسياناً «**فليصلها إذا ذكرها**»، فظاهر أن ليس معنى الحديث، فليصلها إذا نطق لسانه باسمها بل معناه أن يجب عليه قضاؤها متى تذكرها قلبه، فلما عبر عليه الصلاة والسلام عن هذا المعنى بقوله ذكرها دل على أنه خطور الشىء بالبال ذكر له قطعاً. ومما يدل على ذلك أيضاً مقابلة الذكر بالغفلة فى قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ**﴾ [الأعراف: ٢٠٥] إلى قوله: ﴿**وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ**﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، والغفلة عن الشىء: ذهول القلب عنه كما لا يخفى. فليكن ذكر الشىء حضور القلب معه إذا علمت هذا، فاعلم أن ذكر الله تعالى الذى سبق بيان فضله ليس قاصراً على ذكر اللسان فقط، بل الذكر على أقسام: وفى كل منها فضل إلا أن بعضها أعلى من بعض فأدنى أقسام الذكر، الذكر باللسان والقلب غافل مع تصحيح اللفظ الذى يذكر به على قانون الشرع. قال حجة الإسلام الغزالى: فأما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى. بل قال كثير من العارفين: إنه عديم النفع، ولا يصل بهذا القسم إلى حضرة الحق تعالى أحد أبداً. القسم الثانى، وهو أعلى مما قبله بمراحل: الذكر باللسان أيضاً مع حضور القلب وعدم غفلته وقت الذكر، فهذا إن دوام عليه صاحبه بإذن العارف الواصل وصل بفضل الله تعالى إلى القسم الرابع من أقسام الذكر الآتى بيانها، وقد ورد فى فضل هذا القسم بخصوصه شواهد من الكتاب والسنة ووصل به إلى الله تعالى كثير من الصوفية، وعولوا عليه فى توصيل المريدين. القسم الثالث الذكر بالقلب بمعنى ملاحظة اسمه تعالى فقط أعنى عن غير حركة لسان، ولا اشتغال قلب بالمعنى. وهذا القسم لم يأمر أحد من

الصوفية بالاشتغال به، واختلف الفقهاء فى حصول الثواب عليه، وإنما أثيب من لاحظ لفظ الحمد لله عقب العطاس فى بيت الخلاء لأنه ذكر طلب بخصوصـــه، وهو منهى عن النطق باللسان فى هذه الحالة، فقامت الملاحظة مقـــام الـــتلفظ للعذر. القسم الرابع الذكر بالقلب أيضاً لكن لا بمعنى إحضار الاسم الشـــريف فقط كما سبق فى الذى قبله بل بمعنى إحضار الاسم الشريف مع امتلاء القلب بمعناه، وهو ذات بلا مثل بحيث يكون القلب ممتلئاً بالهيبة من المذكور مستغرقاً فى جلاله، ملاحظاً أنه مطلع عليه، وقريب منه على وجه لا يبقى معه لخطـــور الغير مدخل هذا إن كان الاشتغال باسم الذات. فإن كان الاشـــتغال بـــالنفى والإثبات أعنى كلمة لا إله إلا الله لاحظ لفظها على الكيفية الآتية مع كمـــال الاستغراق فى المعنى أيضاً. ولابد فى هذا القسم سواء كان باسم الذات أو النفى والإثبات من أن يكون القلب على كمال الانكسار وكمال الشعور بالمـــذكور بحيث يكون إحضار صيغة الذكر تابعاً لتذكر المعنى لا متبوعاً. وهذا القسم هو أعلى أقسام الذكر ونهايتها، بل أفضل من جميع العبادات البدنية، بل أفضل من جميع العبادات القلبية كما دلت عليه السنة وأقوال الصوفية، وأجمع عليه فقهاء المذاهب الأربعة، وهو الذى اختاره ساداتنا النقشبندية، أما السنة فمنـــها: مـــا روى مسلم والترمذى واللفظ له أن رسول الله ﷺ قال: ((**ســـبق المفـــردون**)) قالوا: يا رسول الله وما المفردون؟ قال ((**المستهترون بذكر الله يضـــع الـــذكر عنهم أثقالهم فيأتون الله يوم القيامة خفافاً**)) المستهترون بفـــتح التـــاءين هـــم المولعون بذكر الله والمستغرقون فيه كمال الاستغراق. ولا يحصل هـــذا علـــى الوجه الأتم إلا إذا كان الذكر قلبياً صرفاً وحضوراً بحتا، فإن تلفظ اللسان ينقص

منه حضور القلب على قدره فالفائزون بهذا النوع من الذكر هم الفائزون عند الله بأعلى درجات السبق بشهادة هذا الحديث الشريف، ومنها: ما رواه ابن أبى الدنيا مرفوعاً: «**ما من يوم وليلة إلا والله عز وجل فيه صدقة يمن بها على من يشاء من عباده وما من الله على عبد بأفضل من أن يلهمه ذكره**»، ووجه دلالة هذا الحديث أن الإلهام هو قذف المعنى فى القلب، ولا معنى لإلهام الذكر إلا أن يوفق الله عز وجل قلب عبده لتذكره، وقد جعله النبى ﷺ أفضل الصدقات فدل على أن هذا التذكر أفضل العبادات. وهو ما اختاره السادة النقشبندية كما بينا وروى الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة قال ﷺ إن الله تعالى يقول: «**يا ابن آدم إنك إذا ذكرتنى شكرتنى وإذا نسيتنى كفرتنى**»؛ فانظر كيف قابل الذكر بالنسيان ليدل على أن المراد بهذا الذكر التذكر بالقلب لحضرة المذكور، وروى البيهقي والطبراني والبزار والحاكم وقال صحيح الإسناد عن جابر مرفوعاً: «**أغدوا أو روحوا فى ذكر الله وذكروه أنفسكم من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله ينزل العبد من حيث أنزله من نفسه**»؛ فهذا صريح منه ﷺ فى أن تذكر الإنسان نفسه بربه كلما كان أكمل كانت منزلة العبد عنده عز وجل أرفع. وأكمل أنواع الذكر هو هذا الذكر الذى اختاره هؤلاء السادة -رضى الله عنهم- كما بينا ومنها ما روى البيهقي وأبو يعلى عن أنس مرفوعاً: «**إن الشيطان واضع خطمه أى فمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنس وإن نسىَ التقم قلبه**»، وفى جعل النسيان سبباً لإلتقام الشيطان قلب ابن آدم دليل على أن الذكر الطارد له إنما هو الملاحظة والحضور مع الله وأنه أعلى الأذكار. وروى البخارى فى

الصحيح «**سبعة يظله الله يوم لا ظل إلا ظله**»، وعدها إلى أن قال: «**ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**»، وقد علم بالتجربة المفيدة للقطع أن الذكر الذى يستعقبه البكاء وفيضان الدمع من العين إنما هو هذا النوع من الذكر، فدل على أنه المراد فهنيئاً ثم هنيئاً لمن تعلم هذا الذكر من أهله وعمل به. وروى أيضاً فى صحيحه يقول الله تعالى: «**أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه**» قال الخطيب: المراد بالذكر فى النفس أن يستحضر فى قلبه عظمة الله تعالى. اهـ. وتقديمه دال على أفضليته، ومن تتبع السنة رأها ناطقة بأن عمل السر يزيد على عمل العلانية، بل جاء فيها التصريح بأفضلية هذا القسم من الذكر على غيره بسبعين ضعفاً، فقد روى البيهقي بسنده عن عائشة أنه ﷺ قال: «**الذكر الذى لا تسمعه الحفظة**» قال شارحه: وهو ذكر القلب «**يزيد على الذكر الذى تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً**»، وأما أقوال الصوفية فكثيرة قال: منبع العلوم سيدنا على كرم الله وجهه لابنه الحسن: أوصيك بتقوى الله تعالى، وعمارة قلبك بذكره. اهـ. وقال سيد الطائفة الجنيد: من الأعمال ما لا يطلع عليه الحفظة وهو ذكر الله بالقلب، وما طويت عليه الضمائر من هيبته وتعظيمه. وقال: أقرب ما يتقرب به المتقربون إلى الله عمل خفىّ بميزان وفىّ. وقال: التصوف جامع لعشر خصال وعدها إلى أن قال: ودوام ذكر الله بالقلب. وقال حجة الإسلام فى «الإحياء»: حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو فى أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات. قال شارحه: كلها بل به تشرف سائر العبادات. اهـ. وقد عرفت أن الذكر القلبى عند النقشبندية: هو ذكر الحضور

مع نطق لسان القلب باسم الذات، أو النفى والإثبات، وكما سيأتى تفصيله فى الفصل بعد هذا. وقد حكم الأستاذ بأنه المقدم على سائر العبادات كما تـــرى، وأقر شارحه العلامة المحقق مرتضى. بل قال حجة الإســـلام أيضـــاً فى كتابـــه «كيمياء السعادة» ما نصه: ولا تظن أن هذه الطاقة تنفتح بالنوم والموت فقط بل تنفتح باليقظة لمن أخلص الجهادة والرياضة وتخلص من يد الشـــهوة والغضـــب والأخلاق القبيحة والأعمال الرديئة، فإذا جلس فى مكان خال وعطل طريـــق الحواس وفتح عين الباطن وسمعه، وجعل القلب فى مناسبة عالم الملكوت، وقال دائماً الله الله الله بقلبه دون لسانه إلى أن يصير لا خبر له من نفســـه، ولا مـــن العالم ويبقى لا يرى شيئاً إلا الله سبحانه وتعالى انفتحت تلك الطاقة وأبصر فى اليقظة الذى يبصره فى النوم فتظهر له أرواح الملائكة والأنبياء والصور الحســـنة الجميلة الجليلة واكشف له ملوك السموات والأرض، ورأى ما لا يمكن شرحه ولا وصفه كما قال النبى ﷺ: «**زويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربهـــا**»، وقال الله عز وجل: ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّـــمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [الأنعام: ٧٥] لأن علوم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلها كانت من هـــذا الطريق لا من طريق الحواس كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَاذْكُرِ اسْـــمَ رَبِّـــكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا**﴾ [المزمل:٨] معناه: الانقطاع عن كل شىء، وتطهير القلـــب من كل شىء والابتهال إليه سبحانه وتعالى بالكلية وهو طريق الصوفية فى هذا الزمان وأما طريق التعليم فهو طريق العلماء، وهذه الدرجة الكبيرة مختصرة من طريق النبوة وكذلك علم الأولياء لأنه وقع فى قلوبهم بلا واسطة مع حضرة الحق كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ**﴾ [الكهف: ٦٥]،

وهذه الطريقة لا تفهم إلا بالتجربة، وإن لم تحصل بالذوق لا تحصل بــالتعليم والواجب التصديق، بها حتى لا تحرم شعاع سعادتهم وهم من عجائب القلــب، ومن لم يبصر لم يصدق كما قال تعالى: **﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾** [يونس: ٣٩] **﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَــدِيمٌ﴾** [الأحقاف: ١١]. اهــ. بحروفه وكلام هذا الحجة حجة قاطعة كما لا يخفــى على أهل الإنصاف فيما اختاره مشايخنا -رضى الله عنهم- من الذكر. وقــال العارف الشاذلى قدس سره: الذرة من أعمال القلوب تعدل أمثال الجبال مــن أعمال الجوارح. وقال الشيخ الأكبر محيى الدين فى «الفتوحات المكية» فى بــاب الذكر: وليكن ذكرك الاسم الجامع الذى هو الله الله إلى أن قال وتحفظ أن يفوه به لسانك، وليكن قلبك هو القائل، ولتكن أذنك مصيغة لهذا الذكر حتى ينبعث الناطق من سرك، فإذا أحسست بظهور الناطق فيك بالذكر، فلا تترك حالــك التى كنت عليها فإنها قوة عرضية إن أخللت بجمعيتك لم تلبث أن تزول سريعاً. اهــ. وعلى ذلك القدم جميع شيوخ الرسالة القشــيرية، والشــيخ الســرى، ومعروف الكرخى، وداود الطائى، وإبراهيم بن أدهم، وعبد الله بن حنيــف، والفضيل بن عياض، والحارث المحاسبى، والحافى، وغيرهم قدس سرهم. كمــا يعلم باستقراء كلماتهم وفى هذا القدر كفاية لطالب الرشاد والهداية والبعيد عن المشاغبات والغواية. وأما أقوال فقهاء المذاهب من الشافعية -رضى الله عنهم- فقال من الشافعية العلامة البيجورى فى «حاشيته على شرح ابن قاســم»، أول كتاب الصلاة: والعبادات البدنية الباطنة كالتفكر والصبر والرضــا بالقضــاء والقدر أفضل من العبادات البدنية الظاهرة حتى من الصلاة، فقد ورد: «**تفكــر**

ساعة خير من عبادة ستين سنة»، وأفضل الجميع الإيمان. اهـ. وقال الشرقاوى، فى حاشيته على «**التحرير**» نحوه. وقد عرفت أن الذكر القلبى الذى اختاره مشايخنا لا يخرج عن التفكر فى عظمته تعالى والاستغراق فيها، والإيمان بالله وصفاته على طريق التجدد والاستمرار مع الاشتغال باسم الذات أو الكلمة المشرفة على ما سيأتى. وقال العلامة الجمل، فى «حاشية شرح المنهج» أول كتاب الصلاة: والصلاة أفضل عبادات البدن بعد الإسلام ثم قال: وخرج بعبادات البدن عبادات القلب فإنها أفضل من الصلاة كالإيمان، والمعرفة، والتفكر والتوكل والصبر والشكر والرضا والخوف والمحبة لله تعالى ولرسوله وأفضلها الإيمان ويكون واجباً، وقد يكون تطوعاً كما فى التجديد. اهـ. والذكر القلبى الذى اختاره المشايخ من قبيل الإيمان بالله وصفاته على طريق التجديد، وقد عرفت بنصوصهم أن أفضل العبادة قلبية أو بدنية الإيمان، فدل على أن ما اختاروه أفضل العبادات قطعاً. وقال العلامة ابن حجر الهيتمى فى «الفتاوى الحديثية»، فى آخر جواب السؤال عن الملائكة: هل خلقوا دفعة أو تارات؟ أن جماعة من أئمتنا وغيرهم يقولون لا ثواب فى ذكر القلب وحده ولا مع اللسان حيث لم يسمع نفسه، وينبغى حمله على أنه لا ثواب عليه من حيث الذكر المخصوص، أما اشتغال القلب بذلك وتأمل معانيه واستغراق فى شهودها، فلا شك أنه بمقتضى الأدلة يثاب عليه من هذه الحيثية سبعين ضعفاً. اهـ. وذكر مشايخنا هو هذه الملاحظة مع زيادة ما مر. وقال من المالكية القاضى عياض رحمه الله ذكر الله ضربان: ذكر بالقلب، وذكر باللسان، وذكر القلب نوعان أحدهما، وهو أرفع الأذكار وأجلها التفكر فى عظمة الله تعالى

وجلاله. اهـ. وقال منهم العلامة الدردير وناهيك به: أما ما النوع الثانى الذكر بالقلب وهو شأن أرباب النهايات. اهـ. وقال محشيه المحقق الصاوى: وهو أفضل الأذكار وساق ما مر من كلام الشاذلى، ومن ثم قال مشايخ النقشبندية: بدايتنا نهاية غيرنا،[1] وقال من الحنفية السيد مرتضى شارح «**الإحياء**»: والكثيرون منهم بأفضلية ذكر القلب وحده كما يعلم من الوقوف على كلامه فى الشرح المذكور وغيره، وتركنا نقله لطوله وكثرته. وفى كتاب «بغية أولى النهى شرح غاية المنتهى» من فقه الحنابلة عند قول المتن: صلاة التطوع أفضل من تطوع بدن لا قلب، وقوله إشارة إلى أن عمل القلب أفضل. وبما تقرر من أدلة السنة السابقة وغيرها وأقوال الصوفية، وكلام فقهاء المذاهب الذى أسلفناه تعلم يقينا أن أفضل ما يتقرب به المتقربون إلى الله تعالى وأقر به وأكثره ثواباً الذكر القلبى الذى اختاره مشايخنا -رضى الله عنهم- وبه تعلم أيضاً أن الذكر القلبى الذى نفى عنه بعض العلماء الثواب ليس هو النوع الذى اختاره مشايخنا منه كما مر موضحاً فى عدد أقسام الذكر، وبان لك أن من يطعن على طريق هؤلاء الأكابر إما معاند مكابر فلا يصح الاشتغال معه ولا الالتفات إليه بل سقوطه من نظر الله لمعاداته أولياء الله يكفيه، وإما جاهل بما فى السنة وما عليه علماء الأمة فينبغى تعليمه وإيقاظه لوجه الله تعالى. وفيما أوردناه كفاية لذلك والحمد لله وحيث بان لك أن أفضل الكيفيات هى الكيفية التى وصل بها المشايخ النقشبندية ووعدنا بتفصيل الكلام عليها، فلنشرع فى ذلك وبالله التوفيق.

---

(١) فى الأصل (نهايتنا بداية غيرها)، والمثبت هو الصحيح، والله أعلم.

فصل فى كيفية الذكر عند السادة النقشبندية

اعلم أن طريق المعرفة والوصول إلى الله تعالى عند السادة النقشبندية إما بمحض الصحبة أو الذكر أو المراقبة، فإن أردتها فلابد لك أن تطلب شيخاً مرشداً جامعاً بين الشريعة والحقيقة وارثاً للأخلاق المحمدية لأن طلب الشيخ هو عين طلبه تعالى ﴿وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]. والرفيق ثم الطريق. من لا شيخ له فالشيطان شيخه لكن لا ينبغى أن تعتقد أن الشيخ مقصود، ومطلوب الشيخ كالكعبة يسجدون إليها والسجود لله، فهكذا الشيخ ثم تتوب على يديه توبة جامعة للأركان والشروط مع إخلاص النية والاعتقاد ظاهراً وباطناً، وتحسن خدمته، وتلازم صحبته بكمال الأدب، ثم تتلقن منه الذكر باسم الذات أو النفى والإثبات فإذا تلقنت، فكن حريصاً على الآداب التى تنبغى عند كل من الذكرين فأما آداب الأول: فهى أن تصلى ركعتين فى غير وقت الكراهة. وتجلس على ركبتيك متوركاً عكس تورك الصلاة بأن تخرج قدم الرجل اليمنى تحت ساق الرجل اليسرى، وتعتمد على الورك مستقبل القبلة، مغمضاً عينيك، قاطعاً جميع حواسك ملاحظاً أن الله ناظر إليك يسمعك، ويراك وتحضر فى قلبك أنك مذنب مقصر خال من الأعمال الصالحات والعلوم النافعات، ثم تقول بلسانك: أستغفر الله خمساً وعشرين مرة، وتلاحظ معنى الاستغفار. وهو طلب المغفرة منه تعالى مع كل مرة ثم تقرأ الفاتحة مرة، والإخلاص ثلاثاً، وتهدى ثوابها إلى حضرة النبى ﷺ، وإلى جميع مشايخ الطرق خصوصاً النقشبندية. ثم تلاحظ الموت وأحواله. والقبر وأهواله. وأن هذا آخر نفس من الدنيا. ثم تقرر صورة مرشدك وتحفظ صورته فى خيالك فى غيبته

وحضوره، وتعمق النظر من ناصيتك إلى ناصيته وتستمد البركة منه بالقلب. ثم تطرح الصورة بالخيال فى وسط قلبك فيحصل لك بها فائدة الجمعية كما تحصل الفائدة من الذكر لأن المرشد بموجب هم جلساء الله لا يشقى جليسه بل يسعد. ومنشأ الشقاوة الغفلات. ومبدأ السعادة الحضور معه عز وجل. وروح المجالسة ارتباط قلب الجليس بالآخر وارتسام صورته فى نفسه، فإذا حصلت ولو فى الغيبة ترتبت عليها الثمرات الموعود بها من قبل الحق تبارك وتعالى، ولأن المرشد كالميزاب ينزل الفيض الإلهى من البحر المحيط إليك، فبحفظها تتحقق وتتصف بأوصاف الشيخ وأحواله وماله من الصفات بموجب «**المرء مع من أحب**» ثم تقول: إلهى أنت مقصودى ورضاك مطلوبى، ثم تلصق الأسنان بالأسنان والشفة بالشفة، واللسان بسقف الفم موجهاً جميع حواسك إلى القلب نافذاً بتوجهك إليه، وتتصور بفراغ البال معنى اسم الجلالة ومدلول كلمة الله -وهو ذات بلا مثل- وتجعل قلبك مملواً بتذكر هذا المعنى، وهذا الجعل يسمى وقوفاً قلبياً ولابد من وجوده فى جميع أوقات الذكر وفى خارجها ما أمكن ثم تشرع فى ذكر الله بالقلب من غير عدد لكن مع الوقوف القلبى المذكور. وإذا حصلت للذاكر أثناء الذكر غيبة وذهول عن العالم وتعطلت حواسه، ولو مع بقاء قليل شعور بنفسه، فيترك الذكر ويبقى مع تلك الكيفية مستغرقاً فى الوقوف القلبى ولا يتعمد قطعها، فإذا أفاق من نفسه يعود إلى الذكر وعند تمامه يبقى مدة يسيرة مع ملاحظة الوقوف القلبى منتظر للوارد محضراً قلبه لنزول الفيض إذ قد تفاض عليه فى تلك المدة اليسيرة أمور عزيزة، وإن لم يدركها وينبغى للشخص أن يرتب له وقتاً قدر ساعة أو أقل بعد العصر يشتغل فيه بالرابطة ثم الوقوف القلبى من غير

ذكر، وإذا ارتسخ الذكر فى القلب بحيث لو تكلف الذاكر بإحضار الغير لم يحضر انتقل ذكره إلى الروح -وهى لطيفة تحت الثدى الأيمن- ثم إلى السر وهو فى يسار الصدر وفوق القلب، ثم إلى الخفى وهو يمينه فوق الروح، ثم الأخفى وهو فى وسط الصدر، وهذه اللطائف الخمس من عالم الأمر الذى خلقه الله تعالى بأمر كن من غير مادة وركبها مع لطائف عالم الخلق الذى خلقه الله تعالى من مادة وهى النفس الناطقة. والعناصر الأربعة، ثم ينتقل إلى هذه النفس وهى فى الدماغ والعناصر الأربعة تندرج فيها، وكل من هذه المحال محل للذكر على الترتيب المذكور، ولا ينبغى أن ينتقل من لطيفة إلى أخرى إلا بأمر المرشد. فإذا ارتسخ الذكر فى لطيفة النفس حصل له سلطان الذكر وهو أن يغلب الذكر على جميعه بل على جميع الآفاق أيضاً بحيث يحس بنطق جميع أعضائه ومفاصله بالذكر وبنطق ما حوله من الآفاق به، ومتى وصل إلى هذا الحال صح أن يلقن الذكر بالنفى والإثبات أعنى كلمة لا إله إلا الله، وآداب هذا الذكر أن يلصق اللسان بسقف الحلق ويحبس النفس تحت السره ويجريه بكلمة (لا) منها إلا منتهى الدماغ وبكلمة (إله) من الدماغ إلى كتفه الإيمن، وبكلمة (إلا الله) منه إلى القلب ضارباً عليه منفذاً إلى سويدائه بقوة بحيث يتأثر بحرارته جميع البدن، وينفى بشق النفى وجود جميع المحدثات، وينظرها بنظر الفناء، ويثبت بشق والإثبات ذات الحق سبحانه ناظراً بنظر البقاء ويحيط على محل اللطائف، ويلاحظ الحظ الحاصل ويستحضر معنى الكلمة وهو لا مقصود إلا ذات الله. وإنما اختبر هذا لأن نفى المقصودية أبلغ من نفى المعبودية، وأن كل معبود مقصود ولا عكس. ويقول فى آخرها بالقلب: محمد رسول الله، ويريد به

التقييد بالاتباع، ويكررها على قدر قوة النفس ويطلقه على عدد وتر كمرة أو ثلاثة قائلاً: إلهى أنت مقصودى ورضاك مطلوبى ثم يستأنف، ويزيد فى العدد إلى أن يبلغ إحدى وعشرين مرة فى نفس واحد، فإذا انتهى العدد إلى ذلك تظهر النتيجة وهى النسبة المعهودة من الذهول والاستهلاك فإن لم يظهر، فليستأنف وليصدق فى ذكره بأن يطابق فعله وقوله مضمون الذكر فإن المقصودية لما سواه إذا كانت باقية فى الذاكر وخلاف الاتباع فى شىء إذا كان واقعاً منه لزم الكذب، فلا يوصله الذكر إلى المقصود حينئذ، فإذا جاهد فيه حق جهاده وصدق فيه ظهرت النتيجة، فتصلح له المراقبة وهى رؤية جناب الحق سبحانه وتعالى بعين البصيرة على الدوام مع تعظيم مذهل وجذب حامل وسرور باعث وشوق حاث. والمداوم عليها مع المجاهدة التامة يكون دائماً فى التقرب وأبداً فى التحبب حتى تنتهى مراقبته إلى المشاهدة من غير حجاب، لأن المجاهدة بذر المشاهدة فمن لم يزرع بذر المجاهدة فى أرض الاستعداد لم يحصد المشاهدة فى التجليات بل المجاهدة إنما هى سفينة بحر المشاهدة، فمن لم يركب سفينة المجاهدة لم يسبح فى بحر المشاهدة فالمشاهدة أن يكشف للعبد أن أنوار وجود وحدة الذات الإلهية محيطة بجميع الأشياء، وأنه تعالى متجل بصفاته وأسمائه، وأنه تعالى ظاهر فى كل صورة لكن ذلك الكشف على حسب استعدادات المشاهدين فى صفاء أرواحهم وذكاء نفوسهم وجودة حواسهم واستعلائهم على الجسمانية وارتقائهم إلى الروحانية، وتفاوت أقربتهم من الحضرة الإلهية وبعد هذه الخصوصيات يصير الابتهاج بأنوار الربوبية والاستكشاف بأسرار الأحدية. واعلم أن مراتب الكشف إنما تزيد وتنقص فى التجليات الإلهية بقدر أنوار بصائر

القلوب، وقدر أنوار بصائر القلوب إنما يتفاوت بقدر القرب والبعد من الحضرة الإلهية كما كانت مراتب رؤية الأبصار تتفاوت بقدر تفاوت أنـــوار حاســـة الأبصار، وتفاوت أنوار حاسة الأبصار إنما هو باختلاف استعداد القوة الباصرة فى اعتدال المزاج العنصرى، وباختلاف القرب والبعد من المبصرات لأن رؤيـــة نور الباصرة إنما يكون أزيد إن كان مزاج الرائى أعدل، وكان قربه من المبصر أكثر فحينئذ تكون الرؤية أزيد وأتم، فكذلك الحال فى شهود البصائر بـــأنوار التجليات الإلهية لأن نور البصيرة إنما يكون أزيد إن كان الاســـتعداد أقـــوى، وكان قرب البصيرة من الله تعالى أكثر فحينئذ كانت البصيرة للتجليات الإلهيـــة أكثر شهوداً وأتم وأكمل. ولابد لمن أراد الوصول إلى مقام الكشف والشهود أن يخلص محبة الله تعالى عن محبة السوى، ويفرد قصده لذات الله تعالى لا لأجـــل الكشف والكرامات، وأن يعبد مخلصاً لله تعالى لا لأجل الأجر والنجـــاة، وأن يطبق أعماله على قانون الشريعة وميزان السنة، وأن يجرد قلبه عن غواشى العلوم وشواغل الخواطر، وأن يزكى نفسه عن الأمانى والآمال، وأن يطلق روحه عـــن عقال القيوم الجسمانية والعوائق الحيوانية، وأن يحل عقله عن عقـــود القـــوى والحواس، وأن يزكى أخلاقه عن الرذائل والمذمومات، وأن يجرد ذهنـــه عـــن العلائق البدنية والعادات الطبيعية، وأن يتوجه على الدوام إلى العوالم الروحانيـــة والمجردات القدسية، وأن يستبعد عن مقتضيات البشرية ويتقرب إلى الخصـــال الملكية، وينبغى للمريد الصادق أن يراعى آداب أهل الطريق خارج الذكر وهى كثيرة منها: دوام الوضوء، وملازمة الجماعة، وأداء الراتب، وإيثار الذكر علـــى النقل المطلق والتلاوة والصلاة عليه ﷺ ونحوها إلى أن يصل درجة المراقبة، فإذا

وصل إليها وتم له الفناء الحقيقى، فليتعبد بما شاء فإنه حينئذ عبد الحق لا عبد النفس، وكل أعماله قربات، وكل أحواله متقبلة كما قيل.

وبعد الفنا فى الله كيفما تشا فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

ومنها: إحياء ما بين العشاءين بالذكر لأن العمل فى ذلك الوقت مهم جداً وكذلك إحياء ما بعد العصر كما مر هذا بالنسبة للمحترف ونحوه، أما المتجرد فآدابه استغراق جميع الوقات فى الذكر الذى تلقنه من المرشد، ومنها اعتزال غير المعتقدين للطريقة المنكرين على أهلها ما استطاع ورعاية هذا الأدب مؤكدة على مريد الوصول إذ مخالطة المنكرين على أهل الباطن تورث قسوة فى القلب على قدرها، ومنها: تحرى الحلال فى مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه، فإنه لا يصل متعاطى الحرام إلى الحق أبداً حتى يترع عنه، ومنها: كمال الإنكسار بحيث يرى نفسه أقل المخلوقات، ولا يرى له فضلاً على أحد ويرى نفسه يستحق العقوبة لولا فضل الله عز وجل، ومنها: اشتغاله بعيوب نفسه عن عيوب غيره فإن أطلع من أحد على عيب، فليعلم أن هذا المعيب مرآة ظهر فيها عيبه، ومنها: كمال محبته لأستاذه وتوقيره له ظاهراً وباطناً ورعاية الأدب معه حضوراً وغيبة. وبالجملة فعلى قدر رعاية الأدب مع المرشد، تكون سرعة الوصول إلى الكمال.

فصل فى ختم الخواجان

اعلم أن من خصائص طريقة السادة النقشبندية قراءة ختم الخواجكان – قدس الله سره– فإنه مجرب لحصول المقاصد ودفع البليات والحوادث وقبول

الدعاء مع المحافظة على الشرائط الآتية، وهو أعظم الـركن وأفضـل الـورد المخصوص بالطريقة النقشبندية بعد اسم الذات والنفى والإثبات، فـإن أرواح المشايخ ببركة هذا الورد يعينون من استعان بهم، وذلك مـروى عـن قـدوة السالكين الخواجه عبد الخالق الغجدوانى، وعن الخواجه بهاء الحق والدين السيد محمد النقشبند -قدس الله سرهما العزيز- وهو مشهور بين الأكابر النقشـبندية وسالكيهم. فإذا قرئ لقضاء الحاجات وحصول المقاصد، فـالأولى أن يكـون الختم فى أشرف الأوقات كيوم الجمعة، وليلته ويوم الخميس وليلته، وبعد العصر فيهما، ويوم الإثنين. ويدخل الخلوة وحده أو مع جماعة مأذونين مـن المرشـد بقراءته. بدون أن يتكلموا فى أثنائه، ثم يتوضأ ويصلى ركعتين يقرأ فيهما الفاتحة مرة وآية الكرسى سبع مرات، ثم بعد السلام يقرأ هذا الدعاء من غير كلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيد المرسلين. اللهم يا مفتح الأبواب. ويا مسبب الأسباب. ويا مقلب القلـوب والأبصـار. ويـا دليـل المتحيرين. ويا غياث المستغيثين. أغثنى توكلت عليك يا رب، وفوضت أمـرى إليك يا فتاح يا وهاب يا باسط، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين ثم يشرع فى قراءة الختم على الكيفية الآتية، فإذا انتهى يهدى ثوابـه إلى حضرة النبى ﷺ وأهل بيته وإلى روح من وضع هذا الختم، وإلى أرواح سـائر أكابر مشايخ السلسلة النقشبندية، ويستمد منهم فى حصول المراد، ويتوسل بهم فى قضاء الحاجة إلى الله تعالى، ثم يوزع على من حضر من أخوانه شيئاً من التمر أو الزبيب أو غيرهما من الحلوى تفاؤلاً لقبول الدعاء، وحصول الألفة بينهم فإن

الله تعالى يعطيه ما سأل هذا إذا كان لقضاء الحاجة إما إذاكان بقصد التقرب، فإنه لا يختص بوقت دون وقت، وآدابه ثمانية:

الأول: الطهارة من الحدث، الثاني: المكــان الخــالى، الثالــث: الخشــوع والخضوع، الرابع: كون الحاضرين مأذونين من هذه الطريقة، الخامس: تغميض العينين إلى آخر الختم، السادس: أن لا يحضر فيه أمرد، السابع: أن يغلق الباب، الثامن: أن يجلس متوركاً عكس تورك الصلاة.

وأما أركانه فعشرة:

الأول: استغفار خمس عشرة مرة، وينبغى أن يقرأ قبله الدعاء المار، الثــانى: رابطة الشيخ كما تقدم فى فصل الذكر، الثالث: قراءة الفاتحة ســبع مــرات، الرابع: الصلاة على النبى ﷺ مائة مرة، الخامس: سورة ألم نشرح تسعاً وسبعين مرة، السادس: سورة الإخلاص ألف مرة وواحدة، السابع: قراءة الفاتحة ســبع مرات، الثامن: الصلاة على النبى ﷺ مائة مرة، التاسع: قراءة ما تيســر مــن القرآن، العاشر: الدعاء فى آخر الختم وهو هذا:

الحمد لله الذى بنور جماله أضاء قلوب العارفين. وبهيبة جلاله أحرق فــؤاد العاشقين. وبلطائف عنايته عمر سر الواصلين. والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم بلغ وأوصل ثواب ما قرأناه ونــور مــا تلوناه بعد القبول منا بالفضل والإحسان إلى روح سيدنا، وطبيب قلوبنا وقــرة أعيننا محمد المصطفى ﷺ، وإلى أرواح جميع الأنبياء والمرســلين صــلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإلى أرواح جميع مشايخ سلسلة الطرق العلية خصوصاً

النقشبندية والقادرية والسهروردية والبكروية والجشتية -قـــدس الله أســـرارهم العلية- خصوصاً إلى روح إمام الطريقة. وغوث الخليقة. ذى الفيض الجـــارى. والنور السارى الشيخ محمد المعروف بشاه نقشبند الأويسى البخارى -قدس الله سره العالى- وإلى روح قطب الأولياء. وبرهان الأصفياء. جـــامع كمـــالات الصورى والمعنوى. الشيخ عبد الله الدهلوى -قدس الله سره العالى- وإلى روح السارى فى الله الراكع الساجد. ذى الجناحين فى علمى الظاهر والباطن ضـــياء الدين الشيخ مولانا خالد -قدس الله سره العالى- وإلى روح سراج الملة والدين الشيخ عثمان -قدس الله سره العالى- وإلى روح القطب الأرشـــد. والغـــوث الأمجد. شيخنا وأستاذنا الشيخ عمر -قدس الله سره العالى- اللهم اجعلنا مـــن المحسوبين عليهم ومن المنسوبين إليهم. ووفقنا لما تحبه وترضاه يا أرحم الراحمين. اللهم أجرنا من الخواطر النفسانية. واحفظنا من الشهوات الشيطانية. وطهرنـــا من القاذورات البشرية. وصفنا بصفاء المحبة الصديقية. وأرنا الحق حقا وارزقنـــا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، ووفقنا لاجتنابه يا أرحم الراحمين. اللهم إنا نسألك أن تحيى قلوبنا وأرواحنا وأجسامنا بنور معرفتك ووصلك، وتجليك دائماً باقيـــاً هادياً يا الله.

فصل فى الدليل على غلق الباب وقت الذكر

اعلم يا أخى فتح الله عين بصيرتك، وأغلق عنك باب الاعتراض على أوليائه أن الصوفية أهل خبرة تامة بشرع الله عز وجل ذوو علم كامل بما جاء عنه ﷺ، وكلهم على نور من ربهم، فكل ما وضعوه من الآداب للمريـــدين كتغمـــيض

العين وقت الذكر وإغلاق الأبواب عند الاجتماع للمراقبة، فينبغى أن تتلقاه بالقبول وتعلم أنهم اقتبسوه من مصباح السنة على صاحبها الصلاة والسلام. فإن رأيت أدباً من آدابهم، و لم تعرف مأخذه من السنة، فلا ينبغى أن تطيل لسانك بالاعتراض عليهم ففوق كل ذى علم عليم. والاعتراض على أهل الله تعالى سيف من تناوله قتل به ولحومهم سم قاتل لساعته من تناول منه شيئاً هلك لوقته نسأل الله العافية والسلامة من ذلك. إذا علمت هذا، فاعلم أن السادة النقشبندية أجمعوا على أن من الآداب الأكيدة المهمة للمريدين إذا اجتمعوا للذكر، والمراقبة أن يغلقوا الباب، وأن لا يكون معهم من ليس منهم، ولخفاء مأخذ هذا الأدب على من ليس له قدم فى الشريعة أردنا أن نشير فى هذا الفصل إلى بيانه.

فمن أسانيدهم فى ذلك ما روى الإمام أحمد بإسناد حسن والطبرانى وغيرهما عن يعلى بن شداد بن أوس قال: حدثنى أبى وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال كنا عند النبى ﷺ فقال: «**هل فيكم غريب**» -يعنى أهل كتاب- قلنا: لا يارسول الله، فأمر بغلق الباب وقال: «**ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله**» فرفعنا أيدينا ساعة ثم قال: «**الحمد لله اللهم أنك بعثتنى بهذه الكلمة وأمرتنى بها ووعدتنى عليها الجنة وأنت لا تخلف الميعاد**» ثم قال: «**أبشروا، فإن الله قد غفر لكم**» فإن قلت: إن إغلاق الباب لم يكن عن بعض الأصحاب بل كان عن أهل الكتاب كما هو صريح هذا الحديث، وأين هو مما نحن فيه؟ قلنا: إن إغلاق الباب منه ﷺ حكم من الأحكام المعقولة المعنى والحكم يدور مع معناه أى: علته وجوداً، وعدماً وكم من حكم خاص فى الشريعة بحسب الظاهر استفاد

التعميم مما فيه من المعنى، والمعنى هنا عدم الصلاحية لسر هذا المجلس وإلا فالنبى ﷺ مأمور بالظهور للمؤمن والكافر بقوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر:٩٤]، فلما خص هذا المجلس بغلق الباب عن بعض، ولم يكن الكفر مانعاً من حضور مجلسه الشريف علم أن المقتضى للإغلاق هو عدم الصلاحية لسر هذا المجلس، ومتى وجد هذا المعنى فى قوم ولو من المؤمنين سرى فيهم هذا الحكم الشريف، ألا ترى أن الله قال: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، فنص على تحريم الأكل ولما كان المعنى فيه الإتلاف سرى هذا الحكم فى كل ما يؤدي إلى إتلاف ماله وحكم العلماء بتحريم حرقه ورميه فى البحر ونحوهما، وأجمع على ذلك المجتهدون رضى الله عنهم، وكذلك نظر أهل البصائر بنور الفراسة الإلهى المكتسب من كمال المتابعة لحضرة النبى ﷺ إلى سبب الإغلاق، فرأوه ما ذكرنا فحكموا بأن كل مجلس فيه سر لا يصلح للإطلاع عليه الأجنبى منه أغلق الباب عنه، وحكمهم مقبول لدى أهل الإنصاف من الفحول. فإن قلت: كل مؤمن من المؤمنين بمقتضى إيمانه يليق أن يطلع على كل سر من الأسرار. قلنا: هيهات ثم هيهات، فقد روى البخارى عن أبى هريرة قال: أعطانى رسول الله ﷺ وعاءين من العلم، أما أحدهما: فبثثته لكم، وأما الآخر فلو بثثت شيئاً منه قطع هذا البلعوم، يشير إلى حلقه. وكان حذيفة -رضى الله عنه- ممن اختصهم رسول الله ﷺ ببعض الأسرار حتى كان عمر -رضى الله عنه- يرجع إليه فى بعض أموره. واختص النبى ﷺ بالسر منهم بعضاً دون بعض وهم هم فما ظنك بغيرهم من الطبقات؟ إذا تبين هذا، فاعلم أن الأسرار الإلهية التى تفاض فى مجلس سالك الطريقة النقشبندية العلية لا يصلح

للكشف عن وجوه مخدراتها إلا من دخل في طريقهم وسار بسيرهم، وكان من مريديهم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فلما رأى أهلها هذا الفضل الإلهي عليهم وعلى أتباعهم، وعلموا سر ذلك الحديث السابق أرشدوا إلى الدخول في هذه الطريقة، وبينوا أقربيتها فمن أجابهم كان من أهل مجلس أسرارهم، ومن لم يجبهم جالسوه في المجالس العامة قضاء لحق أخوة الإيمان، وأغلقوا عنه الباب في مجالسهم الخاصة صوناً لحقوق سر الرحمن وعملاً بإشارة حديث سيد ولد عدنان. فإن قلت: إذا جلس في مجلسهم الخاص من ليس من طريقهم فربما انتفع بهم، وفي ذلك جلب مصلحة، فلماذا يمتنعون منه وهم أهل الشفقة والرحمة؟ قلنا: صدقت! ولكن المرء عدو ما جهل وإنكار الأسرار أسرع إلى قلوب الأكثرين من السيل إلى الانحدار يعرف ذلك من له خبرة بأهل كل زمان، ومتى حصل الإنكار على أهل الأسرار غضب الجبار ونزل المقت على المنكر من ساعته، وفي ذلك من المفاسد ما لا يحصى، ومن الفوائد المقررة عند العلماء الأعلام أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح فكان لهم الحق -رضي الله عنهم- في المنع مطلقاً جمعاً بين الحديث الشريف، وهذه القاعدة. ومن كان من أهل التوفيق فأقل من هذا البيان يكفيه. ومن كتب الله على جبهته الخسران. ورمى من الحق بسهم الحرمان. فلا يكتفي ولا بألف ألف برهان. والإمساك عن الكلام مع هذا المخذول أولى بالعبد الموفق وأحرى وكفانا على ذلك دليلاً قوله الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿**فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾ [النجم: ٢٩] اللهم لا ترمنا بسهام مقتك وارض عنا قلوب خاصتك، واجعلنا لأحوالهم من المسلمين، ولأسرارهم من الذائقين.

فصل فى عدم الاعتراض على الجذبة وغيرها من الأحوال

اعلم -وفقنى الله وإياك لما يحبه ويرضاه- أنه جرت سنة الله فى خلقه بأن جعل لكل نبى من أنبيائه أعداء من شياطين الإنس يسفهون أقواله، ويرمونه بالزور والبهتان مكابرة منهم وعناداً ابتلاء من الله لهم لإظهار عظيم، فضلهم ببيان جميل صبرهم وقوة ثباتهم ليضاعف بذلك أجورهم ومثلهم فى ذلك الابتلاء المذكور من اقتفى أثرهم واقتدى بهم من الأولياء المرشدين، فإنهم قد ابتلوا بتشديد النكير عليهم وتصويب سهام الاعتراض إليهم، والوقوع فى أعراضهم فضلاً عما يتبع ذلك من تنفير الناس عن مجالستهم ومصاحبتهم ولا يصدر مثل ذلك الاعتراض إلا عمن كان قلبه مملوءاً بالأمراض على أنه يخشى على فاعله من سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى بل لا نراه يصدر غالباً إلا من بعض المتفقهة فى المذاهب لأغراض شيطانية، يريدون إنفاذها، وشهوات نفسانية، يحاولون إيجادها. وهى حب الظهور بين الناس بالعلم والفقه، فيضطرهم الأمر إلى التفتيش عن عيوب الناس ولو نظروا إلى عيوبهم لاستغنوا بذلك عن النظر إلى التفتيش عن عيوب غيرهم. قال العالم الفقيه العارف المحقق قطب زمانه الشيخ عبد الغنى النابلسى الحنفى فى «شرح عنوان الديوان» ما نصه: وقد اعتاد المتفقهة فى كل زمان على التفتيش عن عيوب الناس بحيث لا يؤوِّلون ما يجدونه مخالفاً لعلمهم، وإن كان له ألف تأويل بل ينكرون لمقتضى علمهم ما يكون محتملاً للخطأ ولو بوجه ضعيف، وإن كان صوابه ظاهراً بل ربما يجهل بعضهم مذهب الآخر فينكر عليه ما خالف مذهبه. اهـ. أما الفقهاء أصحاب القدم الراسخ فى العلوم على حسب المذاهب الأربعة، فإن قلوبهم متجانبة عن الدنيا مقبلة على الآخرة، أحوالهم متجافية عن الحسد والحقد والكبر والرياء والسمعة والعداوة،

ولذلك يسلمون لأهل الأحوال من الصوفية أحوالهم، ومن شدة شفقتهم على عباد الله لا يكادون يرون فى أحد منكراً أصلاً، ولا يجدون فى الغير مفسدة قط لاشتغالهم بعيوب أنفسهم عن عيوب الناس، قال النجم الغزى فى كتابه «منبر التوحيد»، عن الإمام الشافعى -رضى الله عنه- أنه قال: من أحب أن يفتح الله على قلبه نور الحكمة فعليه بالخلوة، وقلة الأكل، وترك مخالطة السفهاء، وبعض العلماء الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب. اهـ. وقال خير الدين الرملى فى «الفتاوى الخيرية»: وحقيقة ما عليه الصوفية لا ينكره إلا كل نفس جاهلة غبية. اهـ. وقال الشيخ الشعرانى فى «الأجوبة المرضية عن الفقهاء والصوفية»: وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصارى، يقول: إياكم أن تنكروا على أحد ممن أشهره الله بالولاية فى بلادكم، فإن الله لا يشهر أحداً بالولاية إلا لحكمة، وللأشياخ أسوة بالرسل عليهم الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ**﴾ [الفرقان: ٣١]، فهى للأشياخ بحكم الإرث. فمما يعترض به أولئك المتفقهة وقوف بعض المريدين بين يدى الأشياخ اتفاقاً بمغلوبية الحب والأدب والتواضع والإعظام لهم، ولاستفادة العلوم منهم من غير أمرهم ولا رضاهم بذلك مستدلين بزعمهم على هذا الإنكار بقوله ﷺ: «**من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار**»، فنقول: هذا الحب أمر قلبى لا إطلاع لأحد عليه حتى يحكم عليه بالظن مع وجود دلائل قطعية على ضده من نهيهم مراراً عن ذلك وإظهارهم الكراهة لمن يتصف بما هنالك، على أنه قال العالم المحقق خاتمة المتأخرين السفيرى، فى شرح البخارى، قال: إسحاق بن إبراهيم الشهيدى: كنت أرى يحيى القطان يصلى العصر ثم يستند إلى أصل منارة مسجده، فيقف بين يديه على بن المدينى، وسليمان بن

داود، وأحمد بن حنبل ويحى بن معين وغيرهم يسألونه من الحديث، وهم قيام على أرجلهم إلى أن تحين صلاة المغرب لا يقول لواحد منهم اجلس ولا يجلس أحد منهم هيبة وإعظاماً. اهـ. فليت شعرى ماذا يقول المنكر فى وقوف هؤلاء المجتهدين بين يدى شيخهم؟ أكان بحب قلبى منه لذلك، فيصدق عليه الحديث أم لا كما تشهد به سيرتهم الحميدة ويؤيده حسن الظن بالسلف الصالح المطلوب فى حق كل مسلم؟ فإن اختار الشق الأول والعياذ بالله تعالى، فلا كلام لنا معه إذ جواب مثله السكوت، وإن اختار الشق الثانى قلنا له: هل سحبت هذا الحكم على مشايخنا المسلمين العالمين العاملين المتبعين لسيرتهم ونهج سبيلهم الواضح وتجنب التعسف والقوادح؟ ومما يعترض به أيضاً جذبات المريدين واضطرابهم من قوة الواردات التى ترد عليهم فتغلبهم فى الصعق والصيحة، طاعنين فيهم بأنا رأينا فيهم الإسراف على أنفسهم سابقاً من الذنوب أو قد نراه لاحقاً بهم، زاعمين أن صدور بعض الذنوب يناقض خشوع القلب، فنقول: الإسراف السابق لا ينافى الجذب اللاحق لأن كثيراً من الأولياء الأكابر جذبتهم الواردات وهم فى المعصية. وربما طعن بعضهم فى الفقراء لأنهم مسرفون على أنفسهم فتراهم يطلبون فقراء فى طريق الله تعالى معصومين من الزلل والمعصية، وهذا لا يكون أبداً، والإسراف اللاحق إذا لم يغلب الشر على الخير بأن كان الأمر بالعكس فلا يحكم به على هلاك صاحبه جزماً بل من غلب خيره على شره فهو الكامل، وفى الحديث الشريف النبوى ما هو أبلغ من ذلك وهو الاكتفاء بالعشر من الخير فضلاً عن غلبته على الشر أو كونه نصفاً أو ربعاً قال ﷺ: «**إنكم فى زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك ثم يأتى زمان من عمل منهم عشر ما أمر به نجا**» رواه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه، وذكره السيوطى فى

«الجامع الصغير» وقد حكم ﷺ بالنجاة لمن عمل بالعشر وهى بشارة عظيمة لمن سلم من الكفر والشرك إلى آخر الزمان على أن المنكر لا يقف به تيار غيه على الوقوف على حالة المريد حتى يطعن على شيخه الغير المكلف بوزره مع أن الخاتمة مجهولة، والعبرة بالخواتيم. وقال الشيخ النابلسى فى «شرح ديوان الشيخ عمر بن الفارض» من بحث يتعلق بالجذبة، وهى حالة شريفة وإن أنكرها كثير من المتفقهة القاصرين فى هذا الزمان لبعدها عنهم من قسوة قلوبهم، وهى من أثر الخشوع فقد قال ﷺ: «**اللهم إنى أعوذ بك من قلب لا يخشع**» رواه الترمذى، والنسائى عن عمرو بن العاص: ومن ذلك إنكارهم الصيحة والصعق على من يحصل له ذلك، فلا وجه لهم فى إنكار ذلك لأنه إنما ينشأ عن كمال خشوع القلب لله سبحانه وتعالى فقد صح عن بعض الأخيار الصعق وكثرة التأوه والبكاء الشديد والاضطراب والضرب على الأرض وأمثال ذلك. قال الشيخ الشعرانى فى كتابه «تنبيه المغترين» قرأ عمر رضى الله عنه: ﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**﴾ [التكوير: ١]، حتى بلغ وإذا الصحف نشرت فخر مغشياً عليه وصار يضرب على الأرض ساعة كبيرة، وقرأ رسول الله ﷺ يوماً: ﴿**إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا**﴾ [المزمل: ١٢، ١٣]، وكان وراءه حمران بن أعين فخر ميتاً. وكان ميمون بن مهران يقول: سمع سلمان الفارسى قارئاً يقرأ: ﴿**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الحجر: ٤٣]، فصاح ووضع يديه على رأسه وخرج هائماً لا يدري أين يتوجه مدة ثلاثة أيام. فتأمل يا أخى فى أحوال سلفك وفى أحوال نفسك فهل غشى عليك قط عند سماع كلام ربك خالصاً أم لم يغش عليك لا خالصاً ولا مرائياً؟ الجواب لا، ما ذاك إلا لقساوة قلبك فخذ حذرك وتجنب سوء الاعتراض والإنكار، فقد حكى فى «التبيان» عن

جمع إنكار الصعق قال الشهاب ابن حجر المكى: والصواب عدم الإنكار إلا على من اعتراف أنه يفعله تصنعاً ومن ذلك أن المريد فى حال جذبته لا يخلو من أحد الشقين إما أن يكون باقى العقل باقى الاختيار فهى باختياره وتصنعه أو مسلوب العقل، فينقض وضوءه مع أنا نراه يصلى بلا تجديد للوضوء، فنقول: هذه مغالطة بحصر الأمر فى شقين يلزم باختيار كل منهما محذور، ولنا شق ثالث لا هذا ولا ذاك لا يلزم منه محذور أصلاً وهو أنه فى جذبته باقى العقل مع سلب الاختيار بالمغلوبية كالمحموم بالحمى النافض، فإنه مع بقاء عقله مسلوب الاختيار فى الارتعاش والارتعاد، وما نحن فيه من هذا القبيل فهو مع سلب الاختيار مغلوب الحركات وبقاء العقل لا يقتضى سلب الاختيار كما مثلنا. وفى كتاب «خلاصة الأثر» للسيد محب الشامى رحمه الله: أن الشيخ العامل السنبل سنان الرومى الصوفى المعاصر لمفتى الثقلين أبى السعود كان من أهل السماع، وكان فى زمنه مولى عرب وهو من كبار علماء الظاهر، فأطال لسانه فى حقه وأكثر الوقيعة به فافترق العلماء إذ ذاك فرقتين لكن الفرقة الكثيرة كانت فى طرف الشيخ سنبل سنان، فاجتمعوا يوماً بجامع السلطان محمود، فدعوا الشيخ إليهم فحضرهم وأتباعه ثم قال: ما أحسن جمعيتكم فما كان الداعى إليها؟ فأجابه المولى صارى كوز وكان قاضى القسطنطينية إذ ذاك وفيه غلاظة أن أتباعك يذكرون الله بالدوران والسماع فما دليل جواز ذلك؟ بينوه لنا، وإلا فامتنعوا من ذلك. فقال الشيخ: إذا لم يكن المرء صاحب اختيار ماذا يحكم عليه شرعاً؟ فقال القاضى: تزعمون أن هؤلاء يسلبون الاختيار إذا ذكروا، فقال: منهم من هو كذلك، فقال القاضى إذا فرضناهم كذلك فمن سلب اختياره أيذهب عقله أو يجذب، فقط فقال الشيخ: هؤلاء عقلهم كامل، فقال: يالله العجب يسلب

اختيارهم ويبقى عقلهم هذا الكلام من أي مقولة هو، فقال الشيخ رحمه الله تعالى: هل أخذتك الحمى؟ قال بلى قال: لأي شيء كنت ترتعد أترى عقلك لم يكن في رأسك؟ سلب الاختيار لا يوجب سلب العقل فتفطن إن كنت عاقلاً فأفحم القاضي ثم التفت إلى الجماعة وخاطب كلا بما أهمته فلم يجدوا بعدها جواباً. هذا، وأحوال الأولياء ومن يتعلق بهم كلها وراء طور العقل ذلك لأنهم بلغوا الرتبة العليا في كمال المتابعة للحضرة المصطفوية، فانصبت عليهم مياه بحار الفيض المحمدي بيد الكرم الرباني التي لا منتهى لمبادي إعطائها، فأنى تدرك القاصرون من شأوهم؟ وماذا تعرف أهل التفريط من أحوالهم؟ **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾** [الزمر: ٩] نص قاطع فيما نحن فيه **﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾** [الجاثية: ٢١] **﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾** [غافر: ٥٨] هذه وغيرهما مما يطلع عليه، فحول علماء الكتاب والسنة وجهابذة علم الشريعة دلائل قاطعة على أن لله ضنائن من عباده يختصهم بما شاء من سره. فالواجب عليك أيها الموفق حبس عنان القلم وإمساك جواد اللسان عن الإنطلاق في أعراض المؤمنين لا سيما أهل التشبث بهذا الشأن الرفيع -نفعنا الله بهم- وأن تملأ قلبك بالتسليم لهم إن لم تستطع العروج إلى كمالاتهم ثبتنا الله وجميع الإخوان من أهل الإيمان على الجادة التي لا إفراط فيها ولا تفريط، وختم لنا بالحسنى وبلغنا منه فوق ما أملنا وقبلنا، وتقبل منا آمين.

بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه قد تم كتاب «**المواهب الســـرمدية فى مناقب السادة النقشبندية**»، وكان الفراغ من تمام طبعه الرائق، ونظام شـــكله الفائق يوم الثلاثاء الموافق غرة شهر رجب الحرام سنة تسع وعشرين وثلاثمائـــة وألف من هجرة من له كمال الفضل والشرف، وصلى الله على سيدنا محمـــد وعلى آله وصحبه وسلم.

مكتب الروضة الشريفة
للأبحاث الشرعية والتحقيق والتصحيح
والمراجعة وتجهيزات الطباعة
(١) عطفة الجزار — أمام باب جامعة الأزهر الخلفى
خلف المسجد الأزهر الشريف
ت: ٥١٠٤٨٨١ - ٠١٠٣٥٦١١٤٢

فهرس الكتاب

فهرست كتاب المواهب السرمدية

